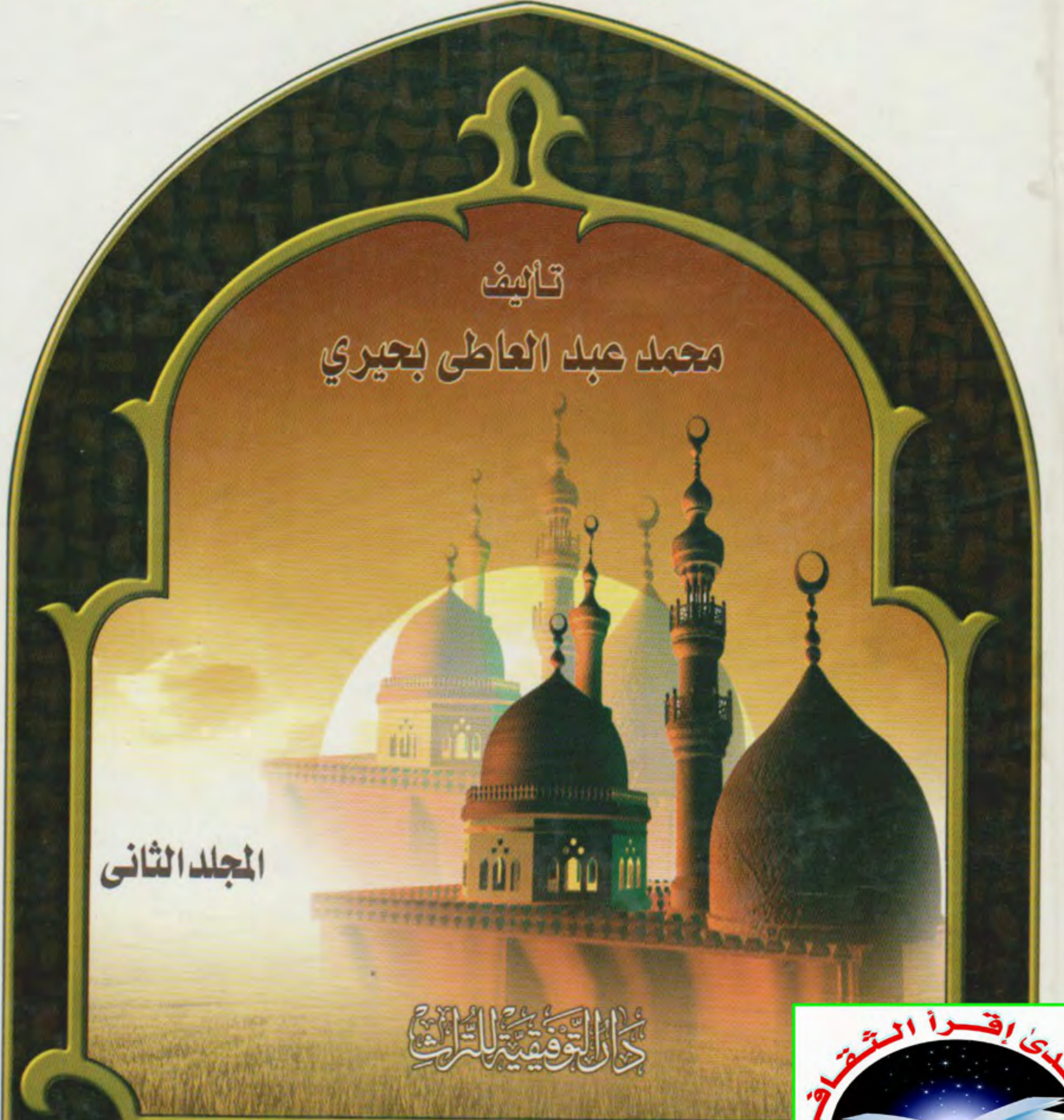
الموسوعة المنبرية في خطب الجمعة والعيدين



الموسوعة المنبرية

في

خطب الجمعة والعيدين والمناسبات الدينية

تأليف

الشيخ محمد بحيري

المجلد الثاني



١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

اسم الكتاب: الموسوعة المنبرية
في خطب الجمعة والعيدين جـ ٢

تـأليــف : محمد عبد العاطي بحيري

رقم الإيداع : ٥٤٧٥ \ ٢٠١٢

النـــاشــر : دار التوفيقية للتراث - القاهرة

دار التوفيقية للتراث

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

تليفون : ٢٥١٠٥٦٦٢

خطب
المناسبات الدينية

الخطبة السابعة والثلاثون

الهجرة النبوية وأسبابها

الحمد لله رب العالمين، أنار لعباده المخلصين طريق جنته، وفتح لهم أبواب كرمه ورحمته، سبحانه أحيا قلوب الطائعين بين يديه، وكفاهم مئونة الرزق فلا يعتمدون إلا عليه، فأصبحت قلوبهم بمحبته عامرة.

وأعينهم إلى جماله ناظرة، وأرواحهم إلى لقائه طائرة.

أحمده سبحانه وتعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، وأستغفره مما سلف من الأفعال السيئة.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة تبيض بها وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته، مقرًّا بوحدانيته، معترفًا بألوهيته وربوبيته، شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، كرمه وفضله وجعله خاتمًا للأنبياء والمرسلين، وسيدًا للأولين والآخرين.

الله فضل خير الخلق بالكرم ... وأفضل الناس من عرب ومن عجم

هو النبي الذي فاقت فضائله ... وخصه الله بالتنزيل والحكم

اختصهُ بكتاب بين علم ... هدى العباد به من غمة الظلم

الله فضله، الله أكرمه ... الله أرسله من جملة الأمم

صلوا عليه عباد الله كلكم ... إن الصلاة عليه تنجي من النقم

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، صلاة تفتح لنا أبواب الخير

والتيسير وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًّا ونصيرًا، فأنت يا ربنا نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

تمر علينا هذه الأيام، ونحن نفتتح عامًا هجريًّا جديدًا، فتذكرنا بحدث من أهم الأحداث التى ينبغى على كل مسلم أن يقف على وقائعه ومواعظه وعبره إنه حادث الهجرة، التى كان صاحبها أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور، وسيد الأولين والآخرين، سيدنا محمدًا ﷺ لنقتدى به فى إيمانه وصبره، وفى جهاده وأخلاقه، وفى ثباته وتضحيته، وفى صفاته كلها.

وليست الهجرة قصة تروى، أو حكاية تحكى، ولكنها أحداث وعبر.

أمة الإسلام...

مكث الحبيب المصطفى ﷺ بعد بعثته بمكة المكرمة ثلاثة عشر عامًا يوجه الناس إلى عبادة الله ﷻ، لينقلهم من ظلمات الشرك والجاهلية، والخرافة والدجل، إلى نور الإيمان، وسعادة الدنيا والآخرة.

ماذا جنى النبي ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم- خلال تلك المدة؟ لقد حاول رسول الله ﷺ فى مكة المكرمة أن يبذر فيها بذرة التوحيد الخالص، لكنه لم يجد أرضًا صالحة للبذر.

فقد اضطهده أهل مكة وآذوه، وحاولوا تشويه دعوة الرسول ﷺ حتى نظمت قريش حربًا إعلامية ضده، قادها الوليد بن المغيرة حين اجتمع مع نفر من قومه، وقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا.

فقالوا له: أنت أقم لنا رأيًا نقول به.

فقال لهم: قولوا أنتم.

فقال: نقول كاهن.

فقال: ما هو بكاهن، رأيت الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن -أى بكلامه وتمتمته ولا سجعه.

فقالوا: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون، فقد رأينا الجنون وعرفناه.

فقالوا: نقول شاعر، فقال: ما هو بشاعر، فقد عرفنا الشعر برجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بشاعر.

قالوا: نقول ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحّار وسحرهم.

قالوا: فماذا تقول أنت يا أبا عبد شمس؟ وهذه كنيته.

قال: إنَّ أقرب القول أن تقولوا: أنه ساحر، يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فأنزل الله ﷻ فى الوليد بن المغيرة: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المدثر: ١١ - ٢٧].

هذا إيذاء باللسان، وكان هناك إيذاء غير ذلك، فهذا شاهد عيان سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة، وجمع من قريش فى مجالسهم -أى أنهم مجتمعون -إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائى؟ أيكم يقوم إلى سلا جزور بنى فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجئ به، ثم يمهله، حتى إذا سجد، وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم - عقبة

ابن أبي معيط - فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجدًا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، حتى انطلق منطلق إلى ابنته فاطمة ؓ وهي جويرية - أي صغيرة - فأتت إلى النبي ﷺ حتى ألقت عنه الأذى، وأقبلت تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، قال داعيًا عليهم: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ - ثُمَّ سَمَّى -** (وأخذ يخص بعضهم فيقول): **اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْـوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنِ الْـوَلِيدِ**».

قال ابن مسعود: فوالله، لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب -أي قليب بدر - وقد بينت الروايات أن الذى رمى الفرث على رأس الرسول وكتفيه وهو فى الصلاة هو عقبة بن أبى معيط، وأن الذى حرضه هو أبو جهل، وقد تأثر هؤلاء الكفرة الجاحدون بدعاء الرسول ﷺ وآلمهم وشق عليهم ذلك، لأنهم يرون أن الدعاء مستجاب بمكة.

ولم يفتر المشركون عن إيذاء الحبيب محمد ﷺ فهذا أبو جهل اللعين يرى رسول الله ﷺ وهو يصلى بالكعبة يومًا، فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يصلى بعد اليوم، لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه بالتراب.

لكن ماذا فعل الرسول ﷺ أيها الأحباب؟

هل خاف رسول الله، ولم يصل؟ بل صلى وسجد لله، وهم جميعًا فى حجر الكعبة، لأنه لم يخف من أحد إلا الله، ولم يسجد إلا لله، سجد وما خاف من أبى جهل ولا غيره، فأتى أبو جهل رسول الله وهو يصلى، يزعم أنه سيطأ رقبته، لكن المفاجأة الكبيرة، أنهم رأوه، ينكص على عقبيه، ويرجع إلى الخلف، ويتقى بيديه عن وجهه، فقيل له: مالك يا أبا جهل -هذه كنيته عند الصحابة لكن اسمه عمرو ابن هشام - قالوا: أخفت من محمد، وأنت فينا من فينا؟ فقال: لقد رأيت بينى

وبينه خندقًا من نار، وأجنحة وأهوالاً، فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّى لاَخْتَطَفَتْهُ الْـمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**»[1].

وأنزل الله ﷻ فيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿ **أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝** ﴾ [العلق: ٩ - ١٩].

وفى رواية عند الترمذى من حديث ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلى فجاء أبو جهل، فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ ونهره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم أن ما بها نادٍ أكثر منى؟ فأنزل الله ﷻ الآيات السابقة، قال ابن عباس: لو دعا ناديه، لأخذته زبانية الله[2].

أحبتى فى الله ...

والأعجب من ذلك كله أن عمه أبا لهب كان من أشد الناس إيذاء له هو وزوجته أم جميل، حتى أنها كانت تسعى بينه وبين الناس بالنميمة، وتضع الشوك فى طريقه، والقذر على بابه، ولا عجب أن ينزل فيهم قرآنا يتلى إلى قيام الساعة: ﴿ **تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝** ﴾ [المسد: ١ - ٥].

لما نزل هذا فيها وفى زوجها أتت رسول الله ﷺ وهو جالس عند الكعبة، ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفى يدها فهر من حجارة -أى حجر- فلما وقفت أمامها، قالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ فقد بلغنى أنه يهجونى، والله لو وجدته، لضربت بهذا الفهر فاه، ثم انصرفت.

---

(١) رواه مسلم في كتاب «المنافقين» رقم (٢٧٩٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» رقم (٣٣٤٩).

فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراه رأتك؟ فقال: «لقد أخذ الله ببصرها عني» وكانت تنشد: مذمم أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، وكان رسول الله ﷺ يفرح، لأن المشركين يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، يقول: **«أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّـهُ عَنِّى شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ»**

وكان رب العزة والجلال يأمره بالصبر، وينهاه عن الحزن، ويضرب له أمثلة من واقع إخوانه من الأنبياء والمرسلين، فيقول له: ﴿ **وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** ﴿١٠﴾ ﴾ [المزمل: ١٠]. ويقول: ﴿ **فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا** ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٤]. ويقول له: ﴿ **وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٧].

أمة الإسلام...

لقد واجه الرسول ﷺ من الفتن والأذى والمحن ما لا يخطر على بال فى مواقف متعددة، وكان ذلك على قدر الرسالة التى حملها، ولذلك استحق المقام المحمود، والمنزلة الرفيعة عند الله ﷻ، وقد صبر على ما أصابه، إشفاقًا على قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم الماضية من العذاب، وليكون قدوة صالحة للدعاة والمصلحين، وهذا الابتلاء سنة الله ﷻ فى خلقه، قال صاحب المقام الرفيع ﷺ: **«أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، يبتلى الرجل على قدر دينه»**.

وأصحاب النبي ﷺ عذبوا عذابًا شديدًا لا تتحمله الجبال الراسيات، عذب بلال بن رباح رضي الله عنه وعذب خباب بن الأرت رضي الله عنه كانوا يعذبون بأشد أنواع التعذيب، كانوا إذا اشتدت الهاجرة، وكادت الشمس أن تذيب الصخور، أخرجوا خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى بطحاء مكة، ونزعوا عنه ثيابه، وألبسوه دروع الحديد، ومنعوا عنه الماء، حتى إذا بلغ منه الجهد كل مبلغ طلبوا منه أن

يكفر بدين محمد، وأن يقول فى اللات والعزى خيرًا، لكنه يأبى بكل عزة وثبات أن يفعل ما يريدون.

كان المشركون يذيقونه أنواعًا من التنكيل، تارة يأخذون بشعر رأسه، فيجذبونه جذبًا، ويلوون عنقه ليًّا عنيفًا، لقد حولوا كل الحديد الذى كان عنده يصنع منه السيوف إلى قيود وسلاسل يحمى عليها فى النار حتى تستعر، وتتوهج ثم يطوقون بها جسده ويديه وقدميه.

ومثله عمار بن ياسر رضي الله عنه وعن آله أجمعين، فأمه أول شهيدة فى الإسلام وكان النبي ﷺ يمر بهم وهم يعذبون، فيقول لهم: «**أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة**».

وقد فُتح لهم باب الهجرة إلى الحبشة، فهاجروا إليها مرتين، وانتهت هذه البلاءات، وهذا العذاب بأن عقدوا أخطر اجتماع فى دار الندوة (برلمان مكة) وتوافد إلى هذا الاجتماع جميع نواب القبائل القرشية، لماذا؟ لكى يتدارسوا خطة حاسمة تكفل القضاء سريعًا على حامل لواء الدعوة سيدنا محمد ﷺ ليقطع تيار نورها عن الوجود نهائيًا ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝** ﴾ [الصف: ٨].

وبعد أن تكامل الاجتماع بدأ عرض الاقتراحات والحلول، ودار النقاش طويلاً، قال أحدهم: نخرجه من بين أظهرنا، وننفيه من بلادنا، فرفض هذا الرأى وقالوا: لأنه بحسن حديثه، وحلاوة منطقه، سوف يلتف حوله الناس ويتابعوه ثم يأتون بعد ذلك إلينا.

فقام عضو آخر يقترح اقتراحًا آخر، ويقول: نحبسه فى الحديد حتى يموت، أو يصيبه ما أصاب الشعراء الذين مضوا، ولكنه لم يجد هو الآخر قبولاً، بحجة أن قومه وعشيرته سيأتون إليه ويخلصونه.

فقام عضو آخر من أعضاء البرلمان القرشى، وهو أبو جهل، فقال: والله إن لى فيه رأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: ما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جليدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا ثم يعمدون إليه، فيضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل، فلا يستطيع بنو عبد مناف على حرب قومهم، فيرضون بالدية، فنعطيها لهم، وحاز هذا الرأى قبول أعضاء البرلمان، حزب الشيطان ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقد أثبت القرآن الكريم ذلك فى قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ۝ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

أحبتى فى الله...

ما هى الجريمة التى ارتكبها الرسول الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ ليمكروا به هذا المكر، وليكيدوا له هذا الكيد، وهذا العناد، وذلكم التحدى، ليس إلا أنه جعل الآلهة إلهًا واحدًا، يقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾ [ص: ٥].

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مرض أبو طالب... أبو طالب الذى كان هو جبهة الدفاع الخارجية للرسول الأعظم ﷺ لقد ذهبوا إليه يومًا قائلين له: إن ابن أخيك عاب ديننا، وسب آلهتنا، وسفه أحلامنا، وشتم من مضى من آبائنا وأجدادنا، فانهه عن ذلك، فعرض على رسول الله أمرهم، فقال قولته المشهورة: «**والله يا عم، لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك دونه**» فقال له: يا ابن أخى، قل ما أحببت، فوالله لن أسلمك إليهم أبدًا، وأنشد يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة — واهنأ بذاك وقر منه عيونًا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي — ولقد صدقت وكنت ثم أمينًا
لولا الملامة أو حذار مسبة — لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

لما مرض أبو طالب دخل عليه مشيخة من قريش فيهم أبو جهل، فشكوا إليه رسول الله ﷺ وقالوا له: أنصفنا من ابن أخيك، فليكف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه، فقال أبو طالب: ما تقول يا ابن أخى، قال: يا عم، أريد أن يقولوا كلمة تدين لهم بها العرب، ويملكوا بها العجم فقال أبو جهل اللعين: نقولها وعشر أمثالها فقال ﷺ: «**قولوا: لا إله إلا الله**» ففزعوا وولوا مدبرين، وهم ينفضون ثيابهم، ويقولون كما حكى القرآن عنهم: ﴿ **أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ** ۝ ﴾ [ص: ٥]. لقد وقف فى وجه الحبيب المصطفى ﷺ ثلاثة أنواع من الناس:

١ - المستكبرون الجاحدون، العالمون بالحق.

٢- والحاسدون المحترقون.

٣- والجهال الضالون.

وكوَّن هذا الثالوث جبهة عنيدة، وحربًا وحزبًا شيطانيًّا يريدون قتل الحبيب محمد ﷺ فلما اشتد الكرب، وضاق الخناق على الدين الإسلامى ومن تابعه، جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ يخبره بأن ربه أذن له بالهجرة إلى المدينة المنورة، فلا تبت هذه الليلة فى فراشك.

تقول السيدة عائشة ﵂ : بينما نحن جلوس فى بيت أبى بكر فى نحو الظهيرة، قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا، فى ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداه أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله، فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال لأبى بكر: «**أخْرِج مَنْ عندك**» فقال أبو بكر:

إنما هم أهلك، بأبى أنت يا رسول الله، قال: «**فإنى قد أذن لى فى الخروج**» فقال أبو بكر: الصحبة بأبى أنت يا رسول الله. فقال رسول الله: «**نعم**».

ثم أبرم معه خطة الخروج للهجرة، ورجع إلى بيته ينتظر الليل.

أيها الأحبة الكرام...

ما أشبه الليلة بالبارحة، وما أقرب علاقة الماضى بالحاضر، والحاضر بالماضى أعداء الله جادون لحرب دين الله، جادون لحرب الدعاة، كما كان أولئك جادين فى دار الندوة فقط، اختلفت الأدوار واتفقت الأهداف واختلفت الوسائل، واتفقت الغايات، أعداء الإسلام يتطاير النوم من أعينهم حماسًا لتخطيطهم المستمر فى حرب الإسلام، إذا كان كفار قريش اجتمعوا فى دار الندوة فكفار العصر الحاضر اجتمعوا فى دور كثيرة يتشاورون ويخططون، والمسلمون نائمون فى غفلة، فى ثبات، هل خططنا لنجاح دعوتنا؟ هل تشاورنا كما يتشاورون؟ ولما جاء الليل بظلامه، خرج رسول الله ﷺ وترك عليًا فى فراشه، والقوم خارج البيت يرصدونه، فألقى الله عليهم النوم، فخرج النبي ﷺ وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ۝ ﴾ [يس: ٩].

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ناصر المستضعفين، إذا التجأوا إليه، ومؤيد من تمسك بدينه وحرص عليه، نحمده حمدًا يوافى نعمه، ويكافئ المزيد من فضله.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، سبحانه، سبحانه، نبرأ من حولنا وقوتنا إلى حوله وقوته.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خير من هاجر إلى الله، وأحسن المعاملة متوكلاً عليه، فكفاه، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، المهاجرين منهم والأنصار، ومن اتبعهم بإحسان حرصًا على رضا الواحد القهار.

أما بعد...

عباد الله...

إنَّ الهجرة النبوية لم تكن هروبًا من قتال، ولا جبنًا عن مواجهة، ولا تخاذلاً عن إحقاق حق، أو إبطال باطل، ولكن هجرة بأمر الله تعالى.

الهجرة النبوية تستحق الوقفة المتأنية، تستحق الوقفة الثاقبة، فهى ليست نزهة برية، ولا سياحة بحرية، الهجرة النبوية ليست للتفرج والاطلاع، ولا للنظر والمعاينة، ولا للسفر والتحصيل فى متع هذه الدنيا وملذاتها، وإنما هى انتقال من أرض غير صالحة لبذرة التوحيد، إلى أرض أخرى صالحة للبذر، بل أرض صالحة تؤتى أكلها وثمارها المنشودة.

الهجرة من أجل الحفاظ على العقيدة، على الركن الأساسى مع التضحية بالنفس والمال والأهل، والولد، إنها حدث غيَّر مجرى التاريخ، حدث حمل فى طياته معانى الشجاعة والتضحية والفداء، والصبر والنصر، والإخاء، والتوكل فى الهجرة المباركة آيات بينات، وآثار نيرات، ودروس وعبر وعظات.

أحبتى فى الله...

خرج الرسول ﷺ والقوم كل منهم قد شحذ سيفه وسلاحه، لكن رسول الله ﷺ يحمل أعظم سلاح، سلاح مضاد لكل الأسلحة سلاح لم يعرف أحد من قبل له مثيلاً، إنه سلاح الثقة فى الله، سلاح الاعتصام بالله، سلاح التوكل على الله، وتفويض الأمر لله وإلى الله خرج، ولم يبق واحد منهم إلا وضع على رأسه التراب،

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لقد قال لك ربك: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨].

بقوا أمام الدار ينتظرون ساعة الصفر، وقبيل حلولها، تجلت لهم الخيبة والفشل، فقد جاءهم واحد من الذين لم يكونوا معهم، فقال لهم: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا، قال: خبتم وخسرتم، قد والله مر بكم، وذر التراب على رءوسكم، وذهب، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]. ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١].

وكأن الله ﷻ يريد أن يقول للبشرية جمعاء: عبدي، أنت تريد، وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلمت لى فيما أريد، كسبتك ما تريد، وإن لم تسلم لى فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ولا يكون إلا ما أريد.

يا عبد الله، تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه، تحقق بذلك، يمدك بعزته، تحقق بعجزك يمدك بقدرته، تحقق بضعفك، يمدك بحوله وقوته.

أيها الإخوة الأعزاء...

ولا يسعنى فى هذا المقام إلا أن نتوجه إلى الله ﷻ، ونتضرع إليه، أن يصلح أحوالنا، اللَّهُمَّ أصلح أحوالنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، اللَّهُمَّ كن لنا، ولا تكن علينا، وأعنا، ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، واهدنا ويسر الهدى إلينا، وانصرنا على من بغى علينا، اللَّهُمَّ إنا نسألك الهدى والتقوى، اللَّهُمَّ أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضنا وارض عنا.

اللَّهُمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

اللَّهُمَّ عليك باليهود المعتدين المجرمين، اللَّهُمَّ رد عنا كيدهم، وفل حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تجعل لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين،

اللَّهُمَّ أنزل عليهم غضبك، وأحل بهم سخطك، وأنزل عليهم بأسك، الذى لا يرد عن القوم المجرمين.

اللَّهُمَّ انصر إخواننا المجاهدين فى فلسطين، اللَّهُمَّ أيدهم بروح من عندك، وأمدهم بملأ من جندك، واحرسهم بعينك التى لا تنام.

اللَّهُمَّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبى محمدٍ ﷺ. وأقم الصلاة.



الخطبة الثامنة والثلاثون

من دروس الهجرة النبوية

الحمد لله، الرحيم الرحمن، خالق الإنسان والجان، وخالق الأكوان ومقلب الدهور والأزمان، إلهي...

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا ... وبت أشكوا إلى مولاي ما أجد

فقلت: يا أملي في كل نائبة ... يا من عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها ... ما لي على حملها صبر ولا جلد

وقد مددت يدي إليك بالذل مفتقرًا ... يا خير من مدت إليه يد

فلا تردنها يا رب خائبة ... فبحر جودك يروى كل من يرد

أحمدك وأستعينك وأستهديك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، جل وجهك، وعظم سلطانك، ولا إله غيرك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها الدرجات العلى من الجنان، والفوز بها من العذاب فى النيران، وأتخلص بها فى الدنيا من نزغات الشيطان.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، أرسله ربه رحمه للعالمين، فكان الرحمة، ينزل عليه جبريل عليه السلام يومًا، فيجده يبكى، فيسأله: ما الذى يبكيك يا رسول الله؟

فقال الحبيب: تذكرت قول الله على لسان خليله إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقوله على لسان عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨].

فماذا عن أمتى؟ فقال له جبريل: السلام يقرؤك السلام، ويقول لك: لا تبكِ فسوف نرضيك فى أمتك ولا نسؤوك، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥].

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه البررة الكرام، وسلم تسليمًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

وما زال لقاؤنا موصولاً مع الهجرة النبوية، الهجرة عبر وعظات، تكلمنا فى الجمعة الماضية عن أسباب الهجرة النبوية، وكان من بينها إيذاء قريش للرسول الأعظم ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم -مثل عمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وبلال بن رباح الذى كان يعذبه سيده «أمية بن خلف» ويجره على رمضاء مكة، ويسلمه للأطفال يرمونه بالحجارة، ويضربه ويجلده وهو يقول أحدٌ أحدٌ، أحدٌ أحدٌ، يا أمية عذب ما شئت، واضرب ما شئت فلن تنال إلا هذا الجسد الفانى، وأما عقلى وقلبى، فلن يصل إليهما أحد إلا الله.

تالله ما الدعوات تهزم بالأذى	**أبدًا وفي التاريخ بر يميني**
ضع في يدي القيد ألهب أضلعي	**بالسوط ضع عنقي على السكين**
لن تستطيع حصار فكري ساعة	**أو كبح إيماني ورد يقيني**
فالنور في قلبي وقلبي في يدي	**ربي وربي حافظي ومعيني**

إنّ الإيذاء لا يهزم دعوة صادقة أبدًا، ولن يصل الطغاة إلى قلب مؤمن مهما فعلوا، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]. خرج الحبيب ﷺ ومعه رفيق هجرته صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولما كان المصطفى ﷺ يعلم أن قريشًا ستجد فى طلبه، وأن الطريق الذى

سوف تتوجه الأنظار نحوه، هو طريق المدينة الرئيسى المتجه شمالاً، فسلك الطريق الذى يضاده تمامًا من ناحية الجنوب، سلك هذا الطريق حتى وصل إلى جبل ثور، الذى فى قمته وفى أعلاه غار، المعروف بغار ثور وهناك وقف أبو بكر ﷺ وقال لرسول الله ﷺ: والله لا تدخله حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء أصابنى دونك، فدخل فكسحه ونظفه، ووجد فى جانبه ثقوبًا، فشق إزاره وسدها به، وبقى منهما اثنان، فألقمهما رجلاه، وينظر الرسول ﷺ إلى أبى بكر متعجبًا، وكأن لسان حاله يقول: لمَ سبقتنى إلى الغار، وليست هذه عادتك؟ فيجيب أبو بكر: يا رسول الله إن هلكت، فأنا فرد، وإن هلكت أنت، هلكت أمة بأسرها، فداك أبى وأمى يا رسول الله.

وظل الرسول وصاحبه فى الغار ثلاثًا، فمن الذى كان يمدهم بالطعام؟ ومن الذى كان يأتيه بالأخبار؟

وهذا درس من دروس الهجرة النبوية (التخطيط) إنه من أعظم دروسها، إنه قد تمثل فى أشياء كثيرة:

١- تمثل فى الاستعداد المبكر بتهيئ الراحلة، وفى الصحيح أنه انتظر الهجرة أربعة أشهر.

٢- نجد التخطيط فى إقامة عليّ بن أبى طالب ﷺ مكانه، للتمويه على المشركين وليرد الودائع والأمانات، التى كانت عند الرسول الأمين ﷺ.

٣- نجد التخطيط فى مخالفة الطريق، والخروج ليلاً.

٤- نجد التخطيط فى توزيع الأدوار، فعبد الله بن أبى بكر ﷺ صاحب المخابرات الصادق، وكاشف لتحركات العدو.

وعامر بن فهيرة يرعى الأغنام، فيقدم لهم اللحم واللبن، ويمحو آثار أقدام سير عبد الله بن أبى بكر، وأقدام أخته أسماء التى تأتيهم بالطعام.

وعبد الله بن أريقط، دليل الهجرة الأمين، وخبير الصحراء البصير، ينتظر فى يقظة إشارة البدء من الرسول الأعظم ﷺ ليأخذ الركب طريقه من الغار حتى المدينة المنورة بعد ثلاثة أيام، بعد أن تهدأ قريش عن طلب الرسول ﷺ وصاحبه أرأيتم أيها الإخوة الأعزاء أنه ترتيب محكم، ترتيب دقيق مخطط له، فهل نحن عندما نريد أن نقدم على أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية نخطط له، ربما بل إننا نجيد التخطيط فى الأمور الفانية، لو أن أحدنا أراد أن يبنى شقة أو عمارة، فإنه يظل يخطط لها عدة أشهر، لكن فى أمور الدعوة إلى الله، أو فى الأمور الأخروية، تخبط خبط عشواء، ومن هنا تأتى النتائج سلبية.

أحبتى فى الله...

هذا الدرس جلى وواضح، وعظيم، تخطيط محكم دقيق، لا تجد فيه ثغرة من الثغرات فسبحان الله! ما أحوجنا إلى أن نقف مع هذه الدروس، لنستفيد، وتستفيد الأجيال والشباب منها.

أما قريش فقد جن جنونها حين تأكدت من إفلات رسول الله ﷺ فقررت فى جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التى يمكن بها أن يقبضوا على رسول الله وصاحبه، فوضعت جميع الطرق النافذة إلى مكة تحت المراقبة المسلحة الشديدة كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة، قدرها (مائة ناقة) بدل كل واحد منهما، لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين، كائنًا من كان.

وهذه المكافأة لضعاف النفوس، فجد الفرسان والمشاة، وقصاص الأثر فى الطلب، وانتشروا فى الجبال والوديان، والهضاب، لكن دون جدوى، وبلا فائدة.

ووصل القوم إلى باب الغار، ولكن الله غالب على أمره.

وقف أحدهم أمام الغار متعجبًا وقائلاً: أفى السماء طارا، أم فى الأرض غاصا وقال آخر: ادخلوا الغار، فرد أمية بن خلف: إنه فيه لعنكبوتًا أقدم من ميلاد

محمد، يقول الصديق ﷺ: فرفعت رأسى فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبي الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له الحبيب المصطفى ﷺ الواثق من ربه ومولاه: «اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما» وفى لفظ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّـهُ ثَالِثُهُمَا».

وسجل القرآن الكريم ذلك بقوله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال المختار ﷺ لصديقه فى الغار: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّـهُ ثَالِثُهُمَا».

وقالها الكليم موسى عليه السلام يوم هاجر بمن آمن معه، وقالوا له: هذا هو البحر أمامنا، والعدو وراءنا، فقال: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]. وبالفعل كان فرعون وجنوده خلف موسى عليه السلام ومن معه ممن آمن به، فإذا بربك يأمر موسى أن يضرب البحر بعصاه ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

فنجا الله موسى ومن معه، فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر مرة أخرى لكى يعيده كما كان، فقال له الله ﷻ: ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ [الدخان: ٢٤].

فظن فرعون أن الطريق ممهد فسار هو ومن معه، فانطبق الماء عليهم فاستعان بموسى سبعين مرة، لكن موسى لم يغثه، فعاتب الله كليمه يا موسى، لقد استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه، فوعزتى وجلالى، لو استغاث بى مرة واحدة لوجدنى قريبًا مجيبًا.

رجل عتا فى الأرض، وجعل أهلها شيعًا، وقال: أنا ربكم الأعلى، ومع ذلك، لو لجأ إلى الله، لو استغاث بالله، لنجاه الله، واستجاب له.

درس عظيم من دروس هجرة الحبيب «معية الله ﷻ للمؤمنين» كن مع الله يكن الله معك.

ومعية الله ﷻ نوعان: معية خاصة، ومعية عامة.

المعية الخاصة، هي معية الحفظ، والنصر والمدد والتأييد، معية العناية والرعاية، من الذى يحصل على هذه المعية؟

هذه المعية لا يحصل عليها إلا المتقون، إلا المحسنون، إلا الموحدون، إلا الصابرون، ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨]. ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ [البقرة: ١٥٣]. وقال: ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ولما أمر الله ﷻ موسى وهارون أن يذهبا إلى فرعون، قالا: ﴿ **إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ** ﴿٤٥﴾ **قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾ [طه: ٤٥، ٤٦].

هذه معية الحفظ، معية النصر والتأييد.

إن أصابك سوء، فلا تحزن، فإن الله معك، إن أصابك ضر، لا تحزن فأبشر ثم أبشر، فإن الله معك، معك الهادى الذى لا يضل، ومعك الحفيظ الذى لا ينام، ومعك القوى الذى لا يقهر، ومعك الغنى الذى لا يفتقر، ومعك العزيز الذى لا يذل، معك الله مالك الملك، وملك الملوك.

أما المعية العامة، فهى معية العلم الشامل، والإرادة والإحاطة، لا يعزب عن معيته شيء فى الأرض، ولا فى السماء، مع المسلم، مع الصالح، مع الطالح، مع الكافر، أى محيط بهم، وعالم بأحوالهم.

قال الله ﷻ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟** ﴾ [المجادلة: ٧].

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء: ١٠٨].

معهم بعلمه، معهم بسمعه، ببصره، بقدرته، بإرادته، بإحاطته، لا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء.

إذا ما خلوت الدَّهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل: عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل طرفة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

أمسك أعرابى امرأة أعرابية فى الصحراء، وأراد أن يفعل بها الفاحشة، فذكرته بالله جل وعلا بأسلوب بديع، وقالت: اذهب فانظر هل نام الناس فى الخيام؟ وهل يرانا من أحد؟ فذهب لينظر أحوال الناس فى الخيام، فعاد إليها، ليقول لها: أبشرى فقد نام الناس جميعًا، ثم قال مداعبًا: لا يرانا أحد إلا الكواكب فنظرت إليه باكية، وهى تقول: فأين مكوكبها؟ أين الله.

فالمعية العامة معية العلم الشامل.

أبو بكر يقول: والله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فيقول المصطفى ﷺ بلسان الواثق من ربه ومولاه «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّـهُ ثَالِثُهُمَا**». معنا بتأييده ونصره، معنا بحفظه وعنايته.

أحبتّى فى الله...

درس آخر نتعلمه من حادث الهجرة، وهو درس «التوكل على الله، والأخذ بالأسباب» فقد أخذ رسول الله ﷺ بالأسباب، وتوكل على مولاه.

إننا لو نظرنا إلى الأسباب والأساليب التى اتخذها رسول الله ﷺ ابتداء من إذنه بالهجرة لأصحابه، وانتهاء بوصوله إلى المدينة، وما بينهما من أسباب بشرية كثيرة، فيها الاختفاء والسرية، فيها كثير من الأسباب البشرية، ولنتساءل ألم يُسْرَ برسول الله ﷺ قبل عام فقط من مكة إلى بيت المقدس؟ ألم يعرج به إلى

السماوات العلى؟ ألم يأته جبريل بالبراق ليرحل به من جانب البيت الحرام إلى بيت المقدس، من هناك إلى السماوات؟ سبحان الله! يُسرى به إلى بيت المقدس، ويعرج به إلى السماوات، ثم يرجع فى بعض ليلة، ويجلس عدة شهور ويتخذ من الأسباب والوسائل لهذه الهجرة؟ لماذا؟ ما السبب؟ لمَ لم تكن الهجرة مثل الإسراء يمسي فى مكة، ويصبح فى المدينة النبوية بأمر من الله وقدرته؟

أليس الله قادر على ذلك؟ أيعجزه سبحانه وتعالى شيء فى الأرض ولا فى السماء؟ لا، إن الله قادر على ذلك، ولا يعجزه شيء مهما كان، لكنه أراد أن يلقن الأمة المحمدية درسًا فى التوكل على الله، والأخذ بالأسباب، وأنه سبحانه أراد منا أن نفقه هذا الدين فقهًا دقيقًا، فنقل الرسول من هنا إلى هناك من مكة إلى المدينة عند الله ﷻ لا يحتاج إلى إعداد، ولا يحتاج إلى اختفاء، ولا يحتاج إلى مئونة، ولا يحتاج إلى مطاردة، ولا إلى مصاحبة، لكنه أعمق بكثير وأبعد، إنه الدين، أراده الله ليكون منهجًا للبشرية لماذا؟ لأنه لو فعل ذلك برسول الله ﷺ وجاء بعده من الدعاة ممن تواجههم مثل هذه المشاكل، مشاكل الاضطهاد، والمعاناة فى تبيين الدعوة، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فأين حينها يجدون الحل؟ كيف يجدون المخرج؟ إلى من يلتجئون؟!

أولئك الذين يضطهدون فى دينهم، أولئك الذين يحاربون فى عقيدتهم، أولئك الذين تمتهن كرامتهم، عليهم أن يأخذوا الدروس العظيمة من الهجرة.

إذًا نحن فى الهجرة النبوية بجميع مراحلها نتبين من خلالها الدروس العظيمة، ولأنها لو تمت بين عشية أو ضحاها، لخسرنا تلك الدروس، وتلك المواقف.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝ ﴾ [ق: ٣٧].

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لى ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، يتفضل على المستقيم بالإكرام والإقبال، والخير والإفضال، أحمده حمد الشاكرين، وأتوب إليه توبة المستغفرين النادمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، جعل خيرى الدنيا والآخرة بسلوك الطريق القويم، والصراط المستقيم.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

عباد الله...

وخرج رسول الله ﷺ هو وصاحبه من الغار بعد ثلاث، بعد أن هدأ الطلب، ويئس المشركون من الوصول إلى رسول الله ﷺ ونظر إلى مكة قائلاً: **«وَاللَّـهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّـهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّـهِ إِلَى اللَّـهِ، وَلَوْلاَ أَنِّى أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»**[١].

خرجا ومعهما دليل الطريق عبد الله بن أريقط وكان مشركًا وقد أمناه، ودفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال وقد جاء فى الموعد المحدد،

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٨٩).

وسلك بهما طريقًا غير معهودة، وفى الطريق حدثت معجزات منها مرور الرسول وأبي بكر ودليل الطريق بأم معبد، وكانت تسقى وتطعم من يمر بها، سألوها لحمًا وتمرًا، ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا، فرأى رسول الله ﷺ شاة فى جانب الخيمة، فقال لها: «**ما هذه الشاة يا أم معبد؟**»

قالت: خلفها الجهد عن الغنم.

قال: «**فهل بها من لبن؟**».

قالت: هى أجهد من ذَلِكَ.

قال: «**أتأذنين أن أحلبها؟**»(١).

قالت: بأبى أنت وأمى، نعم، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها.

فدعا رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها، وسمى الله ﷻ ودعا لها فى شاتها، فتفاجت -أى فتحت ما بين رجليها للحلب -عليه، ودرت، واجترت، ودعا بإناء يربض القوم -أى يشبعهم- فحلبها، وشرب القوم، وشرب رسول الله - وصاحباه وترك الإناء مملوءًا ومضى، صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله.

وليست هذه المعجزة الوحيدة لكن هناك معجزات أخرى مثل ما حدث لفرس سراقة بن مالك بن جعشم، لما لحق برسول الله ﷺ فى الطريق، لكى ينال الجائزة التى جعلتها قريش لمن يعثر على محمد ﷺ حيًا أو ميتًا، فماذا حدث؟

لما لحق بهم، قال أبو بكر: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، فقال له: «**لاَ تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا**».

حتى دنا منهم، فكان بينه وبينهم قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قال: قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا وبكيت.

---

(١) حسن بشواهده وطرقه كما قال الألباني في «المشكاة» رقم (٥٩٤٣).

قال: «لِمَ تَبْكِي؟».

قلت: أما والله ما على نفسى أبكى، ولكن أبكى عليك -أى خوفًا عليك-.

فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ».

فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد، ووثب عنها، وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائى من الطلب، وهذه كنانتى، فخذ منها سهمًا، فإنك ستمر بإبلى وغنمى فى موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك.

فقال رسول الله ﷺ: «لا حَاجَةَ لِي فِيهَا»[1].

وفى رواية عند البخارى يقول سراقة: ساخت يدا فرسي فى الأرض، حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت.

عباد الله...

وفى الهجرة آيات بينات، وعظات نيرات، وعبر ومعجزات، موعدنا الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى مع درس آخر من دروس الهجرة النبوية.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحيينا على الإيمان، وأن يوفقنا إلى صالح الأعمال، اللَّهُمَّ إنا نسألك أن ترزقنا لسانًا صادقًا ذاكرًا، وقلبًا خاشعًا منيبًا، وعملاً صالحًا زاكيًا، وعلمًا نافعًا رافعًا، وإيمانًا راسخًا ثابتًا، ويقينًا صادقًا خالصًا، ورزقًا حلالاً واسعًا طيبًا، يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، ووحد اللَّهُمَّ صفوفهم، واجمع على الحق كلمتهم واكسر شوكة الظالمين، واكتب الأمن والأمان والسلام للمسلمين.

اللَّهُمَّ احفظنا واحفظ شيوخنا وشبابنا ونساءنا وأبناءنا من كل سوء، اللَّهُمَّ هب لنا صحة لا تلهينا، وعافية لا تطغينا، وأكرمنا بكرمك يا رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري وأحمد واللفظ له، ورواه ابن حبان وغيرهم.

عباد الله...

إنّ الله يأمركم بثلاث فاتبعوها، وينهاكم عن ثلاث فاتجنبوها ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.



الخطبة التاسعة والثلاثون
من دروس هجرة المصطفى ﷺ

الحمد لله، المبدئ المعيد، الذى ليس له مثيل ولا نديد، وهو الفعّال لما يريد، جلَّ عن اتخاذ الصاحبة والولد، ولم يكن له كفوًا أحد خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذللها بعزته، فذلت له الرقاب، وحارت فى ملكوته فطن ذوى الألباب.

نحمده سبحانه كما حمد نفسه، وكما حمده الحامدون، ونستعينه استعانة من فوض أمره إليه، وأقر أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الحمد، وله المجد الذى لا نهاية له، ولا حد له، والعزة له، والجبروت له، والعظمة له، والكبرياء له، والسلطان له، والملك له.

والحكم له، والقوة له، والتسبيح له، والتقديس له، أنار بوجهه الظلمات، وحجب جلاله عن العيون، ونفذت إليه أبصار القلوب، وناجته ألسنة الصدور.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، المتعبد فى غار حراء، وصاحب الشريعة الغراء، والملة السمحاء والحنيفية البيضاء، وصاحب الشفاعة والإسراء، له المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، أدبه ربه فأحسن تأديبه، فصار شفيعًا للمذنبين، ورحمة للعالمين، وسيدًا للأولين والآخرين.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب الحبيب المصطفى ﷺ...

وما زلنا نعيش فى ظلال الهجرة النبوية المباركة، لنتعلم منها دروسًا وعبرًا وعظات، وسار النبي ﷺ فى طريقه حتى وصل المدينة فوجد أهلها ينتظرونه بالفرحة والسرور، وكان النبي ﷺ راكبًا ناقته القصواء، فكان لا يمر بدار من دورها إلا أخذوا خطامها، فكان يقول لهم: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**» فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوى اليوم، فبركت.

فقال النبي ﷺ: «**أى بيوت أهلنا أقرب؟**».

فقال أبو أيوب الأنصارى رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، هذه دارى، وهذا بابى، قال: «**فانطلق فهيئ لنا مقيلاً**».

فقال أبو أيوب للرسول وصاحبه: قوما على بركة الله.

وهنا يظهر الأدب، ويظهر الإيثار، وتظهر المكارم والأخلاق التى ما عرفها التاريخ قبل ذلك.

لما نزل الرسول ﷺ على أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه نزل أسفل الدار، وأبو أيوب فى العلو، فانتبه أبو أيوب ذات ليلة، فقال: أنمشي فوق رأس رسول الله ﷺ؟! فتحول أبو أيوب وأهله، فباتوا فى جانب من جوانب البيت، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**أسفل أرفق بى**».

فقال أبو أيوب رضي الله عنه: لا أعلو سقيفة أنت تحتها يا رسول الله.

فتحول أبو أيوب رضي الله عنه فى السفل -أى فى الطابق الأسفل- والنبي ﷺ فى الطابق الأعلى.

ويوم وصل الحبيب ﷺ إلى المدينة، كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء فيه كل شيء.

يا سبحان الله! قال الغزالى رحمه الله : يا عجبًا لنقائض الحياة، واختلاف الناس إن الذى شهرت مكة سلاحها لتقتله، ولم ترجع عنه إلا مقهورة، واستقبلته المدينة، وهى جزلانة طروب، وتنافس رجالها يعرضون عليه المنعة والعدة والعدد.

والتف الناس حول الرسول الأعظم ﷺ فخطب فى الناس، كما روى عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، انجفل الناس عليه -أى أقبلوا- وكنت فيمن أنجفل، فلما رأيته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «**أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْـجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**».

أيها المسلمون . . عباد الله...

جاء المهاجرون إلى المدينة، تركوا ديارهم وأموالهم، فكانوا فقراء ليس لهم دور تأويهم، وليس لهم مال، جاءوا فقراء إلا من الإيمان، أغنياء بدينهم وبإيمانهم جاءوا إلى الأنصار، وهم فى دورهم وأموالهم، وقد قال الله ﷻ عن المهاجرين: ﴿ **لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا** ﴾ وهم مع فقرهم ﴿ **وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾** ﴾ [الحشر: ٨].

ونحن الآن آمنون فى أوطاننا، وفى دورنا وبيوتنا، وبين أبنائنا، وفى أهلنا، ومعنا الأموال فهل نصرنا الله ورسوله، كما نصر المهاجرون الله ورسوله مع فقرهم وحاجتهم.

أما الأنصار، فيقول الله عنهم: ﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾** ﴾ [الحشر: ٩، ١٠].

الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم وهذا درس من أعظم الدروس فى هجرة الرسول ﷺ (الإيثار) كما آثروا قبله رسول الله ﷺ.

لما آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، آخى بين سعد بن الربيع رضي الله عنه الأنصارى وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه -المهاجرى - فماذا حدث؟ انظروا إلى الأخوة الإيمانية، انظروا إلى الأخوة الصادقة، انظروا إلى الإيثار الذى لم يذكر لنا التاريخ له مثيلاً.

قال سعد بن الربيع رضي الله عنه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : إنى أكثر الأنصار مالاً، سأقسم مالى بينى وبينك شطرين، ولى امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فأطلقها، حتى إذا حلت -وفى رواية-: إذا انقضت عدتها تزوجتها.

فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : بارك الله لك فى أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدله على سوق بنى قينقاع.

أحبتى فى الله...

والله الذى لا إله غيره، لولا أنه وقع يقينًا، لاعتبر من الأحلام، إنها قصة من عالم الحقيقة، ولكنها والله أقرب إلى الرؤى الحالمة.

وفى الصحيح من حديث أبى هريرة رضي الله عنه «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّى مَجْهُودٌ. - أي أصابه جهد - فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْـحَقِّ مَا عِنْدِى إِلاَّ مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ، لاَ، وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْـحَقِّ مَا عِنْدِى إِلاَّ مَاءٌ.

فَقَالَ ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم **«مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّـهُ»**.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يا رسول الله. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ: أَكْرِمِى ضَيْفَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِى .

قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَىْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِى السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا

أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ. قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللَّـهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

فهل رأينا صورة من صور الإيثار أعظم من هذه الصورة العظيمة؟!

أتدرون من هؤلاء؟ ومن الذى رباهم؟ وفى أى المدارس أو الجامعات تخرج هؤلاء العظماء؟ إنهم ملائكة البشر.

رباهم سيد البشر سيدنا محمد ﷺ وتخرجوا فى جامعة الإيمان من كلية الحب الصادق، والأخوة الإيمانية، وقد تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ هذا الإيثار المثالى الأسمى، الذى لم يكن إيثارًا انفعاليًّا عاطفيًّا مجردًا، ولكنه إيثارٌ يعتمد على العاطفة الإيمانية العاقلة، ففى البخارى عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ببردة منسوجة، فقالت: يا رسول الله، نسجتها بيدى لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ وهو محتاجٌ إليها، فخرج الرسول ﷺ وإنها إزاره.

فقال رجل: اكسنيها ما أحسنها!

فقال ﷺ : «نعم» فجلس النبي ﷺ فى المجلس، ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته، وقد علمت أنه لا يرد سائلاً؟!

فقال: والله ما سألته لألبسها، إنما سألته، لتكون كفنى.

قال سهل رضي الله عنه : فكانت كفنه.

عباد الله...

هذا درس عظيم، وهاكم درس آخر، لما دخل رسول الله ﷺ المدينة راكبًا

ناقته، سار يمشى معه الناس حتى بركت الناقة، وكان المكان الذى بركت فيه الناقة يصلى فيه يومئذٍ رجال من المسلمين، وكان مربدًا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل» ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين، وأراد أن يشتريه منهما، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة، حتى ابتاعه منهما.

وفى رواية لأنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان فيه قبورًا للمشركين، وفيه خرب، وفيه نخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخرب -أى الحفر فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر، وهم يرتجزون، والنبي ﷺ معهم وهو يقول:

اللَّهُمَّ لا خـير إلا خـير الآخـرة فاغفـــر للأنـــصار والمهاجـــرة

وكان النبي ﷺ ينقل معهم اللبن، والتراب، وكان ذلك يزيد من نشاط الصحب الكرام - رضي الله عنهم - فى العمل، حتى أحدهم، ليقول:

لـــئن قعـــدنا والنبـــي يعمـــل لـــذاك مـــنًا العمـــل المـــضلل

وكان الصحابة كل واحد يحمل لبنة لبنة إلا سيدنا عمّار بن ياسر رضي الله عنه كان يحمل لبنتين، فرآه النبي ﷺ فنفض عنه التراب وقال له: «**وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْـفِئَةُ الْـبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْـجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**».

فكان المسجد مصدر النور والعلم والبصيرة، والعزة للإسلام والمسلمين، ولا أدل على عظيم مكانة المسجد ومعرفة المسلمين الأوائل أن لا طريق لإعلاء دينهم الذى هو مصدر عزهم، إلا بالانطلاق منه، فكان مصدرًا للدعوة، ومنبعًا لها، ومورِدًا للصحابة رضي الله عنهم للجلوس معه ﷺ تخرج من مسجده الجنود البواسل، خرّج الأبطال، خرّج العلماء الذى علموا الدنيا كلها، خرّج القراء، خرّج كل

الفئات وكل ما هو خير، بخلاف عصرنا الحاضر، ماذا للمساجد من دور؟ لماذا أصبحت المساجد مهملة فى مجتمعاتنا؟ وإذا اعتنى بها فمن أجل الصلوات فقط، ولا دور لها بعد ذلك فى حياة المسلمين.

ولا عجب بعد ذلك أن يقول النبي ﷺ : «**المسجد بيت كل تقي**».

ويقول النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا: كتاب الله وسنتى**».

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم الحليم العظيم، أحمده وأشكره على آلائه ونعمه التى لا تعد ولا تحصى، تبارك ربنا وتقدس له الأسماء الحسنى.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة من عقابه وعذابه، وأسأله أن يجعلها سببًا للفوز برضوانه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبده ورسوله، أحرص الناس على ثوابه، وأخوفهم من عقابه، اللَّهُمَّ صلّ وسلم وبارك عليه وعلى صاحبه أبي بكر أفضل أصحابه، وعلى عمر الذى أعز الله به دينه، وعلى عثمان شهيد داره ومحرابه، وعلى عليّ الذى كشف المشكل من العلوم وكشف نقابه. وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

أحبتى فى الله...

وقد دلت الهجرة النبوية على حب الرسول ﷺ للمدينة المنورة وحبه للأنصار، فقد دعا لها برفع الوباء عنها، لأنهم لما قدموا إليها وعك أبو بكر رضي الله عنه

كما وعك سيدنا بلال وغيرهما، فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْـمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْـجُحْفَةِ**»[١].

فاستجاب الله ﷻ دعاءه ﷺ فأرى فى المنام أن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بالمهيعة، وهى الجحفة، ودعا النبي ﷺ لها بالبركة فى كل شيء، فقال: «**اللَّهُمَّ اجعل بالمدينة ضعف ما جعلت بمكة من البركة**»[٢]. وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ، بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ**»[٣].

وفى رواية عند البخارى «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْـمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، بِمِثْلَيْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ**»[٤].

وللمدينة فضائل جمة لسنا بصدد الحديث عنها، مما جعل الصحابة يحرصون على أن يهاجروا إليها.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين، اللَّهُمَّ لا تخيب رجاء من هو متوكل عليك، ولا تصغر كفًا هى ممدودة إليك ولا تذل نفسًا هى عزيزة بمعرفتك، ولا تسلب عقلا هو مستضيء بنور هدايتك، ولا تعم عينًا فتحتها بنعمتك، ولا تحبس لسانًا عودته الثناء عليك وكما أنت أولى بالتفضل فكن أحرى بالإحسان، الناصية بيدك والوجه عانٍ لك، والخير منك،

---

(١) رواه البخاري كتاب «الدعوات» باب الدعاء برفع الوباء رقم (٦٣٧٢).
(٢) رواه البخاري كتاب «فضائل المدينة» رقم (١٨٨٥).
(٣) رواه مسلم في كتاب «الحج» باب فضل المدينة.
(٤) رواه البخاري وغيره.

والمصير على كل حال إليك خذ بأيدينا أخذ الكرام عليك، فالشقى من لم تأخذ بيده، والسعيد من آويته إلى كنف نعمتك، ونقلته حميدًا إلى منازل رحمتك.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع قريب الدعاء، اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞

الخطبة الأربعون
من دروس الهجرة المباركة

الحمد لله، إلهي...

كيف أضام في سلطانك؟ وكيف أذل في عزك؟ وكيف أفتقر في غناك؟

أنا لا أضام وفي رحابك عصمتي ... أنا لا أخاف وفي حماك أماني

أنا إن بكيت فلن ألام على البكا ... فلطالما استغرقت في العصيان

يا واحدًا في ملكه ماله ثاني ... يا من إذا قلت: يا مولاي، لباني

أعصاك تسترني أنساك تذكرني ... فكيف أنساك يا من لست تناسني

حمدًا لك يا من رفعت السماء بلا عمد، وبسطت الأرض على ماء جمد، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ملك فقهر، وتأذن بالزيادة لمن شكر، وتوعد بالعذاب من جحد وكفر، صرف الأمور، وقدر المقدور، وسهل المعسور، ويسر الميسور، وسخر البحر المسجور، وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان والزبور، وأقسم بالقرآن والطور، والبيت المعمور، والبعث والنشور، وجعل الظلمات والنور، والولدان والحور.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، وأمين وحيه وخاتم رسله، وبشير رحمته، ونذير نعمته، بعثه بالنور المضيء، والبرهان الجلي، فأظهر الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة.

نشهد أنه بلغ رسالة ربه خير البلاغ، وأدى أمانته خير الأداء، ونصح أمته خير النصح، فكشف الله به الغمة، وأكرم به الأمة، فاللَّهُمَّ اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا

عن أمته، ورسولاً عن رسالته، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن سلك طريقهم، واهتدى بهديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون، أمة الحبيب المصطفى ﷺ . . .

وما زلنا مع الدروس والعبر والعظات المستنبطة من حادث الهجرة النبوية ومن أهم دروسها التي نعيش في ظلالها، [الثبات على المبدأ] فقد صبر رسول الله ﷺ وأصحابه- رضوان الله عليهم- على شدة الإيذاء من قريش وأعوانها في مكة صبرًا لا يعادله صبر، مما جعل خباب رضي الله عنه يأتي إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقال له: يا رسول الله، ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو الله لنا؟! فقعد رسول الله ﷺ وهو محمر الوجه، فقال: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْـمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْـحَدِيدِ، مَا دُونَ لَـحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّـهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّـهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[(١)].

إن أسلوب الطلب الذي جاء به خباب رضي الله عنه وخاطب به الرسول الأعظم «ألا تستنصر، ألا تدعو؟ يوحي بأنه صادر من وراء قلوب أضناها العذاب وأنهكها الجهد، وهدتها البلوى، فهي تلتمس الفرج العاجل، وتستبطئ النصر فيستدعيه خباب، لكن رسول الله ﷺ يعلم أن الأمور كلها مرهونة بأوقاتها وأسبابها، وأنه لابد من البلاء، ثم النصر، ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ** ﴿١١٠﴾ ﴾ [يوسف: ١١٠].

---

(١) رواه البخاري كتاب «مناقب الأنصار» باب ما لقى النبي وأصحابه (٤/ ٢٣٨).

فلقد كان الحبيب النبي ﷺ يربي أصحابه على التأسي بإخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم في تحمل الأذى في سبيل الله.

أُمّة التّوحيد...

إن هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة كشفت لنا معالم في الشدة والرخاء، والعسر واليسر، وأبانت لنا عن معادن النفوس، وطبائع القلوب، ومن علم حكمة الله ﷻ في تصريف الأمور، وجريان الأقدار فلن يجد اليأس إلى قلبه سبيلاً، ومهما أظلمت المسالك، وتتابعت الخطوب، وتكاثرت النكبات، فلن يزداد إلا ثباتًا، فالإنسان إلى ربه راجع، والمؤمن بإيمانه مستمسك، وبأقدار الله مسلم.

فهذا سيدنا صهيب بن سنام الرومي رضي الله عنه لما أراد الهجرة إلى رسول الله ﷺ في المدينة، قال له أهل مكة: يا صهيب، لقد أتيتنا فقيرًا، صعلوكًا، لا مال لك، أبعد أن كثر مالك تذهب به إلى محمد؟ فقال رضي الله عنه: أرأيتم لو تركت لكم مالي وداري وما أملك، أكنتم تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، فخلى لهم ماله، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ربح صهيب، ربح صهيب**»[1].

وفي رواية الحاكم في المستدرك أنه لما خرج مهاجرًا تبعه أهل مكة فثل كنانته فأخرج منها أربعين سهمًا، فقال: لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهمًا ثم أصير بعد إلى السيف، فتعلمون أني رجل، وقد خلّفت بمكة قينتين فهما لكم، وعند ابن كثير رحمه الله أعطيكم أواق من الذهب وتخلون سبيلي؟ ففعلوا، فقال لهم: احفروا تحت أُسكفة الباب تجدوها، وخذوا من فلانة الحليتين، والعجيب أنهم رجعوا يبحثون عن ما قاله مصدقين له، لأنهم يعلمون أن أصحاب محمد ﷺ لا يكذبون، فنزل فيه قول الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ**

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٢٧)، قال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧]. فلما رآه النبي ﷺ قال له: «**ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى**»[1].

وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد الهجرة وقف أمام المشركين موقفًا أذل فيه أنوفهم، وأظهر عجزهم، وألقى الرعب في قلوبهم.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما علمت أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه لَمَّا همّ بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهمًا، ومضى عند الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، وقال: شاهت الوجوه- أي قبحها الله- لا يرغم الله إلا هذه المعاطس- أي الأنوف- من أراد أن تثكله أمه، ويؤتم ولده وترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي.

قال علي رضي الله عنه: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين، علّمهم وأرشدهم ومضى لوجهه.

الله أكبر، لقد كان النبي ﷺ محقًّا عندما دعا الله عز وجل قائلاً: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِى جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْـخَطَّابِ**». قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ.

وكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نعم كان أحب إلى الله عز وجل من أبي جهل عمرو بن هشام، ورضي الله عن ابن مسعود حين قال: كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة.

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٣٩٨) في «المستدرك»، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ١٧٢).

عباد الله...

وها أنا أروي لكم قصة رجل آخر ممن صبر صبرًا شديدًا، واحتسب في سبيل الله في هجرته إلى المدينة، أتدرون من هو؟ إنه أبو سلمة رضي الله عنه تتحدث السيدة الجليلة أم سلمة رضي الله عنها فتقول: لما أجمع أبو سلمة رضي الله عنه الخروج إلى المدينة، رحَّل لي بعيره، ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة، قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد؟

تقول: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني منه، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط- عائلة- أبي سلمة رضي الله عنه وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيني وبين ابني وزوجي.

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس في الأبطح، فما أزل أبكي حتى أمسى سنة، أو قريبًا منها، حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا ترحمون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها.

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت.

قالت: فردّ بنو عبد الأسد إليّ ابني عند ذلك، فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني، فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم، لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ فقلت: ما معي إلا الله وابني هذا.

فقال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط كان أكرم منه، وكان إذا بلغ المنزل، أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر بعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجر، ثم تنحى عند شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدمه، فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري، أتى فأخذ بخطام الناقة، فقادني، حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك حتى أقدمني المدينة.

فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

أحبتي في الله...

أبعد هذا الصبر صبر؟! أبعد هذا الثبات ثبات؟!

إن الثبات على دين الله دليل على سلامة المنهج، وهو الطريق الموصلة إلى المجد والرفعة، وهو طريق لتحقيق الأهداف العظيمة، والغايات النبيلة ومن أعظم الدروس المستنبطة من هجرة الحبيب ﷺ [البيت المسلم المتكامل] لقد كان البيت المسلم حاضرًا لأخطر قرار في تاريخ الدعوة، فقد كانت عائشة وأسماء رضي الله عنهما تستمعان لتلك المداولات التي دارت بين رسول الله ﷺ وبين والدهما أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالت أسماء: بينما نحن يومًا جلوس في دار أبي بكر رضي الله عنه إذ أتى أبو جهل في نفر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك- وكان قد خرج مع رسول الله ﷺ مهاجرًا- فقلت: لا أدري أين هو؟! فرفع أبو جهل يده، ولطم خدي لطمة خرَّ منها قرطي (الحلق) ثم انصرفوا، إنه الثبات على الإيمان الذي يصنع المعجزات، إنه البيت الذي أسس على التقوى.

وتقول أسماء رضي الله عنها: لما توجه النبي ﷺ من مكة حمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه

معه جميع ماله- خمسة آلاف أو ستة- فأتاني جدي أبو قحافة وقد عمي، فقال: إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه.

فقلت: كلا، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، فعمدت إلى أحجار، فجعلتهن في كوة البيت (الطاقة) وغطيت عليها بثوب، ثم أخذت بيده، ووضعتها على الثوب وقلت له: هذا تركه لنا. فقال: أما إذ ترك لكم هذا فنعم.

إنه موقف يدل على صدق الإيمان، وسرعة البداهة، وحسن التصرف في الأمور الطارئة.

وعندما صنعت السفرة لتأخذها إلى رسول الله ﷺ في الغار، لم تجد ما تربط به الجراب، فقطعت قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، لذا سميت بذات النطاقين.

الله أكبر، ما أجمل هذا البيت المسلم بيت أبي بكر الصديق، ابنه عبد الله، وابنتاه عائشة وأسماء، وحتى مولاه عامر بن فهيرة، تأملوا في وسط الجاهلية، ومرابض الوثنية، نجد بيتًا صالحًا فيه مقومات الصلاح.

قارنوا هذا البيت المسلم ببيوتنا في دار الإسلام، أين البيت الذي تتوافر فيه صفات البيت المسلم كبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟

البيت المسلم يتعاون أفراده على الطاعة والعبادة، فإن كان الزوج ضعيف الإيمان تقويه الزوجة، واعوجاج سلوك الزوجة يقومه الزوج.

من سمات البيت المسلم أن تكون أسراره محفوظة، وخلافاته مستورة.

عباد الله...

ما أحوجنا إلى بيت كبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه! ما أحوجنا إلى أسرة كأسرة الصديق! ما أحوجنا إلى إيمان كإيمان أبي بكر، بل ما أحوجنا إلى آباء كأبي بكر رضي الله عنه وأبناء كأبنائه.

وهذه امرأة جليلة، امرأة لا يذكر اسمها إلا ونشعر بالرحمة والحب والحنان، أتدرون من هي؟ إنها حاضنة رسول الله ﷺ أم أيمن بركة الحبشية ﵂ إنها أم الحب ابن الحب أسامة بن زيد ﵄.

هاجرت ﵂ ماشية لتدرك رسول الله ﷺ بالمدينة ليس معها زاد، صائمة في يوم اشتد حره، وحر الرمضاء، أليم شديد، طائرة على جناحين من جوع وعطش، لا يشغلها شاغل، إلا أن تلحق بالنبي الحبيب ﷺ الذي طغى حبه في قلبها على كل هذه الآلام.

وعطشت أم أيمن في الطريق عطشًا شديدًا، كادت أن تموت من شدته، تقول ﵂ : فلما غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي، فرفعت رأسي، فإذا بدلوٍ من السماء مدلى برشاء أبيض، فدنا مني، حتى إذا كان حيث أستمكن منه، تناولته، فشربت منه، حتى رويت، فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش، وما عطشت بعدها، وهكذا أقبلت هذه السيدة على ربها، فأقبل الله عليها، وصدقت في إيمانها، وأخلصت في هجرتها لله ورسوله.

وقد عاشت هذه السيدة الجليلة أم أيمن ﵂ بعد وفاة الحبيب المصطفى ﷺ ، يقول أنس ﵁ بعد وفاة الرسول لعمر بن الخطاب ﵁ : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك، ما عند الله خير لرسوله ﷺ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[1]. فرضي الله عنها وأرضاها.

ويعلق الإمام النووي ﵀ فيقول: فيه زيارة الصالحين وفضلها وزيارة الصالح لمن هو دونه، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره، ولأهل ود صديقه،

---

(١) رواه مسلم (٢٤٥٤) في «فضائل الصحابة».

وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة، وسماع كلامها، واستصحاب العالم والكبير صاحبًا له في الزيارة والعيادة ونحوها، والبكاء حزنًا على فراق الصالحين والأصحاب، وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه[(١)].

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**[(٢)].

ويقول ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي»**[(٣)].

أو كما قال: **«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»**[(٤)]. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء حفظًا، يعلم بواطن البحار، وذرات الرمال، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا تحت أطباق الجبال.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، عالم الغيب والشهادة، الكبير المتعال، ذو العظمة والجلال.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى صحبه وآله خير آل، صلاةً دائمةً بالغدو والآصال.

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٦/ ١٤).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) تخرج قبل ذلك.

(٤) تخرج قبل ذلك.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

الهجرة وإن كانت حدثًا تاريخيًا مر منذ ألف وأربعمائة وثلاثين سنة، ولن يستطيع أحد من الناس بعد جيل المهاجرين أن يحققه، وذلك كما قال النبي ﷺ فيما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْـفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**» إلا أن رسول الله ﷺ فتح باب العمل للمسلمين الذين يأتون بعد ذلك، فقال في نفس الحديث: «**وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**».

فالجهاد والبذل والحركة، والعمل لأجل الدين، ولإعلاء كلمة الله، لن يتوقف أبدًا في الدنيا، والسعيد حقًا هو من انشغل بعمله عن قوله، وبنفسه عن غيره، وبآخرته عن دنياه، وأول مراحل الهجرة هي ترك المعاصي، والبعد عن مواطن الشبهات، قال ﷺ: «**وَالْـمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّـهُ عَنْهُ**».

ولن ينصر الدين رجل غرق في شهواته، والمعروف أن ترك المعاصي مقدم على فعل فضائل الأعمال، والإنسان قد يعذر في ترك قيام أو صيام أو نفل أو صدقة تطوع، لكنه لا يعذر في فعل المعصية، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**».

فهاجروا عباد الله بقلوبكم، فمن انتقل قلبه من ظلمة الشرك إلى نور التوحيد ومن الغواية إلى الهداية، ومن الشر إلى الخير، ومن الجهل إلى العلم، كان مهاجرًا هجرة قلبية، وكان عمله صالحًا، ومعاملته حسنة، وخلقه كريمًا، وهذه الهجرة هي التي يجب أن يقوم بها كل مسلم، وتلك هي الهجرة الباقية إلى قيام الساعة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أيها الموحدون...

اتقوا الله حق تقاته، وهاجروا من الباطل إلى الحق، ومن الفساد إلى الصلاح ومن الشر إلى الخير، ومن الرذائل إلى الفضائل.

هاجروا من الذل إلى العز، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن الظلم إلى العدل، ومن الغدر إلى الوفاء، ومن الغش إلى النصح، ومن الجبن إلى الشجاعة، هاجروا من البغض إلى الحب والود، ومن الأثرة والأنانية وحب النفس إلى الإيثار كالأنصار الذين آثروا المهاجرين على أنفسهم، فأحبهم مولاهم، وخلد ذكرهم.

هاجروا من الشقاق والخصام إلى الوفاء والوئام، ولا تتبعوا ما لا علم لكم به، من قول أو فعل، هاجروا من الكذب إلى الصدق، ومن النفاق إلى الإخلاص والإيمان.

جاء أبو معبد إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة، فقال له ﷺ: «**مَضَتِ الْـهِجْرَةُ لأَهْلِهَا، أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ وَالْـجِهَادِ**».

اتقوا الله، واذكروا هجرة نبيكم متعظين ومعتبرين، وأرخوا بها، لتذكروا عبرها على الدوام، وهاجروا إلى ربكم مخلصين له الدين، وهاجروا إلى رسوله بمحبته واتباع سنته، والعمل بشريعته، وكونوا كأسلافكم من المهاجرين والأنصار.

اللَّـهُمَّ ارحمنا برحمتك فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر.. نسألك أن تجيرنا من الخزي في الدنيا، ومن العذاب والخزي في الآخر. يا من يجير ولا يجار عليه.

اللَّـهُمَّ إنَّا لنا إليك حاجة وبنا إليك فاقة، فما كان منا من تقصير فاجبره بسعة

عفوك، وتجاوز عنه بفضل رحمتك، واقبل منا ما كان صالحًا، وأصلح منا ما كان فاسدًا، فإنه لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا مقدِّم لما أخرت، ولما مؤخر لما قدمت، ولا مضل لمن هديت، ولا مذل لمن واليت، ولا ناصر لمن عاديت، ولا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك، قولك الحق، ووعدك الحق، وحكمك العدل، وقضاؤك فصل.

اللَّـهُمَّ إنَّا نسألك النجاة يوم الحساب، والمغفرة يوم العقاب، والرحمة يوم العذاب، والرضا يوم الثواب، والنور يوم الظلمة، والرِّيَّ يوم العطش، والفرج يوم الكرب، وقرة عين لا تنفد ومرافقة نبينا محمد ﷺ.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا، ولآبائنا وإخواننا، وأهل بيوتنا وذريتنا، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

اللَّـهُمَّ من مات منهم فاغفر له ذنبه، ونور له قبره، وآنس وحشته، وآمن روعته، وابعثه آمنًا من عقابك، موقنًا بثوابك، مع الذين أنعمت عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ومن بقي منا فاهده فيمن هديت، وتوله فيمن توليته، وعافه فيمن عافيته، ووسع عليه فيما رزقته، وبارك له فيما أعطيته، وحبب إليه طاعتك، وارزقه العون على عبادتك، والحفظ بكفايتك، والعزة بولايتك. اللَّـهُمَّ اجعلنا هداة مهتدين، واجعلنا أهل بيت صالحين، وفقهنا في الدين، واجعلنا أئمة للمتقين، يا ذا الفضل العظيم.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الرحمن...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وأقم الصلاة.

الخطبة الحادية والأربعون

هجرة القلوب إلى علام الغيوب

الحمد لله. له الملك كله، وله الحمد كله، رب الأرباب، ومجري السحاب، ومسبب الأسباب، ومنزل الكتاب، وخالق الخلق من تراب، ذلت لجبروته الصعاب، وخضعت لملكوته الرقاب ويسبح الرعد بحمده والسحاب، والبرق والسراب، والشجر والدواب، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه مآب.

نحمده سبحانه بما هو أهله، ونشكره على آلائه ونعمه، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، عليه يتوكل المتوكلون، وإليه يلجأ الخائفون، وبكرمه يتعلق الراجون، وبسلطان قهره، وعظيم رحمته يستغيث المضطرون، بابه مفتوح للسائلين، وفضله مبذول للنائلين، عالم السر والنجوى، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، النبي المصطفى، والرسول المجتبى أمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، أشرف من وطئ الثرى بنعليه، أرسله ربه رحمة للعالمين، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]. فأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ففتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله ﷺ...

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فقد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

وانتهى الحديث عن هجرة الرسول ﷺ لكن لا ينبغي أن يكون الحديث عن هجرة الحبيب قصصًا تاريخية نملأ بها فراغنا في أيام معدودات ثم تنتهي من حياتنا، ثم نتركها وننساها دون أن يكون لها أثر في نفوس المسلمين الأتقياء أو قدوة في الأعمال والأخلاق، أو لا يتذكر المؤمن الهجرة إلا في كل بداية العام الهجري فقط، هذا ما لا ينبغي، ولكن لابد أن يكون لدى كل مسلم فقهًا لمعنى الهجرة، وأن يعمل بمدلولها.

فهيا بنا لنتحدث اليوم عن نوع آخر من أنواع الهجرة، أتدرون ما هذا النوع، إنه هجرة القلوب.

وقبل أن نتكلم عن هذا النوع من الهجرة، لابد أن نتعرف على معنى الهجرة وأنواعها.

قال أهل العلم: الهجرة معناها في اللغة مفارقة الإنسان غيره ببدنه أو بلسانه، أو بقلبه.

فهي تعني الترك والبعد، والمتروك قد يكون شيئًا ماديًا، وقد يكون معنويًا، فالأول كترك المكان إلى مكان آخر، والثاني كترك العصيان، وقد أشار النبي ﷺ إلى النوع الثاني في قوله: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وقال ﷺ: **«إِنَّ الْـهِجْرَةَ خَصْلَتَانِ: إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ، وَالأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ، وَلاَ تَنْقَطِعُ الْـهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلاَ تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْـمَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْـعَمَلَ»**(١).

والهجرة منها واجبة كوجوب الهجرة من مكة قبل الفتح، الذي صارت به دارًا للإسلام واستدل من قال بالوجوب بقوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ** ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فقد ذم الله المقصرين في الهجرة، وجعلها من تمام الإيمان، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾** ﴾ [النساء: ٩٧].

وقد استدلوا بقول النبي ﷺ: **«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْـمُسْلِمِ غَنَماً، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْـجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْـقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْـفِتَنِ»**(٢).

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» برقم (١٦٧١)، وصححه أحمد شاكر في «تخريج المسند» (٣/ ١٣٣).

(٢) رواه البخاري.

والراجح أن هذه الآيات كانت خاصة بالهجرة من مكة إلى المدينة، حيث يوجد الرسول ﷺ والمؤمنون، ليشترك المهاجرون مع الأنصار، ويتعاونوا على خير المسلمين، ويتخلصوا من فتنة الكفار لهم، والضغط عليهم ليرتدوا عن الإيمان، ولذلك قال النبي ﷺ: «**لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»(١).

وقد سئلت السيدة عائشة ﵂ عن الهجرة، فقالت: «لا هجرة اليوم، كان المؤمن يفر بدينه إلى الله ورسوله، مخافة أن يفتن، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، والمؤمن يعبد ربه حيث شاء»(٢).

ثم تأملوا أيها الأحبة الكرام الأفاضل ما حدث لرجل من أهل الإيمان، إنه ضمرة بن جندب ﵁ لقد خرج هذا الصحابي مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ - وكان مريضًا - فقال لأهله: احملوني، فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ لكن الأجل وافاه، جاءه الموت وهو في الطريق - قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ فنزل الأمين جبريل ﵇ على أمين الأرض محمد ﷺ يتلو عليه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠](٣).

فالهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة.

---

(١) تخرج في خطب سابقة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو يعلى (٢٦١٨) في «مسنده» (٦/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم (٥٩٢٣) في «تفسيره» (٤/ ٣٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٤٧٠) رقم (١١٥٤٤) بسند رجاله ثقات عن ابن عباس، قاله السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢١٦)، وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٣٥).

أيها الأحبة الكرام...

وقد ذكر ابن العربي أن العلماء قسموا الهجرة إلى قسمين: هجرة هروب وطلب، وأن هجرة الهروب ستة أقسام:

الأول: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام:

وكانت فرضًا في أيام النبي ﷺ مع غيرها من أنواعها، وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح، هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان، فمن أسلم في دار الحرب، وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام، فإن بقي فقد عصى، ويُختلف في حاله.

الثاني: الخروج من أرض البدعة:

قال ابن القاسم: سمعت مالكًا رحمه الله يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السلف، قال: وهذا صحيح فإن المنكر إذا لم يقدر على تغييره، نزل عنه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال ابن العربي رحمه الله: وقد كنت قلت لشيخنا الإمام الزاهد أبي بكر الفهري: ارحل عن أرض مصر إلى بلادك.

فيقول: لا أحب أن أدخل بلادًا غلب عليها كثرة الجهل، وقلة العقل، فأقول له: فارتحل إلى مكة، أقم في جوار الله وجوار رسوله؛ فقد علمت أن الخروج عن هذه الأرض فرض لما فيها من البدعة والحرام، فيقول: وعلى يدي فيها هدى كثير، وإرشاد للخلق، وتوحيد، وصد عن العقائد السيئة، ودعاء إلى الله عز وجل وتعالى الكلام بيني وبينه فيها.

الثالث: الخروج عن أرض غلب عليها الحرام:

فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم.

الرابع: الفرار من الإذاية في البدن:

وذلك فضل من الله ﷻ أرخص فيه، فإذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج عنه، والفرار بنفسه؛ ليخلصها من ذلك المحذور.

وأول من حفظناه فيه الخليل إبراهيم عليه السلام لما خاف من قومه قال: ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقال: ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات: ٩٩].

وموسى قال الله سبحانه فيه: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [القصص: ٢١].

وذلك يكثر تعداده. ويلحق به، وهو:

الخامس: خوف المرض في البلاد الوخمة، والخروج منها إلى الأرض النزهة:

وقد أذن النبي ﷺ للرِّعاء حين استوخموا المدينة أن يتنزهوا إلى المسرح، فيكونوا فيه حتى يصحوا، وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون؛ فمنع الله سبحانه منه بالحديث الصحيح عن النبي ﷺ بيد أني رأيت علماءنا قالوا هو مكروه.

السادس: الفرار خوف الإذاية في المال:

فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله أو آكد، فهذه أمهات قسم الهرب.

وأما قسم الطلب فينقسم إلى قسمين: طلب دين، وطلب دنيا؛ فأما طلب الدين فيتعدد بتعدد أنواعه، ولكن أمهاته الحاضرة عندي الآن تسعة:

الأول: سفر العبرة قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الروم: ٩].

وهذا كثير في كتاب الله ﷻ.

ويقال: إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها.

وقيل: لينفذ الحق فيها.

الثاني: سفر الحج.

والأول وإن كان ندبًا فهذا فرض، وقد بيناه في موضعه.

الثالث: سفر الجهاد، وله أحكامه.

الرابع: سفر المعاش؛ فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة، فيخرج في طلبه لا يزيد عليه ولا ينقص من صيد أو احتطاب أو احتشاش أو استئجار، وهو فرض عليه.

الخامس: سفر التجارة والكسب الكثير الزائد على القوت، وذلك جائز بفضل الله سبحانه.

قال الله سبحانه: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٩٨]. يعني: التجارة.

وهذه نعمة مَنَّ بها في سفر الحج، فكيف إذا انفردت.

السادس: في طلب العلم، وهو مشهور.

السابع: قصد البقاع الكريمة، وذلك لا يكون إلا في نوعين: أحدهما: المساجد الإلهية قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِى هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْـحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى**».

الثاني: الثغور للرباط بها، وتكثير سوادها للذب عنها، ففي ذلك فضل كثير.

الثامن: زيارة الإخوان في الله، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّـهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ:**

أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(١).

التاسع: السفر إلى دار الحرب، وقد تتنوع هذه الأنواع إلى تفصيل؛ هذا أصلها التي تتركب عليه.

عباد الله...

وأعظم أنواع الهجرة هجرة القلوب إلى الله ﷻ علام الغيوب، فيترك العبد ما كرهه ربه، فعن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الهجرة أفضل؟ قال: «أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ».

وقال: «الْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ: هِجْرَةُ الْحَاضِرِ، وَهِجْرَةُ الْبَادِي، فَأَمَّا الْبَادِي فَيُجِيبُ إِذَا دُعِيَ وَيُطِيعُ إِذَا أُمِرَ، وَأَمَّا الْحَاضِرُ فَهُوَ أَعْظَمُهُمَا بَلِيَّةً وَأَعْظَمُهُمَا أَجْرًا»(٢).

وقال العز بن عبد السلام ﵀: الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان، وهي أعظمها، لما فيها من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان(٣).

وللإمام ابن القيم ﵀ كلامًا طيبًا في هذا النوع من الهجرة، هجرة القلوب.

يقول: الهجرة هجرتان: هجرة إلى الله ﷻ بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم، والتفويض، والخوف والرجاء، والإقبال عليه، وصدق اللجؤ والافتقار إليه في كل نفس، وهجرة إلى رسوله ﷺ في حركاته

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) حسن: رواه النسائي (٧/ ١٤٤)، واللفظ له، وقال محقق «جامع الأصول» (١١/ ٦٠٨): حديث حسن.

(٣) «شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال» (٣٨٣).

وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد[1].

فالعاقل هو الذي يجعل قلبه مهاجرًا إلى ربه ومولاه، فيغرس شجرة التوحيد والإيمان في قلبه، ويرويها ويسقيها بالأعمال الصالحات، والتوبة والإنابة إلى خالق الأرض والسموات.

يقول ابن القيم رحمه الله عن شجرة التوحيد والإيمان: إن الله سبحانه غرس شجرة محبته ومعرفته وتوحيده في قلوب من اختارهم لربوبيته، واختصهم بنعمته، وفضلهم عن سائر خليقته، إنها ﴿ **كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

فكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في القلب وفروعها الكلم الطيب والعمل الصالح في السماء- فلا تزال هذه الشجرة تخرج ثمارها كل وقت بإذن ربها من طيب القول، وصالح العمل، ما تقر به عين صاحب الأصل وعيون حفظته، وعيون أهله وأصحابه، فإن من قرّت عينه بالله سبحانه قرَّت به كل عين وأنس به كل مستوحش، وطاب به كل خبيث، وفرح به كل حزين وأمن به كل خائف، وذكرت رؤيته بالله، فإن سمع سمع بالله، وإن أبصر، أبصر بالله وإن بطش، بطش بالله، وإن مشى، مشى بالله، فيه يسمع، وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، فإذا أحب فلله، وإذا أبغض فلله، وإذا أعطى فلله وإذا منع فلله.

يا فوز صاحب شجرة الإيمان:

فقد اتخذ الله وحده معبوده، وغاية قصده، ومنتهى طلبه واتخذ رسوله وحده دليله، وإمامه وقائده، وسائقه، فاتبعه واقتدى به، وتخلق بخلقه، وتأدب بآدابه

---

(١) «طريق الهجرتين» (١/ ٢٠) لابن القيم.

وتبع سنته، واتخذ من سيرته ﷺ نبراسًا يضيء له درب حياته في أمور الدنيا والدين.

فيا سعد من كان هذا حاله، ويا عزّ من كان هذا طريقه، فقد ظفر بسعادة الدارين.

وقد قيل عن شجرة التوحيد. السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها والأنفاس ثمارها.

فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت أنفاسه في معصية فثمرة شجرته حنظل، وإنما يكون الحصاد يوم المعاد، فعند الحصاد يتبين حُلو الثمار من مُرّها.

وإن العبد إذا اعتنى بشجرة الإيمان في قلبه واستحكم إيمانه خاف الله.

وإذا خاف الله، تولد من الخوف الهيبة.

وإذا سكنت الهيبة في القلب، تولد من الهيبة طاعته لربه.

فإذا أطاع العبد ربه، تولد من الطاعة الرجاء.

فإذا سكن الرجاء في القلب، تولدت المحبة.

إذا سكنت المحبة في القلب، تولد الشوق إلى الله.

وإذا اشتاق العبد إلى ربه، أدّاه الشوق إلى الأنس بالله.

فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله.

فإذا اطمأن إلى الله، كان ليله في نعيم ونهاره في نعيم وسره في نعيم وعلانيته في نعيم.

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت. كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال: ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، خالق القلوب، ومنير الدروب، وكاشف الكروب، نحمده حمد من أطاع وأناب، واستغفر وتاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، علام الغيوب، وغافر الذنوب، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، مطهر النفوس، وطبيب القلوب، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين صلاة تفتح لنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًّا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

والسؤال المهم، كيف ننمي شجرة الإيمان في قلوبنا؟

قال علماؤنا: لا سبيل إلى تنمية شجرة الإيمان في القلوب إلا باتباع أمور منها:

الأولى: معرفة مدى فقر العبد إلى ربه، واحتياجه إليه، لأنه سبحانه وتعالى هو خالق الخلق، وهم محتاجون إليه، كما قرر ذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿ ۞ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

فالفقر للعباد أمر ذاتي لهم، والغنى أمر ذاتي له سبحانه وتعالى، وهو الذي أخرج العباد من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، ولا يقدرون على شيء، ولا يملكون شيئًا، لا يستطيعون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملكون موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، قال تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

أخرجهم ليس لهم يد تبطش، ولا سن تقطع، ولا رجل تسعى، فسخر له ما في السموات، وما في الأرض، سخر له البحار والأنهار، وجعل له الليل والنهار، وأسبغ عليه نعمًا لا تعد ولا تحصى.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتًا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ۝ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝ ﴾ [النحل: ٨٠ - ٨٢].

لما أسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة، وعلمه وأقدره، وصرفه وحركه، ظن المسكين أن له نصيبًا من الملك، ونسي ما كان منه في حالة الضعف والفقر فينبغي على العبد أن يهجر بقلبه، يهجر الشر إلى الخير، يهجر الحقد والغل والحسد إلى الحب والمودة والألفة، يهجر إخوان السوء، وأصدقاء الشر إلى أصدقاء أتقياء أوفياء، يهجر البخل والشح إلى الجود والكرم، يهجر الرياء إلى الإخلاص، يهجر الغيبة والنميمة إلى القول الحسن الجميل، يهجر الدنيا وشهواتها إلى الآخرة، يهجر الشهوات والشبهات إلى الزهد والورع، ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

اهجروا الغفلة والنسيان إلى الذكر، وقراءة القرآن، اهجروا مجالس السوء بمجالس العلم، اهجروا الجهل إلى العلم اهجروا ترك كتاب الله إلى العمل به.

يا غافلاً أفق، يا حاملاً ما لا يطيق، ألست الذي بارزت بالذنوب مولاك؟ ألست الذي عصيته وهو يرعاك؟ أسفًا لك، ما الذي دهاك حين بعت هداك بهواك، يا ليت عينك أبصرت ذل الخطايا قد علاك.

أتضحك أيها العاصي ... ومثلك بالبكا أحرى
وبالحزن الطويل على ... الذي قدمته أولى

نـــسيت قبـــيح مـــا أســـلفت	والـــــــرحمن لا ينـــــــسى
فـــبادر أيهـــا المـــسكين	قـــبل حلـــول مـــا تخـــشى
بـــإقـــلاع وإخـــلاص	لعـــــل الله أن يـــــرضى

هاجر إلى باب ربك فبابه مفتوح للطالبين، وجنابه مبذول للراغبين، وفضله ينادي على الغافلين، وإحسانه ينادي الجاهلين: اخرجوا من دائرة المذنبين، وبادروا مبادرة التائبين، وتعرضوا لنسمات رحمته راغبين، وارفعوا أكف الضراعة منيبين، داعين.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللَّهُمَّ كن لنا ولا تكن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا واهدنا واهد بنا، ويسر الهدى إلينا، وانصرنا على من بغى علينا.

اللَّهُمَّ لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، اللَّهُمَّ ارفع مقتك وغضبك عنا، اللَّهُمَّ إن هذا حالنا لا يخفى عليك فعاملنا يا ربنا بالإحسان إذ الفضل منك وإليك، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

اللَّهُمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

عباد الله...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ ۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون. وأقم الصلاة.

الخطبة الثانية والأربعون

من وحي يوم عاشوراء

الحمد لله رب العالمين، يا رب لك الحمد كالذي نقول، ولك الحمد خيرًا مما نقول، لك الحمد على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، ولك الحمد على نعمة القرآن وكفى بها نعمة، ولك الحمد على الرضا بالقليل، والرضا باليسير، ولك الحمد على نعمائك التي لا تحصى، وفضلك الذي لا ينقطع وكرمك الذي لا يحجب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، سبحانه سبحانه، معز المؤمنين، وناصر أولياءه المتقين، ومذل الطغاة، ومهلك المستكبرين، جعل من آيات كتابه نورًا للسالكين، وفي قصصه عبرة للمعتبرين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، ريضت القلوب على حبه، وأنست بقربه، خلقه عظيم، ونهجه قويم، ما ضل، وما زل، وما غلَّ، ما ملّ، وما كلّ، فما ضل لأن الله هاديه، وجبريل يكلمه ويناديه، وما زل لأن العصمة ترعاه، والله أيده وهداه، وما ملَّ لأنه أعطى الصبر حليفه، والفوز رديفه، وما كلّ لأن له عزيمة، وهمة كريمة، ونفسًا طاهرة مستقيمة.

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، صلاةً تفتح لنا بها أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًّا ونصيرًا، فأنت يا ربنا، نعيم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها الموحدون الكرام...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب

العرش الكريم أن يجمعني وإياكم مع سيد الدعاة في جنته، ودار كرامته في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

إن للرب تبارك وتعالى نفحات، يتعرض لها أهل الخيرات، ويحرم منها المحروم بذنبه، ويقصر فيها المقصر بشطحه، وهذه النفحات من كرم الكريم ومن تودد الودود الرحيم، فلا تسأل عن الكريم إن أكرم، وإن أسبل على عباده البركات وأنعم.

ومن هذه النفحات المباركات، وزاد الطاعات يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من شهر المحرم، ولهذا اليوم تاريخ سابق، له شأن عظيم، فهو يوم من أيام الله المشهودة، وشهر الله المحرم هو بداية العام الهجري الجديد، ومن قبله شهر ذي الحجة هو من الأشهر الحرم، وهو من المواسم التي فيها أعمال صالحات تتقرب فيها بالطاعات إلى رب الأرض والسموات.

وكم هو جميل أن تختم عامك بالصالحات، وتستفتحه بالصالحات، فإن وفقت إلى ذلك أخي الحبيب فلأنت السعيد حقًّا، ولأنت المغتبط بالصالحات يقينًا وصدقًا، قال ابن المبارك رحمه الله: من ختم نهاره بذكر الله، كتب نهاره كله ذكرًا، يشير إلى أن الأعمال بالخواتيم، فإن كان البدء والختام ذكرًا فهو أولى أن يكون حكم الذكر شاملاً للجميع.

وعندما يأتي شهر المحرم فلتعلم أنه موسم جديد من مواسم الطاعات قد أقبل عليك وها هي تباشير موكبه تلوح على الأفق، إنها أيام شهر الله الحرام، فلا تفوتك هذه الأشهر إلا وأنت قائم لله عز وجل بالعبودية، والتوبة والإنابة إلى صاحب الفضل والإنعام، والجود والإكرام، رب الأرض والسموات، الذي قال في آياته البينات: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦].

قال القرطبي رحمه الله: خص الأربعة أشهر الحرم بالذكر، ونهى عن الظلم فيها تشريفًا لها، وإن كان منهيًا عنه في كل زمان، فها هو عامك يفتتح بشهر حرام، ويختم بشهر حرام.

وأعظم يوم في هذا الشهر، هو يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي نجى الله عز وجل فيه كليمه ونبيه موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين.

نجاهم ممن؟ نجاهم من ألد أعدائهم، نجاهم من فرعون اللعين، الذي كان يقول لمن حوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾ [القصص: ٣٨]. وكان يقول: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]. كان من ألد أعدائهم لأنه كان يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم، وكان في الأرض من المفسدين، كان من المتكبرين المتعالين.

لقد كان يقول لهم: ﴿ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١]. هذا المتعجرف كان يقتل الأطفال، لماذا يقتل الأطفال، والطفل حين يولد لا حول له ولا قوة، إنه يصيح ويبكي يريد رضعة تملأ معدته، تصحبها ضمة حانية، إذ به يجد يدًا أثيمة تخنق أنفاسه.

سبحان الله، جسد غض رقيق، يرتعش حال خروج روحه البريئة، ما ذنبه؟

لا ذنب له إلا أن فرعون الأثيم اللئيم، رأى في منامه رؤيا، فسرها له أتباعه، بأن مولودًا يولد من بني إسرائيل سيولد، يكون على يديه هلاكك، وزوال ملكك، فكان قتله للأطفال بسبب خوفه الشديد، وفزعه من أن يولد هذا الطفل الذي يكون سببًا في زوال ملكه، فإذا بالعليم العلام، يرسل إليه ذلك الطفل إلى داخل قصره، في تابوت خشبي، حملته الأمواج، وحمله الماء بقدرة رب الأرض والسماء إلى قصر فرعون.

فيتلقاه ويأخذه، ويجلب له المراضع ويتربى في قصره، وعلى عينه، ﴿ وَٱللَّهُ

غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]. يغذيه بأطيب الطعام بعد الفطام، ويلبسه أفضل اللباس، وما شعر للحظة واحدة أنه يغذي عدوه الذي سيذهب ملكه على يديه، فأين تدبيره؟ وأين احتياطاته التي اتخذها لعدم زوال ملكه؟

وتمر الأيام والسنون، ويشب موسى عليه السلام، ويذهب موسى إلى مدين، ويترك القصر بمن فيه من الظلمة والمعتدين، ثم يرسله الله تعالى إلى فرعون، ليأمره بأن يعبد الله وحده لا شريك له، فيأبى ويتجبر، فيكون هلاكه على يد نبي الله موسى عليه السلام، وبعدما كان يقول: ﴿ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ [الزخرف: ٥١]، إذ بالمولى تعالى يجريها من فوقه.

لما آمن بموسى عليه السلام من آمن من السحرة، كانوا أول اليوم كفارًا فجرة، وفي آخر النهار أتقياء بررة، ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه: ٧٠، ٧١].

فماذا كان رد فعلهم؟ هل خافوا من فرعون؟ لا؛ لأن الإيمان صار في قلوبهم أثبت من الجبال الراسيات، ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ [طه: ٧٢].

ما هي النتيجة؟ ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه: ٧٣]. فخرج موسى بمن معه من المؤمنين الموحدين بأمر من رب العالمين، فماذا حدث؟ ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٠]. أي في وقت شروق الشمس.

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١]. قالوا له: يا موسى البحر أمامنا، والعدو وراءنا، فماذا نفعل؟ إن العدو سيدركنا، ﴿ قَالَ

﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝﴾ [الشعراء: ٦٢]. فأمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه، فضربه، فكان كل فرق كالطود العظيم، صار البحر طرقًا بفضل صاحب العزة والكبرياء، فظن فرعون أن الطريق ممهد له كما مهد لموسى ومن معه، لكنه كان من المغرقين، أغرقه الله ﷻ.

تأملوا سنة الله ﷻ العجيبة في إهلاك الظالمين، الماء جند من جنود الله ﷻ.

أحبتي في الله...

يوم عاشوراء، يوم النجاة، لما وصل الحبيب النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم: «**مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟**».

قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ**». فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ بِصَوْمِهِ[(١)].

المسلم يصوم هذا اليوم فرحًا لنجاة وظهور الحق وشيوعه، ويستمد من هذا أن الفرح بظهور الحق أولى من الفرح بانقضاء الباطل، وإن كان المسلم يفرح للاثنين، لأن النبي ﷺ لم يجعل سبب الصيام هلاك فرعون مع أن هلاك فرعون من أعظم أسباب الفرح، لأنه من أكبر طواغيت التاريخ.

ولقد رتب النبي ﷺ على صيام يوم عاشوراء أجرًا عظيمًا، أخبر عن ذلك فيما أخرجه الإمام مسلم عن أبي قتادة بقوله: «**وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**»[(٢)].

فيا معشر الموحدين، أنتم أولى بصيامه من اليهود الملاعين.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) رواه مسلم (١١٦٢) وغيره.

أنت أيها المسلم أحوج لأن تكفر عنك سيئة واحدة، فكيف بعام كامل؟

الله أكبر، يا له من فضل عظيم، من مولىً كريم، ورب رحيم، وقد عزم النبي الأمين، وخاتم النبيين على أن يصوم يومًا قبله مخالفة لأهل الكتاب فقال: «**لَئِنْ عِشْتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**»(١). لكن رسول الله ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى، ولم يصم.

قال ابنُ القَيِّم رحمه الله: مراتب صوم يوم عاشوراء ثلاثة، أكملها: أن يصام قبله يوم، وبعده يوم، ويلي ذلك: أن يصام التاسع والعاشر، وعليه أكثر الأحاديث، ويلي ذلك: إفراد العاشر وحده بالصوم، وهنيئًا لمن صام يومًا في سبيل الله ﷻ، قال أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ: «**مَنْ صَامَ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، زَحْزَحَ اللَّـهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ بِذَلِكَ سَبْعِينَ خَرِيفاً**»(٢).

وفي رواية عند الطبراني في الأوسط من الصغير بإسناد حسنه المنذري من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ جَعَلَ اللَّـهُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»(٣).

أيها الأحبة الكرام الأفاضل...

ولا حرج على المسلم أن يسأل عن طقوس الديانات الأخرى، ليعلم أسبابها لأن النبي ﷺ سأل عن سبب صيام اليهود، فإن المسلم لابد أن يكون معلمًا مثقفًا، حتى لا يؤخذ على غرة، وفي هذه المعرفة زيادة في الإيمان بأن الإسلام حق، ولكي يتمكن من الرد على الطوائف الأخرى بمصداقية أكبر لكن هل ورد في صوم يوم عاشوراء أحاديث أخرى؟

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩١٦).

(٢) صحيح: رواه النسائي والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٩٨٩).

(٣) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٩٠).

الجواب نعم، جاء في البخاري أن عبد الله بن عباس ﵄ قال: ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضّله على غيره، إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا شهر - يعني شهر رمضان.

ومن الفوائد المستفادة من حديث ابن عباس ﵄: أن ربط الحكم أو الفعل بعلته يزيد في الإذعان والقبول، والامتثال، ومن أجل هذه العلة يزيد الأجر، كما قرر ذلك الأصوليون، فقد ربط الفعل وهو الصيام بعلة أن هذا اليوم قد نجى الله ﷻ فيه موسى عليه السلام من عدوه فرعون، ويستفاد كذلك أن الدولة الإسلامية تسمح لأهل الكتاب المقيمين فيها أن يقيموا طقوس دينهم، بشرط عدم ظهور الشرك، وأن لا يؤثر ذلك على أحد من المسلمين، وبشروط أخرى حددها أهل العلم في كتب الفقه، لأن النبي ﷺ لم يمنع اليهود من إقامة شعيرة صيامهم إلا في جزيرة العرب لأن آخر ما نقل عن النبي ﷺ أنه قال: «**لاَ يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْـعَرَبِ دِينَانِ**»[1]. ولا يقال بأن هذا الإقرار- أي صيام اليهود ليوم عاشوراء كان في جزيرة العرب، فمن أين الاستثناء؟ لأن النبي ﷺ أجلى اليهود من المدينة فيما بعد، ثم أجلاهم من خيبر، فلم يطبق هذا الإقرار فيما بعد، عندما قويت شوكة الإسلام في جزيرة العرب، وبقي الحكم على أصله خارج الجزيرة.

أحبتي في الله...

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**»[2]. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**».

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٧).

(٢) صحيح: رواه البيهقي عن أبي عبيدة بن الجراح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦١٧).

ويقول: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله، وسنتي**»[١]. أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، المنتقم ممن خالفه، المهلك من آسفه، المتوحد في قهره، والمنفرد بعز أمره، أحمده حمد شاكر لما أولاه، مستقيل مما جناه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة يقين لا شك فيه، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتريه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، الذي استأمنه على كتابه، وأيده بمعجزاته، وبرأه من كل دنس وعيب.

اللَّهُمَّ فصلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكاها وأنزلهم من منازل الكرامة أعلاها.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

الله ﷻ يخلق ما يشاء ويختار، قال العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام: وتفضيل الأماكن والأزمان ضربان: أحدهما: دنيوي- والثاني: تفضيل ديني راجع إلى أن الله ﷻ يجود على عباده فيها بتفضيل أجر العاملين كتفضيل صوم رمضان على صوم سائر الشهور، وكذلك يوم عاشوراء، ففضلها راجع إلى جود الله وإحسانه إلى عباده فيها.

فيوم عاشوراء يوم عزة وتمكين، يوم مغفرة وتطهير، يوم شكر وتحدث بالنعم، فما أعظم معانيه!، وما أجل عظاته!

---

(١) رواه البخاري وأحمد في «مسنده».

لنا فيه أيها الأحبة الكرام وقفات لا ينقطع نفعها، ومعين لا ينضب صفاؤها ودعوا عنكم دعاوى أقوام أحدثوا فيه أقوالاً وأفعالاً ما أنزل الله بها من سلطان، تفكروا وقفوا، وسيروا بيقين إلى موعود ربكم، واعلموا أن الأيام شواهد، فاستوقفوها تنطق لكم ملء أسماعكم، وأفئدتكم، هذا اليوم يحدثنا أن العاقبة لمن اتقى، وأن نصر الله تعالى لأوليائه قريب، وأن الكافر وإن غرته مهلة الزمان، وركن إلى قوة رأى بها أنه الأغلب والأظهر، فقال: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥].

فإن أمره إلى بوار، وقوته إلى صغار، ففرعون رأى في قوته وملكه ما دعاه أن يقول: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]. فإذا عاقبة لم يحسب لها حسابًا، صار بها أسفل ما يكون أرضًا، وما استطاع أن يعلو على الماء الذي تعلوه أصغر وأضعف الكائنات خلقة.

يوم عاشوراء دليل على تنوع النصر بالنسبة للمؤمنين، فقد لا يكون النصر على الأعداء بهزيمتهم، والغنيمة منهم، بل أحيانًا يكون النصر عليهم بهلاكهم وكفاية المسلمين شرهم، كما حدث مع الكليم موسى عليه السلام، وكما حدث مع حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق.

هذا اليوم العظيم، يوم عاشوراء يحدثنا ويذكرنا بأن النعم حين لا يقارنها الشكر فهي مهددة بالزوال، فبالشكر تدوم النعم وتزيد، لما نجى الله موسى عليه السلام في هذا اليوم، سارع بصيامه شكرًا لله عز وجل على نعمة النصر، وصامه حبيبنا صلى الله عليه وسلم بصيامه، والشكر يكون بالفعل، ويكون بالقول، يكون بالقول بالتحدث عن نعمه، ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]. وبالفعل، فقد كان نبينا يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له: لِمَ تفعل ذلك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»[1].

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

يوم عاشوراء يوم يعرفك، ويبين لك أنك من أمة لها من المكانة أسماها وأن التطلع إلى بضاعة مخالفيها دنو تذل به النفس، وتضيق به النظرة، فكان ينبغي على أفرادها أن يتجنبوا التشبه بأعدائها، إبقاءً للتميز، وحفاظًا على سمو المكانة، ولذلك نرى الرسول ﷺ يأمر أصحابه بل وأمته أن يخالفوا اليهود في صيام هذا اليوم، فيصوموا يومًا قبله، أو يومًا بعده مخالفةً لهم.

قال الصحابة - رضوان الله عليهم-: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال ﷺ: «**فَإِذَا كَانَ الْـعَامُ الْـمُقْبِلُ - إِنْ شَاءَ اللَّـهُ - صُمْنَا الْـيَوْمَ التَّاسِعَ**»[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما راوي الحديث: فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله.

يوم عاشوراء يبين لك، ويرشدك إلى أن أمر العبادة قائم على الاتباع، فلا يجوز إحداث عبادات لم تشرع، كما لا يجوز تخصيص يوم عاشوراء ولا غيره من الأزمات الفاضلة بعبادات لم ينص عليها الشارع الحكيم في ذلك الزمن، فالتعرض لنفحات الله عز وجل يكون باتباع شرعه، واقتفاء أثر نبيه ﷺ فيها فما يفعله البعض من الاغتسال والاكتحال، واستعمال البخور، والتوسع في المأكل والمشرب، وطحن الحبوب، وطبخ الطعام المخصوص، وإظهار البهجة والسرور، عادات لا تخلو من منكرات قبيحة، وكذا في العبادات من قيام يوم عاشوراء أو ليلته وزيارة القبور فيه، والصدقة، وقراءة سورة فيها سيدنا موسى عليه السلام كله من البدع التي لا أساس لها، ولا دليل عليها، فاحرصوا على ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، اللَّهُمَّ انصرنا على أعدائنا، اللَّهُمَّ إننا مثقلون بالذنوب والخطايا، وبضاعتنا في الخير قليلة، فلا

---

(١) تقدم تخريجه.

تؤاخذنا بذنوبنا، اللَّهُمَّ لا نهلك وأنت رجاؤنا، اللَّهُمَّ عاملنا برحمتك وحلمك واجعل حبنا لدينك ولنبيك ولعبادك شفيعًا لنا عندك.

اللَّـهُمَّ نجنا من عذاب القبر ومن عذاب النار... اللَّـهُمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همنا يا عزيز يا غفار... اللَّـهُمَّ إن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين، ولا مفرطين ولا مضيعين، ولا مغيرين ولا مبدلين.

اللَّـهُمَّ لا تدع لأحد منا ذنبًا إلا غفرته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا همًا إلا فرجته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا عاصيًا إلا هديته، ولا طائعًا إلا ثبته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها يا رب العالمين.

اللَّـهُمَّ اجعل كل جمع لنا جمعًا مرحومًا، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا، ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيًا ولا محرومًا.

اللَّـهُمَّ استرنا ولا تفضحنا، وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا... اللَّـهُمَّ اقبلنا وتقبل منا، وتب علينا وارحمنا؛ إنك أنت التواب الرحيم... اللَّـهُمَّ وحد كلمتنا.. اللَّـهُمَّ ألف بين قلوبنا... اللَّـهُمَّ وحد صفنا.

اللَّـهُمَّ رد الأمة إليك ردًا جميلًا... اللَّـهُمَّ أبرم للأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر؛ أنت ولي ذلك والقادر عليه يا رب العالمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأقم الصلاة.

الخطبة الثالثة والأربعون

مع الحبيب المصطفى يوم مولده

الحمد لله، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

وكفى بالله شهيدًا، شمس الهداية، وكوكب الرعاية الربانية، من تولاه مولاه بالعناية الإلهية،وأعلى مقامه فوق كل مقام.

نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، احتفل بميلاد نبينا في عالم الأنبياء، فكان كلما بعث نبيًّا، أخذ عليه العهد أن يؤمن بمحمد ﷺ، اسمع إلى ما قاله رب العزة والجلال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ٨١].

إذا أدركتم زمانه، فآمنوا به، وانصروه واتبعوه، فهو إمامكم ومقدمكم ومتبوعكم، وإذا لم تدركوا زمانه، فوصوا أتباعكم أن يؤمنوا به، وأن ينصروه، ثم طلب منهم أن يقروا بذلك فأقروا جميعًا، ثم شهد رب العباد على ذلك إكرامًا للحبيب محمد، ﴿ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وإمامنا محمدًا، عبد الله ورسوله، أرسله من أرجح العرب ميزانًا، وأوضحها بيانًا، وأعلاها مقامًا، وأحلاها كلامًا، وأوفاها ذمةً، فأوضح الطريقة، ونصح الخليقة، وشهر الإسلام، وكسر الأصنام، وأظهر الأحكام، وحذر الحرام، وعم بالإنعام.

تجلى مولد الهادي وعمت ... بشائره البوادي القصابا
وأسدت للبرية بنت وهب ... يدًا بيضاء طوقت الرقابا
لقد ولدته وهاجًا منيرًا ... كما تلد السموات الشهابا
فقام على سماء البيت نورًا ... يضيء جبال مكة والنقابا
وضاعت يثرب الفيحاء مسكا ... وفاع القاع أرجاء وطابا
أبا الزهراء قد جاوزت قدري ... بمدحك بيد أن لي انتسابا
فما عرفه البلاغة ذو بيان ... إذا لم يتخذك له كتابًا

اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار.

أما بعد...

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله ﷺ...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك، وفي هذا المسجد المبارك أن يجمعنا مع حبيبنا ومصطفانا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي الكرام...

ماذا يستطيع القلم أن يكتب، وماذا يستطيع اللسان أن يقول في يوم مولد الحبيب ﷺ؟ إن قصارى ما يبلغه اللسان أو القلم أن يشير في هيبة يا رسول الله إلى مولدك الأسنى، ومقامك الأسمى، لقد كان مولدك فاصلاً بين عهدين: عهد الظلمات والنور، وعهد الظلم والعدل، عهد الشرك والتوحيد، كانت الإنسانية معذبة حائرة في ظلمات الشرك والوثنية، كان قائدها المنفعلة، ورائدها الشهوة، وتجارتها الربا، وأكلهم السحت، وشرابهم الخمر، وحليتهم الرذائل، وآلهتهم الأحجار والأشجار، ورسولهم الهوى والشيطان، وقانونهم الفوضى، كان الغني

يستغل الفقير، والعظيم يهين الحقير، والقوي يقهر الضعيف، وكان العالم كله يتخبط، حتى استغاثت الأرض بالسماء، فلطف الله بعباده، فأرسلك رحمة للعالمين، وما مثلنا ومثلك إلا كمثل أعرابي ضل الطريق في الصحراء، فلما طلع عليه القمر بنوره الفضي، اهتدى بنوره، ففرح الأعرابي بهذا النور، وأخذ يخاطب القمر في عليائه، ويقول له: أيها القمر، أنا لا أدري ماذا أقول لك؟ أأقول لك: نورك الله؟ لقد نورك، أأقول لك: رفعك الله؟ لقد رفعك، أأقول لك: جملك الله؟ لقد جملك؟

وأنت يا سيدي يا رسول الله، ماذا نقول لك؟ أنقول لك نورك الله؟ لقد نورك فقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

أأقول: رفعك الله؟ لقد رفعك مولاك، فقال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ٤].

قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

سأله جبريل عليه السلام يومًا: يا محمد، أتدري بم رفع الله ذكرك؟ قال: الله أعلم.

قال: إذا ذكر، ذكرت معه، فلا يقال: لا إله إلا الله، إلا ويقال بعدها: محمد رسول الله.

أغرُّ عليه للنبوة خاتم ... من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ماذا نقول فيك يا رسول الله؟ أنقول: جملك الله؟ لقد جمّلك، فقال في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

فأنت السراج المنير، وفي القرآن الكريم سراجان: سراج وهاج، وسراج منير، فالسراج الوهاج هو الشمس في ضحاها، والسراج المنير هو سيدنا محمد ﷺ في جماله وكماله وبهائه، فما الفرق بين السراجين؟ السراج الوهاج، فيه نور وحرارة، والسراج المنير فيه نور ولا حرارة، الشمس تؤذيك بحرها صيفًا، ونور الحبيب محمد ﷺ يهديك صيفًا وشتاءً.

الشمس إذا ازدت منها قربًا تصيبك بالمرض، والحبيب محمد ﷺ إذا ازدت منه قربًا، ازددت من الرحمن حُبًّا، الشمس تغيب ليلاً، ونور محمد ﷺ لا يغيب ليلاً ولا نهارًا.

أيها الأحبة الكرام...

ولد الحبيب ﷺ في شهر ربيع الأول، وتوفى في ربيع، وهاجر في شهر ربيع.

جعلت حياتك للزمان ربيعًا ... ومشى بشريك في الأنام مذيعًا
الله أكبر حين بشر قائلاً ... وهب الإله إلى الأنام شفيعًا

ويوم ولد سماه جده عبد المطلب محمدًا، فسبحان من وفقه لهذا الاسم، الذي لا يعرفه العرب، إنهم يعرفون من الأسماء حربًا، وصخرًا، وعنترة، وجبلة، وعبد العزى، وهبل، فقيل له: لم سميته بهذا الاسم يا عبد المطلب، والعرب لا تعرفه؟ قال: ليكون محمودًا في السماء وفي الأرض.

لي فيك يا أرض الحجاز حبيب ... نور للعيون وللقلوب طبيب
في الأرض أحمد وفي السماء محمد ... وعند الإله مقرب محمود

ولدته أمه من نكاح لا من سفاح، فهو أشرف الناس نسبًا، وأكملهم خلقًا وخلقًا، روى مسلم أنه ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

فهو خيار من خيار، كان والده عبد الله من أحب أولاد عبد المطلب إلى قلبه، وأقربهم إلى نفسه، وكان لعبد المطلب عشرة من الأولاد الذكور، وكان قد نذر أن يذبح أحدهم إن اكتملوا كذلك- أي عشرة- فأراد أن يوفي بنذره، فخرج السهم على عبد الله، ففداه بعشرة من الجمال، فخرج السهم عليه، فأخذ يزيد في الإبل شيئًا فشيئًا، حتى بلغ عددها مائة من الإبل، فخرج السهم عليها، فذبحها فداء لعبد الله.

لماذا لم يُذبح عبد الله؟ لأن في ظهره أعظم مخلوق، ظل يتنفس من الأصلاب الزاكية إلى الأرحام الطاهرة، حتى وصل إلى ظهر عبد الله.

إن الله ﷻ إذا أراد شيئًا، فلا راد لما أراد، وكأنه يريد أن يقول للبشرية أجمع **«عبدي، أنت تريد، وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلمت لي فيما أريد، كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك، ولا يكون إلا ما أريد»**.

ولما بلغ الثمانية عشرة من عمره زوجه بآمنة بنت وهب، وهي من أفضل نساء قريش نسبًا، ولما دخل بها، وحملت بالحبيب المصطفى ﷺ سافر عبد الله إلى بلاد الشام في قافلة تجارية، وانتظرت آمنة زوجها عبد الله مدة طويلة، لكن من كان معه في السفر رجعوا، وهو لم يرجع، لماذا؟

لأنه مرض هناك في المدينة فمات، مات كيف يموت وقد فداه عبد المطلب بمائة من الإبل؟ إنها إرادة الله وحكمته وقضاؤه، إنه يريد لذلك النبي أن يولد يتيمًا، لكيلا يقول: أبي أبي، ولكن ليقول دائمًا وأبدًا: ربي ربي، مات عبد الله، وهو في ريعان الشباب، فمن الذي سيرعى هذا اليتيم بعدما مات أبوه.

مشيناها خطًا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطًا مشاها

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت بأرض سواها

إن الذي سيرعى هذا اليتيم هو الله رب العالمين، هو ملك الملوك، ومالك الملك الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء.

لما ولدته أمه، رأت نورًا أضاء لها قصور الشام، قال ﷺ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ الشَّامِ»(١).

نعم هو دعوة أبيه إبراهيم، إبراهيم أبوه وأبو المسلمين، ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨].

إن إبراهيم دعا ربه فقال عندما وضع ولده إسماعيل وهاجر هناك عند البيت الحرام في وادٍ غير ذي زرع، قال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وبشرى أخيه عيسى عليه السلام، ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

قال ابن رجب رحمه الله: وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: وتخصيص الشام بظهور نوره، إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها(٢).

ولد هذا المولود الكريم يوم الاثنين، فكان من أحب الأيام إليه، لذا كان يكثر

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم (٢/ ٦٠٠)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٢).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٤).

من صيامه، فلما سئل عنه، كما في حديث أبي قتادة قال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»(١).

ولــد الهــدى فالكائــنات ضــياء وفــم الــزمان تبــسم وثــناء

كانت القابلة التي ولدت آمنة أم الحبيب ﷺ هي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، حاضنته أم أيمن، عندما ولد ألقمته ثويبة جارية عمه أبي لهب، فكانت أول رشفات لبن نزلت جوف الرسول ﷺ من جارية، أتدرون لماذا؟ إن هذا فيه إشارة إلى أن هذا المولود سوف يحرر العبيد أجمع، نعم سوف يحرر العبيد، فهو الذي جعل من العبيد سادة، ومن المستضعفين أساتذة وقادة، جعل من عباد الحجر، هداة للبشر، وجعل من رعاة الغنم زعماء للأمم.

عباد الله...

إن الله أخفى صفحة المقادير عن عباده لتنتظم مسالك الحياة، إن الحبيب ولد يوم الاثنين، وأبو لهب أعتق جاريته فرحًا بمولد الحبيب في ذلك اليوم، ولذلك فإن بعض العلماء قالوا: بأن الله ﷻ يخفف العذاب عن أبي لهب كل يوم اثنين، إكرامًا لفرحه بمولد سيد الخلق ﷺ ولذلك قال أحد الصالحين يشرح هذا المقام، فيقول: يا رب:

إذا كــان هــذا كافــرًا جــاء ذمــه وتــبت يــداه في الجحــيم مخلــدًا
أتــى أنــه في يــوم الاثنــين دائــمًا يخفــف عــنه للــسرور بأحمــدَ
فــما الظــن بالعــبد الذي كان عمره بأحمــد مــسرورًا ومــات مــوحدًا

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان والتائب حبيب الرحمن. أو كما قال. ادعوا الله.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصوم (١٩٧٧).

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي أكرم عباده بإرسال خاتم الأنبياء والمرسلين، ليقود الناس إلى الحق، وليرشدهم إلى الصراط المستقيم، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، شهادة ننجو بها من الفزع الأكبر يوم الوعيد.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أئمة العدل والتوحيد، وسلم كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

كيف نحتفل بميلاد رسول الله ﷺ؟ هل هذه الاحتفالات التي تفعلها الأمة تليق بالرسول الأعظم ﷺ ورسولنا ﷺ هو قدوتنا، وهو معلمنا، وهو أسوتنا، قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهل اجتماع الصغار، ثم بعض المشايخ الذين يتمايلون، ويقرءون المولد في أحد الكتب، هل هذا هو الاحتفال بالرسول الأعظم ﷺ؟ هل بعث الله حبيبه ومصطفاه ﷺ لتكون سيرته قصة تتلى يوم مولده في شهر ربيع؟ ما أرخصه من احتفال! وما أرخصه من حب وتقدير للرسول الأعظم الذي علم المتعلمين، والذي قاد سفينة العالم الحائرة في خضم المحيط، ومعترك الأمواج إلى شاطئ الله رب العالمين؟

هل حبنا لرسول الله ﷺ واحتفالنا بمولده أن نقرأ سيرته كقصة أبي زيد

الهلالي؟ هل احتفال الأمة بقصة تتلى، أو حكاية جميلة ترددها الألسنة، وقصائد مزوقة، وكلمات منمقة، يحتفل بها الناس هنا وهناك ونحتفل في الريف بليلة المولد، نحضر فيها برجل راقص يسمونه مداحًا، يقف بين جموع الناس، الذين يرقصون ويصرخون، وتتكلف هذه الليلة آلاف من الجنيهات، أليس في بلادنا من الفقراء من هم في أمس الحاجة إلى هذا المال، اتقوا الله، والله إنه الكذب والدجل، ينفق في ليلة من هذه الليالي آلاف الجنيهات، وفي أمتنا وفي بلادنا المحتاجون والفقراء والمساكين ثم نحتفل بذكرى رسول الله بالموسيقى والغناء.

علموا أولادكم السيرة النبوية الصحيحة، علموهم أخلاق رسول الله ﷺ مع ربه ومولاه، أخلاقه مع أصحابه، مع نسائه وأهل بيته، مع جيرانه مع غير المسلمين، علموهم غزوات الرسول ﷺ، علموهم كيف يحبون رسول الله ﷺ فالحب اتباع لا ابتداع.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فأين نحن من رسول الله ﷺ؟ أين نحن من محبته ﷺ؟ فرق كبير بين حب مبني على الابتداع، وحب مبني على الاتباع، الحب الصادق هو الذي ينبني على الاتباع، امتثال أمر النبي ﷺ واجتناب نهيه والوقوف عند حدود النبي ﷺ يقول: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

هذا سيدنا خبيب بن عدي رضي الله عنه يصلبه المشركون في مكة ويحتشدون حوله في شماتة ظاهرة، ويشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنون ووحشية، فالتفت إليهم خبيب رضي الله عنه قائلاً: دعوني أركع ركعتين، فتركوه فصلاهما، فلما سلم- قال: والله لولا أن تقولوا أن ما بي جزع، لزدت، ثم قال: اللَّهُمَّ احصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، فاقترب منه أبو سفيان

قائلاً: أيسرك أن محمدًا عندنا نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ فقال: لا والله ما يسرني أني في أهلي، وأن محمدًا في مكانه، الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، بالله عليكم هل في لغة البشر من الكلمات ما نستطيع أن نعبر بها عن مدلول هذا الحب، والجواب: اللَّهُمَّ لا، فلندع المشهد بجلاله وروعته يعمل في القلوب دون تدخل أو تعليق.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

ونسألك خشيةَ الرحمن وامتثالَ القرآن وأن تجنبنا العصيان والخذلانَ واستحواذَ الشيطان وأن ترزقنا التوبةَ الصادقة قبل فوات الأوان، يا منان، يا رحيم يا رحمن.

اللَّـهُمَّ يا رحيم يا غفار ألزِم قلوبنا السكينة والوقار، والتوبةَ والاستغفار والفكرةَ والاعتبار، واجعلنا من عبادك الصادقين الأبرار، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللَّـهُمَّ يا رحيمُ يا تواب وفقنا للحق والصواب، وموافقة السنة والكتاب، وارزقنا التوبة وحسنَ المآب، قبل أن يمر العمرُ مَرَ السحاب.

اللَّـهُمَّ يا عزيزُ يا غفور، ارحم غربتنا في القبور وما فيها من الدواهي والأمور، تحت الجنادل والصخور، وحوِّل ظلمتها إلى نور، وآمنَّا يوم البعث والنشور، ووفقنا لفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور وعملٍ متقبلٍ مبرور، إنك سبحانك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللَّـهُمَّ يا عليُّ يا كبير، يا من لا يظلمُ الفتيل والنقير، تجاوز عن الخطأ والتقصير، ونجنا من دار السعير، وارزقنا شفاعةَ البشير النذير يا أكرم الأكرمين يا من يجير ولا يجار عليه. نسألك أن تجيرنا من الخزي في الدنيا، ومن العذاب والخزي في الآخرة.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠- ١٨٢].

عباد الرحمن...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وأقم الصلاة.



الخطبة الرابعة والأربعون

مكانة الرسول ﷺ

الحمد لله رب العالمين، يا رب، ما أجلك؟ وما أعظمك؟!

السماء والأرض لك، والملائكة الأطهار جندك، والملوك المتوجون عبيدك، تباركت وتعاليت، منحتنا أبصارًا لا تدركك، يسبح الرعد بحمدك والملائكة من خيفتك، ويترنم الطائر بمجدك، والبحار لا تقر من خشيتك والجبال جامدة من هيبتك، وجرى النسيم بلطفك، لا أول قبلك، ولا آخر بعدك، نحمدك حمدًا يليق بذاتك، وشكرًا يليق بإفضالك وإنعامك، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، ويجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض، يشفي السقيم، ويغفر الذنب العظيم، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن كثير وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا، وقائدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور، سيدنا محمدًا، طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها، قال لربه ومولاه: يا رب، لقد اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، ورفعت إدريس مكانًا عليًّا، وأعطيت داود زبورًا، فماذا أعطيتني؟ قال: يا محمد، ألم أجدك يتيمًا فأويتك، وضالاً فهديتك، وعائلاً فأغنيتك، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا وتذكر معي، واتخذتك خليلاً.

سيدي يا رسول الله...

يا خير مخلوق وأعظم مرسل ... وشفيع قوم أذنبوا وأساءوا

أنوارك العظمى إذا ما أشرقت ... يوم القيامة فالورى سعداء

صلى عليك الله يا علم الهدى، ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم.

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله ﷻ، الذي جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك أن يجمعنا مع حبيب قلوبنا، ونور أبصارنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

نحن اليوم على موعد بلقاء، لقاء مع من؟ مع نبي الوفاء، مع نبي الإخلاص، مع نبي الصدق، مع نبي المروءة، مع رسول الأخلاق، مع من أكرمه مولاه، ورفع قدره، وأعلى مكانته، مع المصطفى ﷺ مع من زكاه الله ﷻ في عقله، فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٢].

وزكى لسانه فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ ﴾ [النجم: ٣].

وزكى شرعه فقال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٤].

وزكى بصره، فقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ١٧].

وزكى صدره فقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ ﴾ [الشرح: ١].

وزكى ذكره فقال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ ﴾ [الشرح: ٤].

وزكى حلمه فقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وزكى خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: ٤]،

يا رسول الله، يا حبيب الله...

يا داعيًا للواحد الديان ... يا هازمًا للبغي والطغيان

يا رافعًا صوت العدالة عاليًا ... ومؤذنًا في الناس بالقرآن

ما خاطب الله ﷻ ولا نادى على نبي من الأنبياء إلا باسمه المجرد إلا حبيبنا محمد ﷺ فكان إذا ناداه، ناداه بالتكريم، لأنه يحبه ويجله، آدم عليه السلام رغم أنه حظي بسجود الملائكة الكرام، إلا أنه نادى: ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

ونوح عليه السلام، أطول الناس عمرًا، يقول له: ﴿ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ ﴾ [هود: ٤٨]. والخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

وموسى عليه السلام حظي بتكليمه، ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وداود عليه السلام، ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦].

وزكريا عليه السلام، ﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ﴾ [مريم: ٧].

وابنه يحيى عليه السلام: ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم: ١٢].

أما المصطفى ﷺ إذا ما أراد أن يناديه أو يخاطبه يخاطبه بـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التحريم: ٩].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ [التحريم: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾ [المزمل: ١، ٢].

وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ ﴾ [المدثر: ١ - ٣].

بل إنه ما أقسم بحياة أحد منَ الأنبياء إلا حبيبنا ﷺ فقال سبحانه: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ ﴾ [الحجر: ٧٢].

حتى في وصفه في التوراة، وصفه بالنبوة، كما في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ لما سئل عن صفات الرسول ﷺ في التوراة، فقال: «وَاللَّـهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْـقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْـمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّـهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْـمِلَّةَ الْـعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ. وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا».

نعم هذه هي أوصافه في التوراة، وقد قرأها حبر من أحبار اليهود، فتبينها كلها، وعرفها ولاحظها، إلا صفتين اثنتين أراد أن يتعرف عليهما، يروي لنا الحديث الإمام الطبراني وغيره بإسناد حسن من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

قال زيد بن سعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يومًا من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل على راحلة كالبدوي فقال: يا رسول الله لي نفر في قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدًا وقد أصابتهم سنة وشدة وقحط من الغيث فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه عليًا فقال: يا رسول الله ما بقي منه شيء قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت: يا محمد هل لك أن تبيعني تمرًا معلومًا في حائط بني فلان إلى أجل معلوم إلى أجل كذا وكذا؟ قال: لا تسمي حائط بني فلان قلت: نعم فبايعني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا فأعطاها الرجل وقال: اعدل بينهم، وأغثهم بها.

قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة، ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، قلت له: يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتم بني عبد المطلب إلا مطلاً، ونظر إليَّ عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به ما أرى فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ﷺ ينظر إلي في سكون وتؤده فقال: يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعًا من تمر مكان ما روعته قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعًا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما روعتك قال: أو تعرفني يا عمر؟ قال: لا.

قلت: أنا زيد بن سعنة قال: الحبر؟ قلت: الحبر قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وقد اختبرتهما فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا وأشهدك أن شطر مالي فإني أكثرها مالاً صدقة على أمة محمد ﷺ قال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم قلت: أو على بعضهم فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وآمن به وصدقه وبايعه[1].

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» رقم (٥٠٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٤٠)، روى ابن ماجه منه طرفًا، ورواه الطبراني ورجاله ثقات.

أيها المسلمون . . عباد الله...

ماذا يستطيع اللسان أن يقول؟ وماذا يستطيع القلم أن يكتب أمام هذه الأخلاق؟! من الذي رباه؟، من الذي علمه؟ من الذي أدبه؟!.

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في حلم ولا كرم

جاءت لدعوته الأشجار سائرة تمشي إليه على ساق بلا قدم

إن الذي رباه وأدبه وعلمه، هو من خاطبه، فقال له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

لقد استطاع الحبيب المصطفى ﷺ بهذه الأخلاق أن يغزو القلوب، استطاع بحلمه وصبره وخلقه، وسماحته، أن يبني أمة على مدى الدهر بفضل الله ﷻ.

إنها أكبر معجزة أن يأتي رسول الله ﷺ إلى أمة أمية جاهلة، وهو أميٌّ، فيبني منها أعظم حضارة في تاريخ الإنسان.

أتطلبون من المختار معجزة يكفيه شعب من الأموات أحياه

من جعل الرجل من الصحابة الكرام يتذكر عظمة الله في كل ساعة، وفي طرفة عين إلا هو ﷺ؟ إنه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، صلوات ربي وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله.

أحبتي في الله...

وتأملوا هذا الموقف الذي يبهر العقول، ويأخذ القلوب يرويه لنا محمد بن جعفر بن الزبير، قال: «جَلَسَ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ الْـجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْـحِجْرِ بِيَسِيرٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقَوْنَ مِنْهُمْ عَنَتًا، إِذْ هُمْ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهْبُ بن عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَالَ: فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْـقَلِيبِ بِمَصَائِبِهِمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ: وَاللَّـهِ إِنْ فِي الْـعَيْشِ بَعْدَهُمْ.

وَقَالَ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ: صَدَقْتَ وَاللَّـهِ لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدِي قَضَاؤُهُ، وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةً، ابْنِي عِنْدَهُمْ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ، فَقَالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُسْوَتُهُمْ مَا بَقُوا لا يَسَعُهُمْ شَيْءٌ نَعْجَزُ عَنْهُمْ، قَالَ عُمَيْرٌ: اكْتُمْ عَلَيَّ شَأْنِي وَشَأْنَكَ، قَالَ: أَفْعَلُ، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرُ بِسَيْفِهِ، فَشُحِذَ وَسُمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْـمَدِينَةِ.

فَبَيْنَا عُمَرُ بن الْـخَطَّابِ بِالْـمَدِينَةِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ يَتَذَاكَرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّـهُ بِهِ، وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِذْ نَظَرَ إِلَى عُمَيْرِ بن وَهْبٍ قَدْ أَنَاخَ بِبَابِ الْـمَسْجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيْفِ، فَقَالَ: هَذَا الْـكَلْبُ عَدُوُّ اللَّـهِ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ مَا جَاءَ إِلا لِشَرٍّ هَذَا الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ هَذَا عَدُوُّ اللَّـهُ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ قَالَ: «**فَأَدْخِلْهُ**».

فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ، فَلَبَّبَهُ بِهَا، وَقَالَ عُمَرُ لِرِجَالٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الأَنْصَارِ: ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا هَذَا الْـكَلْبَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ، فَقَالَ: «**أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، ادْنُ يَا عُمَيْرُ**» فَدَنَا، فَقَالَ: أَنْعِمُوا صَبَاحًا، وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْـجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّـهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْـجَنَّةِ**» فَقَالَ: أَمَا وَاللَّـهِ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثَ الْـعَهْدِ بِهَا، قَالَ: «**فَمَا جَاءَ بِكَ؟**» قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ، قَالَ: «**فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟**».

قَالَ: قَبَّحَهَا اللَّـهُ مِنْ سُيُوفٍ، فَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئًا؟ قَالَ: «**اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ**

لَهُ؟» قَالَ: مَا جِئْتُ إِلا لِهَذَا، قَالَ: «بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بن أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَتَذَاكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتَ: لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ، وَعِيَالِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا؟

فَتَحَمَّلَ صَفْوَانُ لَكَ بِدَيْنِكَ، وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ»، قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلا أَنَا وَصَفْوَانُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ بِهِ إِلا اللَّهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ»[1].

الحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، وقال الحبيب ﷺ لأصحابه: «فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُمْ».

ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

أحبتي الكرام...

لم يخف من عمير حين سل سلاحه، لأنه ما خشي إلا الله، وما سجد إلا لله، وما ركع إلا لله، وما سأل أحدًا إلا الله، وما توجه إلا إلى الله، وما صلى ولا زكى ولا صام ولا حج إلا لله، إنه لا يدفع السيئة بالسيئة.

في أي لغة وبأي اللغات نستطيع أن نعبر عن هذه الأخلاق العالية السامية؟!

سيدي يا رسول الله...

فاحت بعاطر ذكرك الأيام ... وتفاخرت بجهادك الأعلام

والله قد حياك في قرآنه ... فاهنأ فأنت السيد المقدام

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

---

(١) إسناده جيد: رواه الطبراني في «الكبير» رقم (١٣٥٨٧) جـ١١/ ٤٥٥، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني مرسلاً، وإسناده جيد (٨/ ٢٨٦).

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ**».

قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟

قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**». فقرأ ابن مسعود رضي الله عنه من أول سورة النساء، حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾** ﴾ [النساء: ٤١، ٤٢].

يقول ابن مسعود: فقال لي رسول الله ﷺ: «**أمسك**» فإذا عيناه تذرفان الدموع.

الرسول يبكي خوفًا على أمته، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا قول الله عز وجل على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾** ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وتلا قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾** ﴾ [المائدة: ١١٨]. ثم رفع يديه، وقال: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**». وبكى رسول الله ﷺ فنزل عليه جبريل عليه السلام، فسأله ما يبكيك يا رسول الله؟ فأخبره المصطفى ﷺ ثم صعد إلى السموات العلى، فسأله رب العزة والجلال - وهو أعلم- فأخبره فقال الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك، ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾** ﴾ [الضحى: ٥]»[1].

وكان ﷺ كثير الإفضال، كان يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويغض طرفه عن القذى، ويحبس نفسه عن الأذى.

كان رسول الله ﷺ لا يزيد مع أذى الجاهل وإسرافه إلا صبرًا وحلمًا، وما

---

(١) رواه مسلم (٣٠١).

خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، كان يأكل مع الخادم، ويبادر إلى خدمة القادم، وكان يرفع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم أهله.

جاء بالمعجزات الكثيرة، ولكنه ما ادعى أنه قادرٌ على الإتيان بها، بل كان يقول بلسان القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وإليه ﷺ ترد الفضائل جميعها.

عباد الله...

البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان والتائب حبيب الرحمن. أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الذي فتح لنا أبواب الهدى بمن جعله مسك الختام، وجعل أمته خير الأمم، ونجعل الذلة والصغار على من خالف أمره من ذوي الأجرام، نحمده على ما أسبغ من جزيل الإنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، هو الملك العلام، ذو الجلال والإكرام.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، البدر التمام، الذي بعثه الله رحمة للعباد، وفارقًا بين الحلال والحرام، وداعيًا إلى كلمة التوحيد، والصلاة والزكاة والحج والصيام، فنصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد عبَّاد الأصنام، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه، كلما تضوّع مسك وفاح، وكلما ترنم حمام وناح، وكلما شدا بلبل وصاح، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

إن الأمم والشعوب والدول تفتخر بعظمائها، وتبني المجد لماجديها، وتؤسس

التاريخ لمنقذيها، وما عرفنا ولا علمنا والله عظيمًا أعظم، ولا أجل من حبيبنا ومعلمنا ومرشدنا سيدنا محمد ﷺ.

أما ترون ما يفعل الإنجليز، والفرنسيون، والألمان، والأمريكان بعظمائهم؟! وعظماؤهم سفكة دماء، وعملاء، بنو مجدهم على الجماجم البشرية، وسقوا زرع تاريخهم بالدماء.

لكن رسولنا وحبيبنا وعظيمنا محمدًا ﷺ فحرام أن يقارن بهم، أو يجعل في مصافهم، لأنه ﷺ من طراز آخر، تلقى تعاليمه من ربه ومولاه.

ولقد جمع الله ﷻ في رسوله وحبيبه ﷺ في شخص الحبيب أشخاصًا كثيرة ومتعددة في آن واحد. فهو رسول الله من عند الله، ينزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي من السماء، فيتلقاه ليبلغ عن ربه جل وعلا.

هو رجل سياسة من طراز فريد، يقيم أمة ودولة من فتات متناثر، فإذا هي بناء شامخ، لا يطاوله بناء، تذل الأكاسرة، وتهين القياصرة، وتغير مجرى التاريخ في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئًا.

وهو رجل حرب من طراز أوحد، يقود الجيوش، ويخطط للمعارك، ويختار القواد، ويقف في ساحة الوغى، وميدان البطولة رافعًا سيفه في هذا الميدان الذي تصمت فيه الألسنة الطويلة، وتخطب فيه السيوف والرماح على منابر الرقاب وهو أب وزوج، ورب أسرة كبيرة تحتاج إلى نفقات، تحتاج إلى تربية، هو الذي أكمل ربنا ﷻ به البناء، صلوات ربي وسلامه عليك يا حبيبي يا رسول الله، قال ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟، فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**». وفي رواية، «**وختم بي البنيان، وختم بي الرسل**»[١].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

اللَّهُمَّ يا معلم إبراهيم علمنا، ويا مفهم سليمان فهمنا، واجعل لنا من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، اللَّهُمَّ اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا.

اللَّهُمَّ اجعلنا أفقر عبادك إليك، وأغنى عبادك بك، اللَّهُمَّ لا تحرمنا من السجود لك يوم أن يكشف عن ساق، ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون، اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واقطع دابر أعداء الدين من اليهود والنصارى والمشركين.

اللَّـهُمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، لا تعذبنا فأنت علينا قادر، الطف بنا في ما جرت به المقادير، يا أرحم الراحمين، اللَّـهُمَّ هون علينا سكرات الموت.. اللَّـهُمَّ ذكرنا النطق بالشهادة إذا يبس منا اللسان... وارتخت اليدان، وبردت القدمان، والتصقت الساقان.

اللَّـهُمَّ اجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللَّـهُمَّ فاطر السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام... إنا نعهد إليك في هذه الحياة الدنيا، نشهدك وكفى بك شهيدا، أنك أنت الله لا اله ألا أنت وحدك لا شريك لك، وأن وعدك حق، والجنة حق، والنار حق، وأنك تبعث من في القبور، وأنك إن تكلنا إلى أنفسنا، تكلنا إلى ضعف، وعورة وذنب وخطايا، وإنا لا نثق إلا برحمتك فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الراحمين.

اللَّـهُمَّ أحسن ختامنا، ولا تميتنا إلا وأنت راض عنا غير غضبان.اللَّـهُمَّ ارحمنا إذا أوحشنا المكان، وفارقنا الأهل والإخوان، وجاورتنا الديدان، اللَّـهُمَّ أدركنا هناك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّـهُمَّ ارحمنا تحت الأرض، واسترنا فوق الأرض، ولا تفضحنا يوم العرض، يا أ رحم الراحمين، اللَّـهُمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع الدعوات.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروا يغفر لكم. وأقم الصلاة.



الخطبة الخامسة والأربعون

نشأة الحبيب المصطفى ﷺ

الحمد لله، إلهي، إن قل زادي في المسير إليك، فلقد حسن ظني بالتوكل عليك، وإن كان جرمي قد أخافني من عقوبتك، فإن رجائي قد أشعرني بالأمن من نقمتك، وإن كان ذنبي قد عرض لعقابك، فقد آذنني حسن ثقتي بثوابك، وإن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك، فقد نبهتني المعرفة بكرم آلائك، وإن أوحش ما بيني وبينك فرط العصيان والطغيان، فقد آنسني بشري الغفران والرضوان، أحمدك حمد الشاكرين، وأستعينك وأستهديك، وأثني عليك الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ليس لعطائه مانع، ولا لقضائه دافع، ولا تخفى عليه الطلائع، ولا تضيع عنده الودائع، سبحانه سبحانه، راحم كل ضارع، وهو للدعوات سامع، وللكربات دافع، وللجبابرة قامع، فلا إله غيره، ولا رب سواه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبد الله ورسوله، نبي الرحمة، ورسول الهداية، هو النعمة المسداة، والرحمة المهداة، أعطاه مولاه صفوة آدم، وخلة إبراهيم، ورفعة إدريس، وجمال يوسف، وصبر أيوب، وتكليم موسى، وحلم هارون، وحكمة لقمان، وزهد عيسى.

إني سألت الشعر أن يتعطفا ... فقال: هيهات هيهات أن أتوقفا
اليوم ميلاد النبي المصطفى ... اليوم ميلاد الشهامة والكرامة
عذرًا رسول الله قصرت في وصف ... فإن جمالكم لن يوصفا
جاءت قديمًا ذرة من نوركم ... فقد جمّل الرحمن منها يوسفا

تــالله لــوجد العباقــر كلهــم في	وصــف أفـضال لــه لــن تعــرفا
والله لــو أن مــاء الــبحار يجمعهــا	كــان المـداد لوصـف أحمـد مـا كفا
والله لـــو أن قلـــم الــزمان مـــن	الـبداية للـنهاية ظـل يكتب ما كفا
والله لـو أن قــبر النبــي تفجــرت	أنـــواره للـــبدر ولى واخـــتفا
تكفــيه لقــيا في الــسموات العــلا	وبحــضرة المــولى الكــريم تــشرفا
يكفــيه أن الــبدر يخــسف نــوره	لكـــن نـــور محمـــد لـــن يخــسفا

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله ﷺ...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا اليوم المبارك، وفي هذا المسجد المبارك، أن يجمعني وإياكم على حوض حبيبنا ﷺ لنشرب من يده الشريفة المباركة شربة هنيئة، لا نظمأ بعدها أبدًا، حتى ندخل جنة ربنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ في بداية هذا اللقاء، لأن تقوى الله ﷻ وصية الله تعالى في الأولين والآخرين.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠

أحبتي في الله...

إلى أين نذهب اليوم؟ هيا بنا لنذهب إلى المنهل العذب المورود، إلى نبي الملك المعبود، إلى حبيب قلوبنا ﷺ مع نشأة المصطفى ﷺ وبعض صفاته وأخلاقه، هيا بنا لنعيش مع ذلك اليتيم.

ما من مولود يولد إلا ويذهب أبوه لسجل اسمه في سجل المواليد، فمن الذي ذهب ليسجل اسمك يا يتيم؟ لقد ولد الحبيب يتيمًا، وتلفت حواليه، فوجد أباه تحت أطباق التراب، لماذا شاء الله ﷻ أن يولد سيد الأولين والآخرين خاتم الأنبياء والمرسلين يتيمًا؟ لقد ولد كذلك، حتى لا يقول أبي أبي، وإنما ليقول دائمًا وأبدًا: ربي ربي، لكي يتولاه ربه بالرعاية، ومن تولاه مولاه برعايته أحسن الله بدايته، وأكرم نهايته، وزاد الله بين البداية والنهاية كرامته، فما ظنكم إن كان المتولَّى بالرعاية هو الحبيب المصطفى ﷺ.

إنه اليتيم الذي كان يتمه تشريفًا لكل يتيم، قال تعالى مخاطبًا حبيبه ﷺ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۞ ﴾ [الضحى: ٦]. لقد مات أبوه قبل أن ينزل إلى الدنيا بثلاثة أشهر، وجاءت المراضع إلى مكة المكرمة، يلتمسن المواليد، فماذا حدث؟ تقول السيدة حليمة: فيما رواه ابن إسحاق وابن راهويه وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وغيرهم: قدمتُ مكة في نسوة من بني سعد نلتمس الرضعاء في سنة شهباء- أي كلها قحط وجدب- فقدمت على أتان لي- وهو أنثى الحمار- ومعي صبي لنا، وشارف- أي ناقة مسنة- ووالله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، لا يجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه.

تقول: فقدمنا مكة، فوالله ما علمت امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها أنه يتيم.

يا سبحان الله، اليتامى في كل الأزمان مضيعون.

يمشي اليتيم وكل شيء ضده	والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتًا وليس بمذنب	ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت رجل الغنى	حنت إليه وحركت أذنابها
وإذا رأت يومًا فقيرًا ماشيًا	نبحت عليه وكشرت أنيابها

فمن الذي يطرق باب آمنة ليأخذ يتيمها، إنها حليمة السعدية، التي تقول: فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري، فلم أجد غيره، فقلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه.

تقول حليمة: فذهبت، فإذا به مدرج في ثوب أبيض من اللبن، يفوح منه المسك، وتحته حريرة خضراء، راقدًا على قفاه يغط، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله، فدنوت منه رويدًا، فوضعت يدي على صدره، فتبسم ضاحكًا، وفتح عينيه، لينظر إليّ، فخرج من عينيه نور، حتى دخل خلال السماء، وأنا أنظر، فقبلته بين عينيه، وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء من لبن، فحولته إلى الأيسر، فأبى، وكانت تلك حاله بعد.

قال أهل العلم: أعلمه الله ﷻ أن له شريكًا، فألهمه العدل.

قالت: فروى، وروى أخوه.

ثم أخذته، فما هو إلا أن جئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، فقام صاحبي- أي زوجها- إلى شارفنا تلك، فإذا بها حافل- أي ممتلئة الضرع باللبن- فحلب فشربنا حتى روينا، وبتنا بخير ليلة، فقال زوجها: يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة.

أيها الأحبة الكرام...

كان حبيبنا ﷺ بركة على أهله، بركة على مرضعته، بركة في كل حياته.

قالت حليمة: ثم قدمنا منازل بني سعد، ولا أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به ﷺ شباعًا لبنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كانوا يقولون لرعاتهم: اسرحوا حيث يسرح راعي غنم حليمة، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن، وتروح أغنامي شباعًا لُبنًا، فلله درها من بركة.

أحبتي في الله...

كانت مدة رضاعه ﷺ وهو طفل صغير عند السيدة حليمة في ديار بني سعد في البادية ما يقرب من أربع سنوات، وفيها وقعت حادثة شق صدره الشريف ﷺ.

لكن لماذا نشأ النبي ﷺ في البادية؟

قال الشيخ الغزالي رحمه الله في فقه السيرة: وتنشئة الأولاد في البادية ليمرحوا في كنف الطبيعة، ويستمتعوا بجوها الطلق، وشعاعه المرسل، أدى إلى تزكية الفطرة وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق الأفكار والعواطف.

إنها لتعاسة أن يعيش أولادنا في شقق ضيقة من بيوت متلاصقة، كأنها علب أغلقت على من فيها، وحرمتهم لذة التنفس العميق، والهواء المنعش.

ولاشك أن اضطراب الأعصاب الذي قارن الحضارة الحديثة، يعود إلى البعد عن الطبيعة يقول: وكثير من علماء التربية يود لو تكون الطبيعة هي المعهد الأول للطفل، حتى تتسق مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه.

هذا الطفل الذي يرعى الغنم، أصبح يرعى الملوك، ويرعى الدول، وأصحابه من بعد خمس وعشرين سنة من مبعثه، حكموا اثنتين وعشرين دولة من دول العالم، بل بعد ثلاثين سنة، دخلوا قرطبة مهللين، مكبرين، دخلوا طشقندا وتركستان، وغيرها، ووقفوا على مشارف السند، يرفعون لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقضى النبي ﷺ مدة عند السيدة حليمة السعدية حدث له فيها شق صدره الشريف فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، واستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه- أي جمع بعضه إلى بعض- ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلامان يسعون إلى أمه- أي حليمة- فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره[1].

أيها الأحبة الكرام...

ولاشك أن هذا التطهير من حظ الشيطان هو إعداد للعصمة من الشر، وعبادة غير الله، فلا يجعل في قلبه إلا التوحيد الخالص.

وقضى هذه المدة، ثم عادت به حليمة إلى أحصان أمة آمنة، رجع اليتيم إلى أحضان أمه، وعاش بين أحضانها شهورًا، لكن رأت أمه من باب الوفاء أن تأخذه إلى المدينة، ليزور قبر أبيه عبد الله، الذي لم ير أحدهما الآخر.

وتحرك الركب محمد وهو في السادسة من عمره، وأمه آمنة، ومعهما جارية تسمى بركة الحبشية، المكناة بأم أيمن، وهي أم أسامة بن زيد، الحب ابن الحب، ويدخل الموكب الثلاثي المدينة، ويتوجه إلى قبر عبد الله، وقد مضى على وفاته ما يزيد عن ست سنوات، ويجلس الحبيب أمام قبر أبيه، بين اليتيم وأبيه برزخ إلى يوم يبعثون، وانقضت الزيارة، وأخذت آمنة ابنها راجعة إلى مكة، فماذا حدث؟ في أثناء الرجوع، وعند قرية تسمى «الأبواء» بالقرب من المدينة نامت آمنة تشكو آلامًا وأوجاعًا ألمت بها، لكنها لم تكن تعلم أن هذه هي النهاية، إن آمنة يوم أن نامت في هذا المكان، لم يكن سنها قد زاد عن خمسة وعشرين عامًا، هي في زهرة

---

(١) رواه مسلم كتاب «الإيمان» رقم (٢٥٩).

شبابها، وريعان صباها، ولم تكن تعلم أن هذه النومة هي النهاية إلى نومة صبحها يوم القيامة.

إن المقام لا تشرحه العبارة، آمنة تضم وليدها إلى صدرها، لكن الموت يضمها إليه إنها تضم ابنها،وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهجعت الأطيار بين أغصان الأشجار، وهدأت الوحوش في الجبال، وبحر الصحراء ممتد هنا وهناك فلا ترى إلا جبالاً أشرأبت رءوسها، وضربت جذورها في أعماق الأرض، الليل دامس إلا من عيون النجوم، التي تثقب الليل بنورها الثاقب، وآمنة تتألم من سكرات الموت ومحمد لا يعلم أهذا هو المصير؟ أيترك أمه في هذا المكان لتدفن هناك؟ لقد فقد أباه وهو في بطنها، أيفقد أمه الآن وهو في السادسة من عمره؟ إنها تشده إليها، هي لا تريد أن تموت حتى لا تفارق الوليد، ولكن الله ﷻ أراد أن تموت ليتولى هو وحده ذلك اليتيم، ماتت أمه، فلا حيلة لنا ولا له، ولا لأحد في الموت، فالموت لغزٌ لا يحل، وطلسم لا يفك، لماذا؟

لأنه يتعلق بالروح، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

لكن ماذا قالت له أمه قبل أن تموت؟ قالت له: يا محمد، كن رجلاً، لأنني سأموت، فكان رسول الله ﷺ رجلاً في طفولته، كان رجلاً في صباه، كان رجلاً في شبابه، كان رجلاً في رجولته، كان رجلاً في كهولته، وكان رجلاً في شيخوخته، ولقي الله وهو بين الناس رجلاً، وبين الرجال بطلاً، وبين الأبطال مثلاً، فمن الذي كفل هذا اليتيم بعد ذلك؟

أحبتي الكرام...

وعاد الحبيب بعدما دفن أمه آمنة بالقرب من المدينة، وهو في السادسة من عمره، رجع إلى أحضان جده عبد المطلب، فأكرم مورده، وأكرم رفادته، وكان لعبد المطلب مجلس يجلسه مع المشيخة من قريش، لأنه كان أمير مكة وسيدها

مضع، وكان شيوخ قريش يجلسون حوله، وعبد المطلب يجلس على فراش وثير، خاص به، في مكان مرتفع، فيأتي رسول الله وهو صغير ليجلس بجانبه، فيحاول الشيوخ أن يمنعوه، لأنه ما زال حديث السن فيقول عبد المطلب: لا تمنعوه عن مقعدي، فوالله ليكونن له شأن عظيم، وظل يكرمه ويقربه حتى كان عنده ثماني سنوات، ومرة أخرى جاءت سكرة الموت، وانفض سوقه الدنيا، وانزوى غصن الحياة، وجف عودها، ورقد عبد المطلب على فراش الموت، فدعا ابنه أبا طالب، وقال له: إنني سأموت، فأوصيك بمحمد خيرًا.

لكن لماذا خص عبد المطلب ابنه أبا طالب بمحمد، ولديه تسعة من الأبناء كلهم رجال عدا حمزة، فقد كان في سن الحبيب المصطفى ﷺ فقد كان أخوه في الرضاعة وعمه في النسب، وكان ابن خالته.

فلماذا اختار أبا طالب ليكون محمد اليتيم ﷺ في رعايته، وفي كنفه، وتحت صيانته؟ لأن أبا طالب كان أرجح أولاد عبد المطلب عقلاً، وأكبرهم قلبًا، وأرحمهم بهذا الحفيد، ولأن أبا طالب كان شقيقًا لعبد الله، والد الحبيب المصطفى ﷺ ونشأ الحبيب وهو في الثامنة من عمره في بيت عمه أبي طالب، وكان أبو طالب كثير العيال قليل المال، لكن بمجرد أن حل الحبيب اليتيم في بيته، إلا وكانت البركة تملؤه، والخير يكثر فيه، فكان أبو طالب لا يقرب الطعام إلا إذا مد الحبيب يده أولاً، فحينها يأكل الجميع فيشبعوا، ويبقى الطعام كما هو، إنه أعظم مخلوق، وأكرم نسمة خلقها الله تبارك وتعالى، وخرج الحبيب مع أبناء عمه ليرعى الأغنام، وما من نبي إلا ورعى الغنم، قال ﷺ: **«مَا بَعَثَ اللَّـهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَاعِيَ غَنَمٍ»**.

قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟. قَالَ: «وَأَنَا كُنْتُ أَرْعَاهَا لأَهْلِ مَكَّةَ بِالْـقَرَارِيطِ»[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الأطعمة» (٩/ ٤٨٨) رقم (٢٢٦٢)، والقيراط جزء من الدينار أو الدرهم.

رعى الغنم يدرب على قيادة الأمم، الغنم تعلم الراعي ثلاث صفات لابد من توافرها لكل من يقود الأمم «الصبر والحلم والتواضع».

إن رعي الغنم يتيح له الهدوء الذي تتطلبه النفس الكريمة، ويتيح لها المتعة بجمال الصحراء ويتيح له التطلع إلى مظاهر جلال الله ﷻ في عظمة الخلق، يتيح له لونًا من التربية النفسية من الصبر، والحلم والأناة، والرأفة، والرحمة، والعناية بالضعيف، وغير ذلك.

عباد الله...

البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن، أوْ كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي جعل الحمد مفتاحًا للكلام، والحمد لله حمدًا يستدعي مزيد الإنعام، حمداً يقي سوء غضبه ووبيل الانتقام، حمدًا يرقى بقائله إلى أسنى مقام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة كافلة لحسن الختام.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ومعلمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمدًا عبده ورسوله، مبلغ الشرائع والأحكام، المبين للحلال والحرام، اللَّهُمَّ صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الملحقين به في التبجيل والإكرام.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله.

ذكرنا أن النبي ﷺ اشتغل وهو صغير برعي الغنم، والرعي يستلزم أن يظل الراعي من طلوع الشمس إلى غروبها، نظرًا لبطء الغنم في الأكل، فيحتاج الراعي إلى الصبر والتحمل، والراعي لا يعيش في قصر منيف، ولا في ترف وسرف، وإنما

يعيش في جو حار شديد الحرارة، وخاصة في الجزيرة العربية، والله ﷻ قادر على أن يغني محمدًا ﷺ عن رعي الغنم، ولكن هذه تربية له ولأمته، للأكل من كسب اليد، وعرق الجبين، ورعي الغنم نوع من أنواع الكسب، وصاحب الدعوة يجب أن يستغني عن ما في أيدي الناس، ولا شك أن الاعتماد على الكسب حلال، يكسب الإنسان الحرية التامة، والقدرة على قول كلمة الحق، والصدع بها، ولهذا قالت الأنبياء لأقوامهم يبينوا استغناءهم عن الأجر، وعن حطام الدنيا: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ [هود: ٢٩].

وروى البخاري عن المقدام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّـهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[1].

فكم من الناس يطأطئون رءوسهم للطغاة، ويسكتون على باطلهم، ويجارونهم في أهوائهم خوفًا على وظائفهم عندهم.

وهذه المعاني إن لم تكن قد خطرت في بال الرسول ﷺ في هذه الفترة، لأنه لم يكن يعلم ما سوف يوكل إليه من شأن الدعوة والرسالة والنبوة، إلا أن الله ﷻ هو الذي هيأه لذلك، وأراد أن لا يكون في حياته شيء قبل بعثته يعرقل سبيل دعوته أو يؤثر عليها أي تأثير سلبي.

اللَّهُمَّ أكرمنا ببركة حبيبنا محمد ﷺ، اللَّهُمَّ ألهمنا ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وطاعتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ حرمنا على النار، واجعلنا من جملة أوليائك المقربين، وأجرنا من سائر محن الدنيا والدين، وأدم لنا رضاك إلى أن نفوز بشهودك في أعلى عليين مع النبيين

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٠٧٢).

والصديقين والشهداء والصالحين، ومُنَّ علينا بالإخلاص يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ قنا السوء بما شئت وكيفما شئت وحيثما شئت، إنك على ما تشاء قدير، اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات، يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمد ﷺ وأقم الصلاة.



الخطبة السادسة والأربعون:
الإسراء والمعراج عبر وعظات

الحمد لله، أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله، لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير.

نحمده كما حمد نفسه، وكما حمده الحامدون من جميع خلقه، ونستعين به استعانة من فوض أمره إليه، وأقر أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، ونستغفره استغفار من أقر بالذنب، واعترف بالعيب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، نصر نوحًا على القوم الكافرين، ونجاه ومن آمن معه من الكرب العظيم، ونجا يوسف من غياهب الجب، وجعله على خزائن الأرض، واستجاب لزكريا، فوهبه على الكبر يحيى هاديًا مهديًا، وأزال الكرب عن أيوب، وسمع نداء يونس في الظلمات، وألان لداود الحديد، وسخر الريح لسليمان، وفلق البحر لموسى، ورفع عيسى إليه، وأسرى بمحمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج إلى السموات العلى، وشق له القمر.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، لما التقى في السماء السابعة بالخليل إبراهيم عليه السلام وهو مسندٌ ظهره إلى البيت المعمور، فماذا قال الخليل للحبيب؟ قال له: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كنز من كنوز الجنة، اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي القرشي الزمزمي وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

تحيى أمة الحبيب المصطفى ﷺ معجزة من المعجزات، التي أيد الله سبحانه وتعالى بها حبيبه ﷺ وهي كثيرة، بعضها كان حسيًا ماديًا، يراه الناس مثل نبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وتظليل الغمام له أينما سار، وانشقاق القمر، وحنين الجذع، وغيرها كثير، لكن هناك معجزة كبرى لم يتح لأحد من البشر أن يطلع عليها، بلغ فيها ﷺ سدرة المنتهى، بل وتجاوزها ليرى من آيات ربه الكبرى، وصل إلى مكان وقف عنده جبريل، وقال له: تقدم أنت يا رسول الله، فقال: أفي هذا المكان يترك الخليل خليله، فيقول: إنك إن تقدمت اخترقت، وإن تقدمت أنا احترقت، وما منا إلا له مقام معلوم.

إنها معجزة الإسراء والمعراج، إنها رحلة أرضية، وأخرى سماوية، أما الأرضية فكانت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما السماوية فقد كانت من المسجد الأقصى إلى ما بعد سدرة المنتهى، فما سبب تلك الرحلة؟ إن رب العزة والجلال أراد بهذه المعجزة، أو بتلك الرحلة المباركة الميمونة أن يخفف الآلام والمتاعب التي مر بها سيد الأولين والآخرين ﷺ، أراد أن يؤيده، ويقوي عزمه، فَقَدْ فَقَدَ رسول الله ﷺ في هذا العام نصيريه من البشر، بل فقد جبهتين من جباه الدفاع البشري عنه ﷺ، فقد عمه أبا طالب وهو الجبهة الخارجية في الدفاع عنه، توفى عمه، وكانت قريش تقدر له قدره، وتحسب له حسابًا، وعندما حضرته الوفاة جاءه زعماء الشرك، ليحرضوه على الاستمساك بدينه حتى يفارق الحياة، وعدم دخوله في دين آخر، قائلين له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! حين عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام، وقال له: «**أَىْ عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّـهِ**».

فأذعن لكلام أبي جهل وعبد الله بن أبي أمية، وقال: أنا على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]. ونزلت فيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

مات أبو طالب، ورحل عن دنيا الناس، ثم أعقبه وفاة السيدة المؤمنة التقية النقية خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها في نفس العام الذي توفي فيه أبو طالب.

السيدة الطاهرة خديجة رضي الله عنها هي التي كانت تخفف عنه الآلام الدنيوية، لما جاء من غار حراء بعد نزول الوحي له أول مرة، جاء وهو يقول: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي».

فلما ذهب عنه الروع، قالت له: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ- أي المحتاج إلى مساعدة- وتكسب المعدوم- أي الفقير- وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل كان أول ما نطقت أن قالت: كلا والله، لا يخزيك الله أبدًا، يا لها من عبارة تؤمن الخائف، وتقوي الضعيف، إنها الثقة في الله عز وجل.

لقد وقفت بجانبه، بنفسها ومالها، تنصره وتشد أزره، وتعينه على أقسى ضروب الأذى والاضطهاد سنين عددًا، وبموتها تضاعف الأسى والحزن على الحبيب المصطفى ﷺ وابتدأت مرحلة عصيبة في حياة المصطفى ﷺ واجه فيها كثيرًا من المشكلات والمصاعب والفتن، حتى أصبح وحيدًا لا ناصر له إلا الله عز وجل، لذا سمي هذا العام بعام الحزن، لأن رسول الله ﷺ حزن على فقدهما، فماذا يفعل الرسول ﷺ؟ أيتخلى عن دعوته؟ لا والله، لكنه خرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه لعله يجد مسلكًا هناك للدعوة إلى الله عز وجل.

لكن الطائف هي الأخرى كانت أشد صلابة من مكة، بل وكان قلوب أهلها

أقسى من الحجارة، فلم يؤمن به أحد، وطلب منهم أن يكتموا أمره، فسخروا منه، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ويرمونه بالحجارة، حتى أدموا قدميه، وتلطخت نعلاه، وسال دمه الزكي على أرض الطائف، وما زالوا به حتى ألجئوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فجلس الرسول ﷺ في ظل شجرة العنب، فرفع برقية عاجلة إلى رافع السماء بلا عمد، ماذا قال رسول الله ﷺ في برقيته؟

قال: «**اللَّهُمَّ إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن علي غضب منك فلا أبالي، لكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى- أي الاسترضاء- حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

إنه دعاء يفيض إيمانًا ويقينًا ورضًا بما ناله رسول الله ﷺ في جنب الله فرضوان الله تعالى هو الهدف الأسمى والأعلى عند رسول الله ﷺ وهو المطلب الأعظم الذي تسخر له كل المطالب.

رضاك يا رب خير من الدنيا وما فيها ... يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فليس للروح آمال تحققها سوى ... رضاك فذا أقصى أمانيها
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي ... أحب إليَّ من الدنيا وما فيها

ثم يختم النبي ﷺ الدعاء الطاهر المبارك بقوله: «**ولا حول ولا قوة إلا بك**»، وقد علم هذه العبارة أصحابه عند حلول المكاره أن يقولوها، فلا تحول للمؤمن من حال الشدة إلى حال الرخاء، ولا من الخوف إلى الأمن إلا بالله تعالى، ولا قوة على مواجهة الشدائد، وتحمل المكاره إلا بالله - جل في علاه -.

وهذا درس من أعظم الدروس التي يعلمها الأستاذ الأكبر، والنبي الأعظم

ﷺ لأمته، يعلم الأمة وهو في أشد المحن أن تلجأ إلى من؟ إلى الذي بيده ملكوت السموات والأرض، إلى ملك الملوك، ومالك الملك، ولا تسأل أحدًا سواه فمن نسأل إذا لم نسأل الله؟! وإلى من نلجأ ألم نلجأ إلى الله؟! وعلام نتوكل إذا لم نتوكل على الله؟

لا تسألن نبي آدم حاجة — وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله — وبني آدم حين يُسأل يغضب

لابد أن نتعلم من القائد الأكبر، والرسول الأكرم، فهو قدوتنا، وهو إمامنا، لابد أن تتعلم الأمة أن تلجأ إلى الله في كل أمورها، وأن تتعرف إليه في الرخاء فيتعرف عليها ربها في الشدة، ثم ماذا كان رد السماء على هذه البرقية العاجلة؟ رفع رسول الله ﷺ رأسه وهو بقرن الثعالب مهوم إذا بسحابة قد أظلته، فإذا فيها جبريل عليه السلام، الذي حمل قرى لوط عليه السلام على طرف جناحه، وصعد بها إلى السماء ثم كفأها، جاء مدير عمليات النسف والتدمير، جاء الأمين جبريل عليه السلام، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فناداني ملك الجبال، فسلم عَلَيَّ، ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - أي الجبلين - لفعلت، فماذا قال الحبيب؟ ماذا قال الرؤوف ﷺ؟ قال: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». صدق من سماه الرؤوف الرحيم.

ملك الجبال يشير إليه ويقترح أن يستئصلهم، وقد نفذ هذا في الأمم السابقة كأمة نوح وعاد وثمود، وقوم لوط، كما حكى القرآن الكريم: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]. إنه لو دعا عليهم لاستجاب الله دعوته، ولكنه دعا لهم، اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

ولما جلس النبي ﷺ في ظل الشجرة هو ومولاه زيد بن حارثة، ليستريح من الألم، ومن الحجار، فإذا بعتبة بن ربيعة، وشيبة أخيه يرسلان غلامهما «عداس» وكان نصرانيًا بقطف من العنب، فوضعه في طبق ثم ذهب به إلى رسول الله وأقبل عليه، وقال له: كل...

فلما وضع قطف العنب أمام الحبيب، مد يده قائلاً: «**بسم الله**»، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «**ومن أي أهل البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟**».

قال: نصراني من نينوي. فقال رسول الله ﷺ: «**من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟**».

فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك أخي، كان نبيًّا وأنا نبي**»، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، حتى قال عتبة لشيبة: لقد أفسد علينا غلامنا، فلما جاء عداس سألاه: لماذا رأيناك قبلت رأس الرجل وقدميه؟

قال يا سيدي ما في أرض شيء خير من هذا الرجل، فقد أعلمني بأمر ما يعلمه إلا نبي.

قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

أيها الأحبة الكرام...

وبعد هذا العناد الشديد، أراد أن يدخل مكة، فصار إلى غار حراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق لكي يجيره، فقال: أنا حليف والحليف لا يجير.

فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال: إني بني عامر لا تجير على بني كعب.

فبعث إلى المطعم بن عدي سيد قبيلة بني نوفل بن عبد مناف، بعث إليه رجلاً من خزاعة، فوافق على أن يدخل رسول الله ﷺ مكة في جواره، فدعا بنيه

وقومه، فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمدًا، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته، فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمدًا فلا يهيجه أحدٌ منكم، فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون بالسلاح، حتى دخل بيته.

فبدلاً من أن يدخل رسول الله ﷺ مكة منهزمًا متخفيًا، دخلها ويحرسه بالسلاح سيد من سادات قريش على مسمع منهم.

أحبتي في الله...

وبعد هذا كله أراد الله عز وجل أن ينعم على رسوله ﷺ ويسليه ويسري عنه، فهيأ له رحلة أرضية، وأخرى سماوية، لتمس فؤاده المعنى ببرد الراحة، وليشعر أنه بعين الله، منذ أن قام يوحده ويعبده، ويعلم البشرية توحيده وعبادته، وليعلمه مكانته السامية، ومقامة الرفيع بين المصطفين الأخيار، فماذا حدث؟

ففي ليلة صفت سماؤها، ورق ماؤها، وطاب هواؤها، وغرد الطير فيها بتسبيح ربه، إنها ليلة اتصل بها نور السماء بأرض الصحراء، أتى جبريل عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ ببطاقة دعوة ربانية لزيارة السماء من الذي دعاه؟

إنه الله رب العالمين.

إنه ملك الملوك ومالك الملك.

ومن الذي بلغ الدعوة؟ إنه أمين الوحي جبريل عليه السلام، إلى سيد الأولين والآخرين، إلى سيدنا محمد ﷺ أتاه جبريل بالبراق، وما سمى البراق براقًا، إلا لأن سرعته بالبرق الخاطف، يضع رجليه عند منتهى طرفه، أتاه بالبراق كما جاء في رواية للترمذي «ملجمًا مسرجًا، فاستصعب عليه - أي صار البراق صعبًا على النبي ﷺ - فقال له جبريل عليه السلام: أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على

الله منه، فارفض البراق عرقًا -» [(١)]. أي تصبب عرقًا، وسار البراق في سرعة الضوء.

من أين وإلى أين؟ من البيت الحرام بمكة إلى بيت المقدس.

فما هو الإسراء؟ وما المعراج؟

هذا ما سوف أجيب عنه بعد جلسة الاستراحة بمشيئة الله تعالى. يقول النبي ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي**».

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، معز الإسلام بنصره، مذل الشرك بقهره، مصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، مستدرج المشركين بمكره.

نحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، شهادة من ظهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله الذي أسرى به ربه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، ما زاغ البصر وما طغى، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي، وقال: حسن غريب، وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣١٣١): صحيح الإسناد.. قال ابن أبي حمزة: خص البراق بذلك إشارة إلى الاختصاص به لأنه لم ينقل أن أحدًا ملكه، بخلاف جنسه من الدواب، قال: والقدرة كانت صالحة لأن يصعد بنفسه من غير البراق، لكن ركوبه البراق، زيادة له في تشريفه، لأنه لو صعد بنفسه، لكان في صورة الماشي، والراكب أعز وأكرم من الماشي.

أما بعد...

عباد الله...

شاء الله الذي لا راد لمشيئته سبحانه، القادر الذي لا يعجزه شيء أن يمن على حبيبه المصطفى ﷺ برحلة مباركة طيبة، هي رحلة الإسراء والمعراج أما الإسراء، فهي رحلة أرضية تمت بقدرة الله ﷻ من مكة إلى بيت المقدس، وهذا الإسراء، وذلك المعراج كان برسول الله ﷺ جسدًا وروحًا، ورحم الله شوقي حين قال وهو يؤرخ للإسراء والمعراج:

يا أيها المسري به شرفًا ... إلى ما لا تنال الشمس والجوزاء

يتساءلون وأنت أطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الإسراء

بهما سموت مطهرين كلاهما ... نور وروحانية وبهاء

منن عليك لذي الجلال ومنة ... والله يفعل ما يرى ويشاء

وفي سرعة الضوء، وصل البراق إلى المسجد الأقصى وهناك كانت الهدية والتحية، فما هي الهدية؟ وما التحية؟

دخل رسول الله ﷺ المسجد، فوجد الله ﷻ قد جمع له إخوانه من الأنبياء والمرسلين، فصلى بهم إمامًا ركعتين على ملة الخليل إبراهيم عليه السلام.

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكته ... والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت بهم التفوا بسيدهم ... كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كل ذي خطر ... ومن يفز بحبيب الله يغتنم

صلى بالأنبياء إمامًا، وفيهم من هو أكبر منه سنًا، فيهم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، فيهم نبي الله وشيخ بني إسرائيل موسى عليه السلام، فيهم كلمة الله عيسى عليه السلام وغيرهم، لماذا اختير محمدٌ ﷺ بالذات، ليصلي بهم إمامًا، ولماذا اختير المسجد الأقصى بالذات للصلاة فيه؟

صلى بهم إمامًا تنبيهًا على أن هؤلاء جميعًا كانوا يعملون تحت راية واحدة، ويدعون ربًا واحدًا، ودعوة واحدة، تحت راية التوحيد، تحت راية لا إله إلا الله، دينهم واحدًا، وإن كانت أمهاتهم شتى، هؤلاء الأنبياء قبلك جمعتهم لك ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]. لكن رسول الله ﷺ كان يعلم ذلك يقينًا.

وأما الصلاة في المسجد الأقصى[١]، فهذا تنبيه لأن تعرف الدنيا كلها أن النبوة قد انتهت في بني إسرائيل، وأنا الذي تسلم مفاتيحها هو سيد الأنبياء وخاتمهم أجمعين سيدنا محمد ﷺ.

ثم بعد الصلاة قدّم له الأمين جبريل عليه السلام، إناء به لبن، وإناء به ماء يقول النبي ﷺ: «فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: اخْتَرْتَ الْـفِطْرَةَ»[٢].

وعند البيهقي[٣] أن جبريل عليه السلام قدَّم له الخمر، واللبن، شتان بين هذا وذاك هذا شربه سنة، وذلك شربه حرام، «الْـخَمْرُ أُمُّ الْـخَبَائِثِ»[٤]، «مَنْ شَرِبَ الْـخَمْرَ وَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ»[٥].

من شرب الخمر كان حقًّا على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة،

---

(١) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: روى كعب الأحبار أن باب السماء الذي يقال له: مصعد الملائكة، يقابل بيت المقدس، فأخذ منه العلماء أن الحكمة من الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج، ليحصل العروج مستويًا من غير تعويج.. وفيه نظر.
وقيل: لكي يجمع الله له في تلك الليلة بين رؤية القبلتين، أو لأنه كان غالب هجرة الأنبياء قبله فحصل له الرحيل إليه في الجملة، وقيل: ليجمع بين أشتات الفضائل.. وقيل: غير ذلك.. «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/ ٢٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٣٤).

(٣) رواه مسلم والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٦).

(٤) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٣٤٤).

(٥) صحيح: رواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٣١٣).

قيل: وما ردغة الخبال يا رسول الله؟ قال: «**عصارة أهل النار**»، أي صديدهم وقيحهم، - والعياذ بالله -.

وكان النبي ﷺ إذا أكل طعامًا قال: «**اللَّهُمَّ بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا خيرًا منه**»، إلا اللبن، فقد كان يقول: «**اللَّهُمَّ بارك لنا فيه، وزدنا منه**»[1]. لأنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن.

قال الإمام النووي رحمه الله في تفسير «**اخترت الفطرة**»: فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه والله أعلم: اخترت علامة الإسلام والاستقامة وجعل اللبن علامة، لكونه سهلاً طيبًا طاهرًا، سائغًا للشاربين، سليم العاقبة.

أحبتي في الله...

في الإسراء دروس وعبر، نسأل الله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله، الله طهر مسرى رسول الله ﷺ من دنس اليهود الحاقدين.

اللَّهُمَّ يا صاحب الإسراء، ويا صاحب العظمة والكبرياء، طهر مسرى حبيبك من الشرك والمشركين، ووحد صفوف المسلمين، واجعل دائرة السوء على اليهود الملاعين، اللَّهُمَّ وفق ولاة أمور المسلمين إلى ما تحبه وترضاه، اللَّهُمَّ سددهم في الحق وأيدهم وأيد الحق بهم، اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين وللمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

عباد الله...

﴿ **۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠** ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

---

(١) حسن: رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وحسنه في «صحيح الجامع» (٣٨١).

الخطبة السابعة والأربعون

من دروس الإسراء والمعراج

الحمد لله... إلهي...

ليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

نحمدك يا من أسريت بحبيبك محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأيدته بالمعجزات الباهرات، وأريته الآيات البينات، والعبر والعظات، نحمدك كما ينبغي أن تحمد، ونشكرك فأنت بالشكر أولى.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، بديع السموات والأرض، وإذا قضي أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، لا يستحق العبودية والألوهية إلا هو، هو الحي القيوم، القائم على كل شيء، محيط علمه بكل شيء، سميع بصير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، أكرمه بقربه، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

عذرًا رسول الله إن قصرت في وصف ... فإن جمالكم لن يوصفا

جاءت قديما ذرة من نوركم ... قد جمّل الرحمن منها يوسف

تالله لوجد العباقرة كلهم في ... وصف أفضال له لن تعرفا

والله لو أن ماء البحار بجمعها ... كان المداد لوصف أحمد ما كفا

والله لو أن قلم الزمان من البداية ... للنهاية ظل يكتب ما كفا

يحنو أن قبر النبي تفجر	أنواره للبدر ولى واختفى
تكفيه لقيا في السموات العلا	وبحضرة المولى الكريم تشرفا
يكفيه أن البدر يخسف نوره	لكن نور محمد لن يخسفا

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

أما بعد...

أيها المسلمون..... أحباب رسول الله ﷺ...

وما زلنا نعيش مع حادثة الإسراء والمعراج، والمؤمن الجاد في إيمانه لا ينكر إمكانية الإسراء والمعراج، وهو مؤمن بقدرة الله القادر المقتدر ﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾** ﴾ [يس: ٨٢].

كيف ينكر مؤمن يقرأ في كتاب الله ﷻ أن الله تعالى أنزل عبدين من عباده من السماء إلى الأرض، ورفع عبدًا من عبيده من الأرض إلى السماء، أنزل سيدنا آدم ﷺ وأمنا حواء ﴿ **قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ** ﴾ [طه: ١٢٣]. ورفع سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ **قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ** ﴾ [آل عمران: ٥٥]. فكيف نستكثر على رسول الله ﷺ أن يعرج به إلى مولاه.

المؤمن يقرأ في كتاب الله ﷻ أن الله ﷻ وهب عبدًا من عباد الله القدرة على نقل عرش ملكة سبأ من جنوب اليمن إلى أرض فلسطين في غمضة عين ﴿ **قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى** ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠].

فإذا كانت هذه قدرة عبدٍ، فكيف بخالقه، وإذا كانت هذه إمكانية موهوب، فكيف بالواهب؟

بعدما صلى رسول الله ﷺ بالأنبياء، وقدم له جبريل عليه السلام إناء به خمر، وإناء به لبن، وآخر به ماء، فاختار رسول الله ﷺ اللبن، فقال له الأمين جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة، وفي بعض الروايات الحمد لله، الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر، غوت أمتك.

ثم عرج به إلى السموات العلى، ومن المعلوم أنه بعد الغلاف الجوي لا يوجد أكسجين، ولا هواء، فكيف يستطيع النبي الأعظم، والرسول الأكرم أن يرتقى إلى السموات العلى مع بشريته؟

والجواب على ذلك أن الرسول ﷺ لم يعرج، وإنما عُرج به، ومن الذي عرج به؟ إنه الإله القدير، رافع السماء بلا عمد، من بيده القدرة والقهر من بيده ملكوت كل شيء، ورسول الله ﷺ وإن كان بشرًا لكن ارتقى فوق البشر، بشريته ارتقت وارتفعت، ألم يشق صدره ثلاث مرات، مرَّة وهو غلام صغير، ومرة عند البعثة، ومرة عند الإسراء والمعراج، ولكل مرَّة منها حكمة، فالأول وقع من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه فأخرج علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك.

وكان هذا في زمن الطفولة، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند المبعث، زيادة في إكرامه، ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء، ليتأهب للمناجاة.

يقول ابن حجر رحمه الله: وجميع ما ورد في شق الصدر، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم له، دون التعرض لتصرفه عن حقيقته، لصلاحية القدرة الإلهية، فلا يستحيل شيء من ذلك - رأى على الله عز وجل.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في المفهم: لا يلتفت لإنكار شق الصدر ليلة الإسراء، لأن رواته ثقات مشاهير، وذكر نحو ما تقدم.

وفي صحيح البخاري قال ﷺ: «فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ. ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ. فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ - أي ناس - وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ - أي ناس آخرون - إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ. وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْـيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْـجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى».

وفي السماء الثانية وجد فيها ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام، فسلما عليه ورحبا به، وقالا: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبي الصالح.

وفي السماء الثالثة فعلا مثل ما فعلا في الأولى والثانية، فوجدا نبي الله يوسف عليه السلام، وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال: «**فإذا أنا بيوسف إذا أعطى شطر الحسن، فرحب بي، ودعا لي بخير**».

ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فوجد فيها نبي الله إدريس عليه السلام، فقد قال الله ﷻ عنه: ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴿٥٧﴾ ﴾ [مريم: ٥٧]. فرحب به ودعا له بخير، ثم إلى الخامسة، فإذا فيها نبي الله هارون عليه السلام، فسلم عليه ودعا له بخير، ثم إلى السادسة نبي الله وكليمه سيدنا موسى عليه السلام، فسلم عليه ورحب به، ثم عرج به إلى السابعة، فوجد فيها نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام، فوجده مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وذكر النبي ﷺ كما في حديث مسلم أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه بعد ذلك.

أيها المسلمون.... أحباب الحبيب محمد ﷺ...

قد يسأل سائل: ما هي الحكمة في الاقتصار على هؤلاء المذكورين من الرسل؟

والجواب: أنه لعل الحكمة في الاقتصار على هؤلاء للإشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل نبي منهم.

فآدم عليه السلام للتنبيه والإشارة إلى ما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض، بما سيقع للنبي ﷺ من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة، وكراهة فراق ما ألفه من الوطن، ثم ميل كل واحد منهما أن يرجع إلى وطنه الذي أخرج منه.

وبعيسى ويحيى عليهما السلام على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود، وتماديهم على البغي عليه، وإرادتهم وصول السوء إليه.

وبيوسف على ما وقع له من إخوانه من قريش في نصبهم العداء والحرب له، وإرادتهم هلاكه، وكانت العاقبة ليوسف، ومحمد ﷺ كما أشار القرآن الكريم ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

وبإدريس عليه السلام على رفيع منزلته عند الله تعالى.

وبسيدنا موسى عليه السلام على ما وقع له من معالجة قومه، وإيذائه، وقد أشار إلى ذلك ﷺ بقوله: «**لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر**».

وقال ابن أبي جمرة رحمه الله: الحكمة من كون آدم عليه السلام في السماء الدنيا لأنه أول الأنبياء، وأول الآباء، وهو أصل، فكان أولاً في الأولى، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة، وعيسى عليه السلام في الثانية؛ لأنه أقرب الأنبياء عهدًا من سيدنا محمد ﷺ، ويليه سيدنا يوسف عليه السلام؛ لأن أمة محمد ﷺ تدخل الجنة على صورته، وإدريس عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٥٧].

والرابعة من السبع وسط معتدل، وهارون لقربه من أخيه موسى عليه السلام،

موسى أرفع منه، لتكليم الله ﷻ له، ومنزلة الخليل إبراهيم عليه السلام تقتضي أن تكون أرفع المنازل، ومنزلة الحبيب المصطفى ﷺ أرفع من منزلته، فلذلك ارتفع عن إبراهيم عليه السلام، إلى قاب قوسين أو أدنى، وهناك حكم أخرى، لكنني قصرت على ما صح منها.

أحبتي في الله...

وقد جاء في رواية الإمام أحمد في «مسنده» وغيره أن رسول الله ﷺ لمّا صعد إلى السماء السادسة، استفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل عليه السلام، قيل: ومن معك؟ قال محمد:، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، ونعم المجيء جاء، ففتح له، فإذا بموسى الكليم عليه السلام، فسلم عليه، ورد عَليه السلام، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبي الصالح، ثم ماذا؟ لمّا تجاوزه النبي ﷺ بكى الكليم عليه السلام، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل بكاء موسى عليه السلام كان على سبيل الحسد للرسول ﷺ وأمته أم كان ذلك اغتباطًا؟!

قال العلماء: لم يكن بكاء الكليم عليه السلام حسدًا - معاذ الله - فإن الحسد مذموم من آحاد الناس، فكيف بمن اصطفاه مولاه، وكلمه تكليمًا، لكن بكاء أسفًا على ما فاته من الأجر، الذي يترتب عليه رفع الدرجة، بسبب ما وقع من أمته من المخالفات التي تنقص أجورهم، لأن لكل نبي مثل أجر من اتبعه، لهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة.

وسؤال آخر: هل قوله عليه السلام: «غلام بعث بعدي» يقتضي تنقيص شأن الرسول ﷺ؟

وقد قال العلماء في ذلك أن كلمة غلام لرسول ﷺ ليست على سبيل

التنقيص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله، وعظيم كرمه، حيث إنه أعطى وهو في هذا العمر أو السن ما لم يعطه أحدًا قبله ممن هو أسن منه.

أحبتي في الله...

ولما تجاوز النبي ﷺ هؤلاء الأنبياء، ورفع إلى سدرة المنتهى، وأصبح كما وصف القرآن الكريم ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝ ﴾ [النجم: ٨ - ١١].

وفي هذا المكان الذي لم يصل إليه أحد، كانت من الله ﷻ الهدية إلى حبيبه ومصطفاه ﷺ أتدرون ما هذه الهدية؟

إنها الصلاة، إنها أعظم هدية من الله ﷻ لحبيبه محمد وأمته، ففي حديث الإسراء والمعراج الذي رواه مسلم وغيره: «فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِى كُلِّ يَوْم وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّى قَدْ بَلَوْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّى، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِى.

فَحَطَّ عَنِّى خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّى خَمْسًا. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّى تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً. وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وعند البخاري قال ﷺ: «**وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي**».

وهنا سؤال: ما الحكمة في تخصيص كليم الله موسى عليه السلام بمراجعة الرسول ﷺ في أمر الصلاة؟

أجاب على ذلك الإمام القرطبي رحمه الله فقال: لعل ذلك لكون أمة موسى عليه السلام كلفت من الصلوات بما لم تكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى عليه السلام على أمة محمد من مثل ذلك، ويشير إلى ذلك قوله: «إني قد جربت الناس قبلك».

وقال غيره: لعلها من جهة أنه ليس في الأنبياء من له أتباع أكثر من موسى، ولا من له كتاب أكبر، ولا أجمع للأحكام من هذه الجهة، مضاهيًا للنبي ﷺ فناسب أن يتمنى أن يكون له مثل ما أنعم به عليه، من غير أن يريد زواله عنه، وناسب أن يطلعه على ما وقع له، وينصحه فيما يتعلق به.

وذكر السهيلي: أن الحكمة في ذلك أنه كان قد رأى في مناجاته صفة أمة محمد ﷺ فدعا الله أن يجعله منهم، فكان إشفاقه عليهم كعناية من هو منهم.

أحبتي في الله...

وهكذا كان تكريم الله - تبارك وتعالى - لحبيبه ومصطفاه ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

يقول ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**».

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة؟

قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**».

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، وناصر عباده المؤمنين، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله ربه رحمة للعالمين، وشفيعًا للمذنبين، وهو سيد الأولين والآخرين في الدنيا ويوم الدين، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد...

عباد الله.... . وأحباب رسول الله ﷺ...

والصلاة في الحقيقة هي أعظم هدية من رب العالمين إلينا وإلى نبينا محمد ﷺ هي هدية رحلة المعراج؛ لأن المؤمن تعرج روحه بالصلاة إلى الله ﷻ وتسمو فوق الماديات والشهوات، وتحلق في آفاق السموات، فهي معراج المسلم إلى ربه، فحينما ننشغل بأمور الدنيا ومصالحنا الدنيوية، نسمع النداء العلوي: الله أكبر، فنترك الدنيا وما فيها، ونهرع إلى الصلاة، لتعرج أرواحنا إلى عرش الرحمن في طهارة وصفاء.

حقًّا إنه كانت الصلاة هدية من الله ﷻ إلينا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان فقد فرضت علينا جميع الفرائض في الأرض، مثل الصيام والزكاة والحج والجهاد حيث كان ينزل أمين الوحي جبريل عليه السلام بما فرضه على سيدنا محمد ﷺ وعلى أمته إلا الصلاة، فإن الله ﷻ انتدب عبده ورسوله ﷺ ولم يجعل بينهما وسيطًا كباقي الفرائض، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على عظم هذه الفريضة، وأهميتها في الإسلام، فمن أقامها، فقد أقام الدين، فعندما تجتمع الهموم على المسلم، وتتزاحم عليه الأحزان، لا يجد ملجأ ولا ملاذًا آمنًا إلا ربه ومولاه، فيسرع ويتوضأ، ويطهر نفسه من دنس الذنوب والآثام، ثم يدخل في الصلاة

يناجي خالقه ورازقه، ويسأله أن يكشف عنه الهموم والأحزان، فما هي إلا لحظات وتسمو روحه وتعرج إلى بارئها، فيشعر المؤمن بعدها براحة نفسية، لا مثيل لها، ويخرج من صلاته وهو يتذكر قول الحبيب المصطفى صاحب المعراج ﷺ لبلال بن رباح رضي الله عنه مؤذنه: «**أرحنا بها يا بلال**».

لكن قومًا لم يقبلوا هدية الرحيم الرحمن، فتثاقلت رؤوسهم عن الصلاة، وظنوها همًا ثقيلاً، مع أنها هي التي تذهب الهموم، وقد رأى النبي ﷺ ليلة المعراج قومًا ترضخ رءوسهم بالحجارة، وكلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: «**يا جبريل، من هؤلاء؟**». قال: «**هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة**».

فيا من تركتم هدية ربكم، أقبلوا على الله بقلوبكم، وأقبلوا على مولاكم وناجوه في صلواتكم، يزيح عنكم الأحزان والآلام، ويغفر لكم الذنوب والأوزار.

عباد الله...

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه إلى الله ﷻ أن يغفر لنا ويرحمنا، اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللَّهُمَّ اهدنا واهد بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى.

اللَّهُمَّ ارزقنا يا مولانا! قبل الموتة توبة وهداية، ولحظة الموت روحًا وراحة، وبعد الموت إكرامًا ومغفرة ونعيمًا، أظلنا بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللَّهُمَّ ثبت أقدامنا على الصراط يوم تزل الأقدام، اللَّهُمَّ أظلنا بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظله، واسقنا من حوض الكوثر شربة لا نظمأ بعدها أبدًا.

اللَّهُمَّ شفع فينا نبينا، اللَّهُمَّ شفع فينا نبينا، اللَّهُمَّ شفع فينا نبينا، اللَّهُمَّ

فرح بنا قلب نبينا، اللَّـهُمَّ فرح بنا قلب نبينا، اللَّـهُمَّ فرح بنا قلب نبينا، اللَّـهُمَّ احشرنا تحت لوائه، واجعلنا من الذين يردون حوضه، اللَّـهُمَّ متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم

اللَّـهُمَّ ردنا إليك ردًا جميلًا، اللَّـهُمَّ ردنا إليك ردًا جميلًا، اللَّـهُمَّ أعزنا بالإسلام، اللَّـهُمَّ ارفعنا بالإسلام، اللَّـهُمَّ ارفع مكانتنا بالإسلام، اللَّـهُمَّ أعد لنا هيبتنا بالإسلام يا رب العالمين.

اللَّـهُمَّ انصر عبادك الموحدين واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين... اللَّـهُمَّ أصلح أئمتنا وولاة أمرنا وأئمة وولاة أمور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، اللَّـهُمَّ أصلح أولادنا ونساءنا، واجعلنا وإياهم هداة مهتدين، اللَّـهُمَّ ارفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين.

اللَّـهُمَّ فُكَّ الكرب عن المكروبين، وسد الدين عن المدينين، اقض حوائجنا وحوائج المحتاجين، وارحم أمواتنا وأموات المسلمين، كن اللَّـهُمَّ بنا رءوفا وعلينا عطوفا، خذ اللَّـهُمَّ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك، قومنا إذا اعوججنا، أعنا إذا استقمنا، خذ بأيدينا إذا عثرنا، كن لنا حيثما كنا، اللَّـهُمَّ كن لنا ولا تكن علينا، آثرنا ولا تؤثر علينا، انصرنا ولا تنصر علينا.

اللَّـهُمَّ لا تدع لنا في هذه الليلة العظيمة ذنبًا إلا غفرته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا عسيرًا إلا يسرته، ولا كربًا إلا أذهبته، ولا طالبًا إلا نجحته، ولا مظلومًا إلا نصرته، ولا ظالمًا إلا هديته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا صدرًا ضيقًا إلا شرحته، ولا شيطانًا إلا صرفته، ولا مسافرًا إلا غانمًا سالمًا لأهله رددته، اجعل اللَّـهُمَّ خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله يذكركم، وأقم الصلاة.



مسألة
هل رأى رسول الله ﷺ ربه ﷻ ؟

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويغيث المكروب، وهو علاّم الغيوب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، طبيب القلوب، والمقرب إلى علاّم الغيوب، اللَّهُمَّ صلى وسلم وبارك عليه وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى عمر بن الخطاب، وعلى عثمان وعلي، وعلى سائر الصحابة أجمعين، ومن سلك طريقهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

مسألة هامة جدًّا وخطيرة تحير فيها كثير من أهل العلم وطلابه، وهي مسألة حدثت في المعراج، هل رأى محمدٌ ربه؟

فرأيت وقرأت في ذلك كلامًا كثيرًا بيّن من أثبتها، وآخر بين نفيها وعدم ثبوتها، فأردت أن ألخص القول لأهل العلم، حتى يسهل لطالب العلم معرفة هذه المسألة.

اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه، فذهبت السيدة عائشة ﵂ وابن مسعود إلى إنكارها.

قال مسروق ؒ: دخلت على عائشة ﵂ فقلت لها: هل رأى محمدٌ ربه؟

فقالت: لقد تكلمت بشيء قف له شعري.

فقلت: رويدًا ثم قرأت: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨].

فقالت: أين تذهب بك؟ إنَّما هو جبريل ؈، من أخبرك أن محمدًا رأى ربه

أو كتم شيئًا مما أمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى عنها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ [لقمان: ٣٤]. فقد أعظم الفرية، ولكنه أي جبريل عليه السلام لم يره في صورته إلا مرتين: مرَّة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد له ستمائة جناح، قد سّد الأفق[1].

وفي رواية أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت لمسروق: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، - أي الكذب -.

قال مسروق: وما هن؟

قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية.

قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التكوير: ٢٣].

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [النجم: ١٣].

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إنَّما هو جبريل عليه السلام لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين: رأيته منهبطًا من السماء، سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض**».

فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورى: ٥١].

قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) صحيح. رواه الترمذي.

قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غدٍ، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥].

وذهب جماعة إلى إثباتها منهم حبر الأمة، وترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار السيدة عائشة ﷺ، وبه قال سائر أصحاب عبد الله بن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون ثم اختلفوا: هل رآه بعينه أو بقلبه.

قال صاحب تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي: قال الحافظ: جاءت عن ابن عباس ﷺ، أخبار مطلقة، وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها، ومن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضًا من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد.

وأخرجه ابن خزيمه بلفظ: «إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة....».

وأخرج ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر ﷺ أرسل إلى عبد الله بن عباس ﷺ: هل رأى محمدٌ ربه، فأرسل إليه أن نعم.

وما رواه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [النجم: ١١]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [النجم: ١٣]. قال: رأى ربه بفؤاده مرتين، وله من طريق آخر: رآه بقلبه.

وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال: لم ير رسول الله ﷺ ربه بعينه، إنَّما رآه بقلبه.

فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ﷺ ونفي عائشة ﷺ بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب.

وقد رجح الإمام القرطبي رحمه الله الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع.

وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، قال: وليست المسألة من العمليات، فيكتفي فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات فلا يُكتفى فيها إلا بالدليل القطعي.

وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد إلى ترجيح الإثبات، وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره.

وممن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام ابن حنبل رحمه الله فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي لأحمد: إنهم يقولون: إن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فبأي شيء يدفع قولها؟

قال: بقول النبي ﷺ: «رأيت ربي»، قول النبي ﷺ أكبر من قولها.

وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله في شرح لصحيح مسلم في حديث مسروق هذا الخلاف، قال بعد ذكر هذا الخلاف:

وقد روى بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: رأى محمد ﷺ ربه، وكان الحسن يحلف، لقد رأى محمد ﷺ ربه.

قال: والأصل في الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة، والمرجع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهما في هذه المسألة، وراسله هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فأخبره أنه رآه.

ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها ؛ لأن عائشة رضي الله عنها لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «رأيت ربي»، وإنما ذكرت متأولة لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾ [الشورى: ٥١]. ولقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. والصحابي إذا قال قولاً، وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة.

وإذا صحت الروايات عن ابن عباس ﵄ في إثبات الرؤية، وجب المصير إلى إثباتها فإنها ليست مما يدرك بالعقل، ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع، ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد.

وقال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة ﵂ وابن عباس: ما عائشة ﵂ عندنا بأعلم من ابن عباس ﵄، ثم إن ابن عباس أثبت شيئًا نفاه، أي غيره، والمثبت مقدم على النافي.

قال: هذا كلام صاحب التحرير، فالراجح عند أكثر العلماء: أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء.

وذكر النووي الآيات التي استدلت بها عائشة ﵂ ورد عليها، والله أعلم.

وصلى اللَّهُمَّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللَّـهُمَّ ثبت بها أقدامنا على الصراط يوم القيامة، اللَّـهُمَّ علمنا ما جهلنا وذكرنا ما نسينا، واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.

اللَّـهُمَّ أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، اللَّـهُمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، اجعل اللَّـهُمَّ خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك، اللَّـهُمَّ ثبتنا بالقول الثابت في الحياة وفي الآخرة ويوم يقوم الأشهاد، اللَّـهُمَّ أظلنا بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللَّـهُمَّ باعدنا عن النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وقربنا من الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللَّـهُمَّ ثقل موازيننا يوم تخف الموازين، اللَّـهُمَّ اجعلنا من الذين ثقلت موازينهم يا رب العالمين! اللَّـهُمَّ ألهمنا حجتنا عند الحساب يا أكرم الأكرمين! اللَّـهُمَّ شفع فينا نبينا، اللَّـهُمَّ شفعه فينا، اللَّـهُمَّ شفعه فينا، اللَّـهُمَّ شفعه فينا، واسقنا من يده الشريفة شربة من حوض الكوثر لا نظمأ بعدها أبدًا، اللَّـهُمَّ من أحييته منا فأحيه على الإيمان، ومن أمته منا فأمته على الإسلام.

أحينا إن كانت الحياة خيرًا، وأمتنا إن كان الموت خيرًا لنا، أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللَّـهُمَّ إن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك معافين غير فاتنين ولا مفتونين، وغير خزايا ولا ندامى ولا مبدلين، لا تدع لنا في هذه الليلة العظيمة ذنبًا إلا غفرته، اللَّـهُمَّ لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، اللَّـهُمَّ لا تدع لنا وللمسلمين ذنبًا إلا غفرته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا عسيرًا إلا يسرته، ولا طالبًا إلا نجحته، ولا شيطانًا إلا طردته، ولا مظلومًا إلا نصرته، ولا ظالمًا إلا قصمته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا مسافرًا إلا رددته غانمًا سالمًا لأهله.

كن اللَّـهُمَّ بنا رءوفا وعلينا عطوفا، خذ اللَّـهُمَّ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك، قومنا إذا اعوججنا، أعنا إذا استقمنا، خذ بأيدينا إذا عثرنا، كن لنا حيثما كنا، اللَّـهُمَّ كن لنا ولا تكن علينا، آثرنا ولا تؤثر علينا، انصرنا ولا تنصر علينا، اللَّـهُمَّ لا تدع لنا في هذا اليوم العظيم ذنبًا إلا غفرته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا عسيرًا إلا يسرته، ولا كربًا إلا أذهبته، ولا طالبًا إلا نجحته، ولا مظلومًا إلا نصرته، ولا ظالمًا إلا هديته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا صدرًا ضيقًا إلا شرحته، ولا شيطانًا إلا صرفته، ولا مسافرًا إلا غانمًا سالمًا لأهله رددته، اجعل اللَّـهُمَّ خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك.

عباد الله. . .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وأقم الصلاة.

الخطبة الثامنة والأربعون

دروس وعبر من مشاهد الإسراء والمعراج

الحمد لله، إلهي...

إلهـــي لا تعذبنـــي فـــإني ... مقـــر بالـــذي قـــد كـــان منـــي

فـــما لي حـــيلة إلا رجائـــي بـــ ... ـعفـوك إن عفـوت وحـسن ظنـي

فكـــم مـــن زلـــة لي في الخطايـــا ... وأنـــت عَـــلَيَّ ذو فـــضل ومـــن

إذا فكـــرت في ندمـــي علـــيها ... عضـضت أنـاملي وقـرعت سـني

أجُـــن بزهـــرة الدنـــيا جـــنونًا ... وأقطـــع طـــول عمـــري بالتمنـــي

يظـــن الـــناس بي خـــيرًا ... وإني لـشر الـناس إن لم تعـف عنـي

أحمدك حمدًا يليق بذاتك، وأشكرك شكرًا يتناسب مع جودك وكرمك.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، شهادة أشهد بها مع الشاهدين، وأتحملها عن الجاحدين، وأدخرها عند الله عدة ليوم الدين، وأشهد أن الحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله إلى خلقه، وأمينه على وحيه، أشرف من وطئ الحصا بنعله، وبلغ عن الله رسالته، رفع الله ذكره وشره له صدره، ووضع عنه وزره، وأعلاه في كل شيء، زكاة في عقله فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢].

وزكاه في بصره، فقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم: ١٧].

وزكاه في صدره، فقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح: ١].

وزكاه في ذكره فقال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ ﴾ [الشرح: ٤].

وزكاه في علمه، فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم، وزد وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من اقتفى أثره، واهتدى بهديه، واستن سنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أحبتي في الله...

حياكم الله جميعًا، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلا، وأسأل الله العظيم الحليم الكريم، الذي جمعنا في هذا البيت المبارك الطيب على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة، مع صاحب الإسراء والمعراج المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أيها الإخوة الفضلاء...

ما زال لقاؤنا موصولاً مع حبيبنا ومصطفانا محمد ﷺ في معجزة الإسراء والمعراج، ودروس وعبر وعظات، هيا بنا لنعيش سويًا مع مشاهد الإسراء والمعراج، وهي كثيرة منها:

١ - من مشهد الإسراء ما رواه مسلم وأحمد والنسائي وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى قَائِماً يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**».

سيدنا موسى عليه السلام يصلِّي في قبره، نعم يصلِّي.

يقول الإمام المناوي رحمه الله: المراد الصلاة اللغوية - أي الدعاء -.

وقيل: المراد الصلاة الشرعية، وعليه القرطبي رحمه الله فقال: الحديث بظاهره يدل على أنه رآه رؤية حقيقية في اليقظة، وأنه حيٌّ في قبره يصلِّي الصلاة التي

يصليها في الحياة، وذلك ممكن ولا مانع من ذلك، لأنه إلى الآن في الدنيا، وهي دار تعبد، فإن قيل: كيف يصلون بعد الموت، وليس تلك حالة تكليف؟

قلنا: ذلك ليس بحكم التكليف بل بحكم الإكرام والتشريف؛ لأنهم حبب إليهم في الدنيا الصلاة، فلزموها، ثم توفوا وهم على ذلك، فتشرفوا بإبقاء ما كانوا يحيون عليه، فتكون عبادتهم إلهامية، كعبادة الملائكة، لا تكليفية.

ويدل عليه خبر «يموت الرجل على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه».

ولا تعارض بين رؤيته إياه في تلك الليلة في السماء؛ لأن للأنبياء - أي لأرواحهم مراتع ومسارح يتصرفون فيما شاؤوا ثم يرجعون.

أو لأن أرواح الأنبياء بعد مفارقة البدن في الرفيق الأعلى، ولها إشراف على البدن، وتعلق به، يتمكنون من التصرف والتقرب، بحيث يردون السلام على المسلم، وبهذا التعلق رآه يصلِّي في قبره، ورآه في السماء.

فلا يلزم كون موسى عليه السلام عرج به من قبره، ثم ردَّ إليه، بل ذلك مقام روحه واستقرارها، وقبره مقام بدنه واستقراره إلى يوم ميعاد الأرواح لأبدانها، فرآه يصلِّي في قبره، ورآه في السماء، كما أن نبينا ﷺ بالرفيق الأعلى، وبدنه في ضريحه، يرد السلام على من سلم عليه.

ولا عجب أيها الأحبة الكرام أن يرى رسول الله ﷺ كليم الله ونبيه موسى عليه السلام يصلِّي وهو في عالم البرزخ.

لقد ذكر ابن الجوزي أن ثابتًا البناني رحمه الله وهو من التابعين الفضلاء الأتقياء العبّاد، رآه حميد الطويل ورجل آخر معه بعد أن دفنوه في قبره سقطت لبنة من القبر، يقسم حميد الطويل رحمه الله بالله الذي لا إله غيره، أنه يصلِّي في قبره، فذهبا إلى ابنته يسألانها؛ ما كان عمل أبيك ثابت؟

فقالت: وماذا رأيتم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا

كان وقت السحر، قال في دعائه: اللَّهُمَّ إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره، فأعطينها، فما كان الله ليرد ذلك الدعاء.

سبحان الله! هذا رجل من أمة الحبيب ﷺ يرى كالأنبياء في البرزخ، فالحمد لله الذي جعل فينا مثل هذا الرجل.

لقد كان يقول من حبه للصلاة: الصلاة خدمة الله في الأرض، ولو علم الله ﷻ شيئًا أفضل من الصلاة، لَمّا قال: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وعن ابن شوذب رحمه الله قال: مشيت مع ثابت البناني فلا يمر بمسجد إلا دخل، فصلى فيه، لقد كان يصلِّي في الليلة ثلاثمائة ركعة.

أحبتي في الله...

٢- ويحدثنا حبر الأمة عن مشهد آخر لكليم الله موسى عليه السلام، يراه الرسول ﷺ في هذا المشهد وهو يحج، ويلبي ليس مصليًا فقط، كما في المشهد السابق، ولكنه يلبي بالحج، وكذلك نبي الله يونس عليه السلام، يقول ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ مَرَّ بوادي الأزرق، فقال: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟». فَقَالُوا: هَذَا وَادِى الأَزْرَقِ. قَالَ: «**كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّـهِ بِالتَّلْبِيَةِ**».

ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى. فَقَالَ: «أَىُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟».

قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ: «**كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خِطَامُ** - أي من ليف - **نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّى**».

قال النووي في شرحه: قال القاضي عياض رحمه الله: أكثر الروايات في وصفهم تدل على أنه ﷺ رأى ذلك ليلة أسرى به.

قال: فإن قيل: كيف يحجون ويلبون وهم أموات، وهم في الدار الآخرة، وليست دار عمل؟!

قال: إن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا أجوبة:

أحدها: أنهم كالشهداء، بل هم أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا، كما ورد في حديث آخر وأن يتقربوا إلى الله عز وجل بما استطاعوا؛ لأنهم وإن كانوا قد توفوا، فهم في هذه الدنيا، التي هي دار العمل، حتى إذا فنيت مدتها، وتعقبتها الآخرة، التي هي دار الجزاء، انقطع العمل.

الثاني: أن عمل الآخرة ذكر ودعاء، قال تعالى: ﴿ **دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ** ﴾ [يونس: ١٠].

الثالث: أن تكون هذه رؤية منامية في غير ليلة الإسراء، أو في بعض ليلة الإسراء.

الرابع: أنه ﷺ أُري أحوالهم، التي كانت في حياتهم، ومُثلوا له في حال حياتهم، كيف كانوا؟ وكيف حجتهم وتلبيتهم.

٣- وهذا مشهد آخر يرويه لنا الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك**».

وفي رواية عند الإمام أحمد: «**خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلاَ يَعْقِلُونَ؟!**».

وعند البيهقي: «**ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به**».

وقد ذم الله عز وجل في كتابه الحكيم أهل الكتاب، فقال تعالى: ﴿ **۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال قتادة: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه، وبالبر، ويخالفون فعيرهم الله تعالى.

والنبي ﷺ يقول: **«مثل العالم الذي يعلم الناس الخير، وينسى نفسه، كمثل السراج يضيء للناس، ويحرق نفسه»**.

وجاء رجل إلى سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ فقال له: إني أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر. قال: أو بلغت ذلك؟

قال: أرجو، فقال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله ﷻ، فافعل. قال: وما هن؟

قال: قوله تعالى: ﴿ **۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال له: أحكمت هذه؟ قال: لا، هات الثانية.

قال: يقول الله تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾** ﴾ [الصف: ٢، ٣]. أحكمت هذه؟

قال: لا، قال ائت بالثالثة.

قال قول العبد الصالح شعيب ﵇: ﴿ **وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ** ﴾ [هود: ٨٨]. أحكمت هذه؟

قال: لا. قال: فابدأ بنفسك.

ورحم الله من قال:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهيت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى	بالقول وينفع التعليم

٤-وهذا مشهد إيماني آخر من مشاهد الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ يرويه لنا الإمام أحمد في «مسنده» وابن حبان في «صحيحه» والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا كَانَ اللَّيْلَةُ الَّتِى أُسْرِىَ بِى فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلاَدِهَا.

قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟

قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشُطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتِ الْـمِدْرَى - أي المشط - مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّـهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِى؟ قَالَتْ: لاَ، وَلَكِنْ رَبِّى وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّـهُ.

قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلاَنَةُ وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِى، قَالَتْ: نَعَمْ رَبِّى وَرَبُّكَ اللَّـهُ.

فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلاَدُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِى إِلَيْكَ حَاجَةً.

قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟

قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِى وَعِظَامَ وَلَدِى فِى ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا. قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الْـحَقِّ.

قَالَ فَأَمَرَ بِأَوْلاَدِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِداً وَاحِداً، إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِىٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِى فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ»(١).

---

(١) صحيح. رواه أحمد في «مسنده» رقم (٢٨٢٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٣/ ٢٥٣) في تحقيق المسند ورواه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٩٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (حـ٩/ ٣٠)، وقال صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

فرسول الله ﷺ قد شم رائحة طيبة، فاحت من عظام هذه المرأة الطيبة، المؤمنة التقية النقية.

إنه الثبات على الايمان في أجمل معانيه، وأعظم صوره، ثبات على الحق، ثبات على الإيمان، درس من أعظم دروس مشاهد الإسراء والمعراج.

والجزاء من جنس العمل، فهذه المرأة لمّا انبعثت روائح احتراق جسدها، وجسد أولادها جعل الله لها رائحة طيبة عطرة، تفوح منها ومن أولادها في السموات العلى، وقد ثبتها الله ﷻ في هذا الموقف العصيب، بأن أنطق لها ولدها الرضيع، ليقطع الوساوس الشيطانية عنها، لماذا؟

لأن الإيمان غزا قلبها، وملك عليها أمرها، كما غزا قلب زوجة فرعون «آسية» وقد كتمت إيمانها حتى بدا وظهر عليها، عذبها فرعون عذابًا شديدًا موجعًا، فكان يمر عليها كليم الله موسى عليه السلام، ويقول لها: يا آسية، ألك إلى الله حاجة؟

فتقول له: أرضي ربي عني أم سخط عَلَيَّ؟

فيقول لها: إن الله ﷻ يباهي بك الملائكة، فقالت: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة، فدعت ربها بهذا الدعاء، فكشف لها عن بيتها في الجنة[1].

٥- وهذا مشهد آخر من مشاهده ﷺ ليلة الإسراء والمعراج يرويه لنا أبو داود وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمَّا عُرِجَ بِى، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ**

(١) صحيح. رواه أبو يعلى (٦/ ٣٥) رقم (٢٥٠٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٠٨).

هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[(١)].

وقد شبه القرآن الكريم المغتاب بصورة أبشع ما تكون، وأخس وأقبح مما يتصور الإنسان، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

فالصورة الأولى بشعة حيث صور الذين يغتابون الناس بأناس لهم أظافر من نحاس، فماذا يفعلون بأظافرهم؟

إنهم يخمشون بها وجوههم، والله لو لم تكن إلا أظافر عادية، لكانت كافية في الشعور بالألم والتعذيب، فما بالكم وهي من نحاس. لابد أن يكون الألم والتعذيب أشد.

وفي الصورة القرآنية صورة بأخس الحيوانات وأقبحها وهو الكلب، فهو الحيوان الوحيد الذي يأكل لحم كلب من جنسه بعد موته، لا يفعلها الأسد، ولا الثعلب المكار، لا يفعلها إلا الكلب، فإذا أردتم أن تكونوا في الآخرة كهؤلاء فلا تدعوا الغيبة.

فاحذروا الغيبة، فإنها ضيافة الفساق، ومراتع النساء، وإدام كلاب الناس، ومزابل الأتقياء، وليكن حظكم منكم لإخوانكم ثلاثة أمور كما قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين:

١- إنك إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تسره فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه[(٢)].

احذر الغيبة فهي الْـ ... فسق لا رخصة فيه

إنَّما المغتاب كالآ ... كل من لحم أخيه

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» وأبو داود، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٣٣)، و«صحيح الجامع» (٥٢١٣).

(٢) «تنبيه الغافلين» (ص١٢٤) للسمرقندي.

وكان الحسن رحمه الله يقول: «إياكم والغيبة، والذي نفسي بيده، لهي أسرع في حسنات من النار في الحطب».

٦- وهذا مشهد آخر يرويه لنا الترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم أن النبي ﷺ قال: «**مَا مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى بِمَلإٍ مِنَ الْـمَلاَئِكَةِ إلاَّ كُلُّهُمْ يَقُولُ لِى: عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْـحِجَامَةِ**». وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه: «**يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أُمَّتَكَ بِالْـحِجَامَةِ**». وعند الطبراني: «**إلا أَمَرُونِي بِالْـحِجَامَةِ**»[1].

وهذا يدل على أهميتها، ولذلك أوصانا بها النبي ﷺ وبين لنا أنها أفضل ما نتداوى به.

فقال كما في حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْـحِجَامَةُ، أَوْ هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمْ**»[2].

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ احتجم. وقال: «**خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْـحِجَامَةُ**».

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله فوائده في كتابه القيم زاد المعاد، لكن لماذا أو ما هو وجه مبالغة الملائكة في الحجامة؟

قال المناوي رحمه الله في فيض القدير: لأنهم من بين الأمم كلهم أهل يقين، فإذا اشتعل نور اليقين في القلب، ومعه حرارة الدم، أضر بالقلب وبالطبع.

وقال التوربشتي: وجه مبالغة الملائكة في الحجامة سوى ما عرف منها من المنفعة العائدة على الأبدان، أن الدم مركب من القوى النفسانية الحائلة بين العبد، وبين الترقي إلى الملكوت الأعلى، والوصول إلى الكشوف الروحانية، وغلبته تزيد

---

(١) صحيح: رواه أحمد والحاكم، والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٤٦٩، ٥٦٧٢).

(٢) رواه مسلم.

جماح النفس وصلابتها، فإذا نزف الدم أورثها ذلك خضوعًا وجمودًا ولينًا ورقة، وبذلك تنقطع الأدخنة المنبعثة عن النفس الأمارة، وتنحسم مادتها، فتزداد البصيرة نور إلى نورها[١].

يقول ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ».

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان. أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، خلق فسوى، وقدَّر فهدى، ورفع السماء بلا عمد، وبسط الأرض على ماء جمد، أحمده - سبحانه وتعالى - على نعمه الظاهرة والباطنة.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لنا من عذاب القبر أمانًا، وعند دخول الجنة ضمانًا.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الذي أنقذ أمته من الضلالة، وحماهم من الجاهلية، حتى اجتمعوا بعد الفرقة، وأصبحوا بعد العداوة إخوانًا.

اللَّهُمَّ صلِّ وبارك عليه صلاة تدوم وتقوم ما اكتحلت بالمنام جفون ساهرة، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها المسلمون... أحباب رسول الله ﷺ...

وبعد هذه المرائى والمشاهد، وقد صدق مولانا في قوله تعالى: ﴿ **لِنُرِيَكَ مِنْ**

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٥٩٤) للمناني.

ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ [طه: ٢٣]، وفي المعراج: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ١٨]، ثم عاد الرسول ﷺ بعد هذه الرحلة القدسية الربانية، فماذا حدث؟

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: «**لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ فَظِعْتُ بِأَمْرِي وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ**».

فَقَعَدَ مُعْتَزِلاً حَزِيناً قَالَ فَمَرَّ عَدُوُّ اللَّـهِ أَبُو جَهْلٍ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ كَالْـمُسْتَهْزِئِ هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ مَا هُوَ؟

قَالَ: «**إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**».

قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: «**إِلَى بَيْتِ الْـمَقْدِسِ**».

قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟. قَالَ: «**نَعَمْ**».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فَلَمْ يَرَ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْـحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ.

قال أبو جهل وهو يعتقد أن رسول الله ﷺ لم يكذب قط: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ، تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

فَقَالَ هَيَا يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْـمَجَالِسُ وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا:قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ**».

قَالُوا إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: «**إِلَى بَيْتِ الْـمَقْدِسِ**».

قَالُوا ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّباً لِلْكَذِبِ زَعَمَ.

قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْـمَسْجِدَ - أي تصفه لنا؟ - وَفِي الْـقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْـبَلَدِ وَرَأَى الْـمَسْجِدَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ **«فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ - يعني أصف - فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْـتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ - قَالَ - فَجِيءَ بِالْـمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عَقِيلٍ** - أي بالقرب من مدار عقيل بن أبي طالب - **فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»**.

قَالَ: وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ. فماذا قال القوم؟

قَالُوا: الْـقَوْمُ أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّـهِ لَقَدْ أَصَابَ.

قالوا: الوصف صحيح لكن الواصف كذاب.

وفي بعض الروايات: قالوا: يا محمد: صف لنا بيت المقدس.

فقال: **«دخلت ليلاً، وخرجت ليلاً»**، نعم دخله في الليل، وخرج منه ليلاً، وكان منشغلاً بإخوانه من الأنبياء والمرسلين، فكيف يستطيع أن يصفه.

وإذا بالأوامر الإلهية تصدر أمرها إلى أمين وحي السماء جبريل عليه السلام أن ينقل لرسول الله ﷺ صورة بجناحه، صورة حية من بيت المقدس، فجعل رسول الله ﷺ يصفه بابًا بابًا، ونافذة نافذة، وشرفة شرفة.

حتى سألوه عن عيرهم، فقال لهم: **«أتيت على عير بني فلان بالروحاء، قد أضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم، ليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء، فشربت منه، فاسألوهم عن ذلك»**.

قالوا: هذه والإله آية.

قال: **«ثم انتهيت إلى عير بني فلان، فنفرت مني الإبل، وبرك منها جمل أحمر، عليه جوالق مخطط بياض** - وهو العذل الذي يوضع فيه المتاع - **لا أدري أكسر البعير أم لا؟ فاسألوهم عن ذلك؟»**.

قالوا: هذه والإله آية، «**ثم انتهيت إلى عير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل أورق، وها تطلع عليكم من الثنية** - أي الطريق الجبلي -».

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر، فانطلقوا، فنظروا، فوجدوا الأمر كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد فيما قال[1].

أحبتي في الله...

لقد كانت هذه الحادثة فتنة لبعض الناس، الذين لم يرسخ الإيمان في قلوبهم فارتدوا، ولذا قال الله ﷻ: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ** ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال البخاري رحمه الله في هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به»[2].

وقال ابن كثير رحمه الله: إن ناسًا رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق، لأنه لم تتحمل قلوبهم وعقولهم ذلك، فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وجعل الله ذلك ثباتًا ويقينًا للآخرين[3].

وذهب بعض الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له: هل لك إلى صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس.

قال أبو بكر: أو قال ذلك؟

قالوا: نعم.

قال: لئن كان قال ذلك، لقد صدق.

---

(١) «المطالب العلية» لابن حجر (٤/ ٢٠١ - ٢٠٤)، و«عيون الأثر» (١/ ١٤٠ - ١٤٢)، وابن هشام بلاغا.

(٢) رواه البخاري رقم (٤٧١٦)، وأحمد في «مسنده».

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٩٢).

قالوا: أو تصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس، وجاء قبل الصبح؟

قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فذلك سمي أبو بكر رضي الله عنه بالصديق[١].

لله درك يا أبا بكر، لقد ظهر إيمانك القوي في هذا الحدث العظيم، واستحققت لقب الصديق، فرضي الله عنك وأرضاك، وصل اللَّهُمَّ وسلم وبارك على حبيبك وحبيبنا وقائدنا محمد ﷺ الذي ضرب بذلك أروع الأمثلة في الشجاعة بالحق والجهر به في وجه الباطل، وإن تحزب أهله وجندوا لحربه كل ما في وسعهم.

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللَّهُمَّ اهد شبابنا وشباب المسلمين، يا رب العالمين.

اللهمَّ صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين. اللهمَّ انصر عبادك الذين يقاتلون في سبيلك، اللهم انصر عبادك الذي يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، اللهمَّ قوهم، وأمدهم بمدد من عندك، وكن لهم وعلى أعدائهم يا أرحم الراحمين، اللهمَّ آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهمَّ واجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى يا أكرم.

نسألك أن تجيرنا من الخزي في الدنيا، ومن العذاب والخزي في الآخرة، اللهمَّ إنا لنا إليك حاجة وبنا إليك فاقة، فما كان منا من تقصير فاجبره بسعة عفوك، وتجاوز عنه بفضل رحمتك، وأقبل منا ما كان صالحًا، وأصلح منا ما كان فاسدًا، فإنه لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا مقدّم لما أخرت، ولما مؤخر لما قدمت، ولا مضل لمن هديت، ولا مذل لمن واليت، ولا ناصر لمن عاديت، ولا

---

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

منجي ولا ملجأ منك إلا إليك، قولك الحق، ووعدك الحق، وحكمك العدل، وقضاؤك فصل.

اللهمَّ إننا نسألك النجاة يوم الحساب، والمغفرة يوم العقاب، والرحمة يوم العذاب، والرضا يوم الثواب، والنور يوم الظلمة، والرّيَّ يوم العطش والفرج يوم الكرب، وقرة عين لا تنفد ومرافقة نبينا محمد ﷺ.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا، ولآبائنا وإخواننا المؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهمَّ من مات منهم فاغفر له ذنبه، ونور له قبره، وآنس وحشته، وآمن روعته، وابعثه آمنًا من عقابك. موقنًا بثوابك، مع الذين أنعمت عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن بقى منا فأهده فيمن هديت، وتوله فيمن توليته، وعافه فيمن عافيته، ووسع عليه فيما رزقته، وبارك له فيما أعطيته، وحبب إليه طاعتك، وارزقه العون على عباداتك، واجعلنا أهل بيت صالحين، وفقهنا في الدين، واجعلنا أئمة للمتقين، يا ذا الفضل العظيم.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.



الخطبة التاسعة والأربعون

وقفة مع بعض أسرار آية الإسراء

الحمد لله الذي أوضح لعباده وأهل حبه، ووداده سبيلاً، وأقام لهم من الآيات الصحيحة والبراهين الفصيحة دليلاً، وتجلى لأبصار بصائرهم وتبدى لمرآة سرائرهم، فلم يتخذوا غيره وكيلا، القدير الذي يقضي بما يشاء، فيذل عزيزًا، ويعز ذليلاً. البصير الذي يبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويؤيدها بالإلهام فتلتمس قوتًا، وتؤم مقيلاً، السميع الذي يسمع صوت البعوضة إذا رجعت بالتلحين، وأخذت في الترنين بكرة وأصيلا، البديع الذي أتقن كل شيء خلقه فستر قبيحًا وأظهر جميلاً، ورفع قبة السماء وكللها بالنجوم الزواهر تكليلاً.

أحمده حمدًا كثيرًا طويلاً، وأشكره شكرًا يكون بزيادة نعمه كفيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من بريء من التقليد وشرب من كؤوس التوحيد سلسبيلاً.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه الذي اتخذه نبيًّا ورسولاً وخليلاً، فانشق له القمر المنير، وكلمه الظبي الغرير، وجاء إليه البعير مستجيرًا، صلى اللَّهُمَّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، الذين كسروا الصلبان، ورتلوا القرآن ترتيلاً. سيدي يا رسول الله...

أنت الذي لما رفعت إلى السماء ... بك قد سمت وتزينت لسراكَ

أنت الذي ناداك ربك مرحبًا ... ولقد دعاك لقربه وحباكَ

وخضت دين الشرك يا علم الهدى ... ورفعت دينك فاستقام هناكَ

مـاذا يقـول المادحـون ومـا عـسى	أن تجمـع الكـتاب مـن معـناكَ
صـلى علـيك الله يـا علـم الهـدى	مـا اشـتاق مـشتاق إلى مـثواكَ

أما بعد...

أيها المسلمون.... . أحباب رسول الله ﷺ...

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فقد فاز المتقون وسعدوا، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي الكرام. . .

نضر الله ﷻ هذه الأوجه الطيبة، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك، أن يجمع بيننا وبين حبيبنا ونور عيوننا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

نحن اليوم على موعد بلقاء، ولقاؤنا اليوم مع آية الإسراء، لنقف معها ونعيش معها بقلوبنا وأذهاننا، نتعرف على أسرارها، وما فيها من عبر وعظات، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

افتتح الله ﷻ السورة المباركة بقوله: ﴿ سُبۡحَٰنَ ﴾، التي تدل على شيء من

عجيب قدرة الله ﷻ، لأنه خارق للعادة، فلم تبدأ بمثلها من المسبحات كسورة الحديد، التي بدأت بالفعل الماضي.

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ [الحديد: ١].

وكذلك سورة الحشر: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ [الحشر: ١].

وكذلك سورة الصف، وأما سورة الجمعة فبدأ بالفعل المضارع، الذي يدل على الاستمرار ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: ١].

وكذلك سورة التغابن لكن سورة الإسراء، لم تبدأ بالفعل المضارع، ولا بالفعل الماضي وإنما بدأت بالمصدر الذي يدل على الثبوت والدوام، فهو الذي سبحته الخلائق في الماضي، وهو الذي تسبحه الخلائق في كل الأوقات، وفي كل الأماكن، في السموات وفي الأرض، وفي البر، وفي البحر.

الطير سبحه والوحوش مجده ... والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصمِّ قدسه ... والنحل يهتف حمدًا في خلاياه
والناس يعصونه جهرًا فيسترهم ... والعبد ينسى وربي ليس ينساه

الكون كله بكائناته يسبح الله، ويثني على الله، ويسبح الله تسبيحًا وثناء لا نفهمه، الله - سبحانه وتعالى - يعلمه، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

سبحت الكائنات بحمده، فملأ الكون تحميده، سبحه النبات جميعه وفريده، والشجر عتيقه وجديده، سبحته الحتيان في البحار الزافرات، وسبحته الوحوش في الفلوات.

تسبحه نغمات الطيور ... يسبحه الظل تحت الشجر

يـسبحه النـبع بـين المـروج وبـين الفـروع وبـين الثمـر
يـسبحه الـنور بـين الغـضون يـسبحه المـاء وضـوء القمـر

الطير يسبح، ويصلي صلاة لا ركوع لها ولا سجود، الله يعلمها، ونحن لا نعمها، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١].

والتسبيح معناه: تنزيه الله ﷻ عن كل نقص، ووصفه بكل كمال، فهو - سبحانه وتعالى - لا شبيه له، ولا مثيل له، لا في الذات، ولا في الصفات، ولا في الأفعال، وقد جاءت في مفتتح السورة، لتشير إلى أن ما بعدها أمر خارج عن نطاق قدرات البشر، فإذا سمعته فإياك أن تعترض، أو تقول: كيف يحدث هذا؟ بل نزه مولاك القادر المقتدر عن فعل فعله البشر، لماذا؟

لأن قريشًا كانوا يضربون أكباد الإبل شهرًا إيابًا، وشهرًا ذهابًا، وإياك أن تنكر؛ لأن ربك لم يقل: سرى محمد، لكن أُسرى به، فالفعل ليس من محمد، ولكنه من الله، وما دام الفعل لله، فلا ينبغي ولا يتأتى لنا أن نخضعه لمقاييس الزمن لدينا.

ولو تأملنا كلمة ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾، نجده في الأشياء التي ضاقت فيها العقول، وتحيرت في إدراكها، وفي الأشياء العجيبة، فمثلاً يقول الله ﷻ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس: ٣٦].

فالأزواج أي الذكر والأنثى، ومنهما يحصل التكاثر في الإنسان، والحيوان والنبات وقد فسر لنا العلم الحديث قوله: ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾، بما توصلوا إليه من اكتشاف الذرة والكهرباء، وأن فيها السالب والموجب، الذي يساوي الذكر والأنثى، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الروم: ١٧].

فمن يتأمل شروق الشمس وغروبها، ويرى كيف يحل الظلام محل الضياء، أو الضياء محل الظلام، لا يملك إلا أن يكون بملء قلبه ولسانه وجوارحه.

سبحان الله! كل هذه أمور عجيبة، لا يقدر عليها أحدٌ إلا الله ﷻ، والحق - سبحانه وتعالى - قال: أسرى بعبده، فالفعل لله، وليس لمحمد، ولا نقس الفعل بمقياس البشر ونزه فعل الله ﷻ عن فعلك.

أحبتي في الله...

ثم نأتي إلى الكلمة الثالثة ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾، لم يقل: برسوله ولا نبيه، ولا بحبيبه ﷺ، وإنما قال: بعبده، فالمقصود به هنا هو رسول الله ﷺ، أما إذا صرح القرآن الكريم بالعبودية لأي نبي، فإنه يصرح باسم ذلك النبي، مثل قوله تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ ﴾ [مريم: ٢].

وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ ﴾ [ص: ٣٠]، فالمقصود هنا بالعبد هو سليمان عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ۝ ﴾ [ص: ٤٥].

وقال عن نوح عليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴾ [القمر: ٩].

أما إذا أراد أن يعنون بالعبودية لرسولنا وحبيبنا محمد ﷺ فإنه لا يذكر اسم محمد، لم يقل: أسرى بعبده محمد، وهذا في الإسراء، وأما في المعراج ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ١٠].

لماذا لم يقل: إلى عبده محمد؟ لأن محمدًا أجلى من الشمس في ضحاها، وأوضح من النهار إذا جلاها، وأرفع من القمر إذا تلاها، لماذا ذكره في الإسراء عبد، وفي المعراج عبدٌ، إنه - سبحانه وتعالى - يريد أن يفصل بين مقام العبودية،

ومقام الألوهية، فمحمد ﷺ أُسرى به، بل وعرج به إلى ما فوق سدرة المنتهى، ومع هذا المقام الرفيع، والمكانة العالية السامية، لم يتجاوز العبودية إلى الألوهية أو الربوبية، فهو مع الإسراء عبد الله، ومع المعراج عبد الله، ولا إله ولا رب في هذا الكون إلا الله.

ولذلك قال ﷺ بلسان اليقين، ومنطق الحق المبين: «لاَ تُطْرُونِى كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ»[1].

وكان أحب الأسماء إليه، عبد الله، ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن: ١٩]. فيا رب العزة والجلال.

كفاني فخرًا أن أكون لك عبدًا   وكفاني عزًا أن تكون لي ربًا

وفرق بين العبودية لله، والعبودية للبشر، فالعبودية لله ﷻ شرف.

ومما زادني فخرًا وتيهًا   وكدت بأخمصي أن أطأ الثريا

دخولي تحت قولك: يا عبادي   وأن صيرت أحمد لي نبيًا

أما عبودية البشر للبشر، فنقص ومذلة وهوان، ولصدق رسول الله ﷺ في عبوديته، استحق أن يكون له ميزة وخصوصية عن غيره، فكان له الإسراء والمعراج، وهذا عطاء من الله لمن أخلص له وصدق له في العبودية، وهو حبيبه وعبده ورسوله محمد ﷺ.

أحبتي في الله...

معلوم أن الإسراء من السرى وهو السير ليلاً، فلماذا قال الله ﷻ: ﴿ لَيْلًا ﴾، ولماذا لم تكن معجزة الإسراء والمعراج نهارًا ليعاينها الناس جهارًا كما عاينوا معجزات المصطفى ﷺ قبل وبعد ذلك؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن عمر.

والجواب على ذلك: أن الإسراء حدث ليلاً، لتظل المعجزة غيبًا يؤمن به من يصدق رسول الله ﷺ فلو ذهب في النهار، ورآه الناس في الطريق ذهابًا وعودة، فتكون المسألة - إذا حسية مشاهدة لا مجال فيها للإيمان بالغيب، ثم إن معجزات الرسول ﷺ الحسية التي شاهدها من أنكرها كانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وغيرها من المعجزات عندما شاهدها من طبع الله على قلوبهم، ما كان منهم إلا أن قالوا: ﴿ **إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ** ﴾ [الحجر: ١٥].

﴿ **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝** ﴾ [الأنعام: ٧].

وفي الإسراء والمعراج جانبًا حسيًّا، وهو وصف الرسول ﷺ لبيت المقدس وصفًا دقيقًا، عندما تحدوا أن يصفه لهم، وأخبرهم زيادة على ما طلبوا أن للقوم عيرًا في الطريق، وصفتها كذا وكذا، وسوف تصلهم مع شروق الشمس في يوم كذا، وفعلاً تجمعوا في صبيحة هذا اليوم مع شروق الشمس ينتظرون العير، وعند الشروق قال أحدهم: ها هي الشمس قد أشرقت، ورد الآخر: وها هي العير قد أقبلت.

فقالوا: لقد سحرنا محمد.

ثم قال: ﴿ **مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا** ﴾، قبل الإسراء والمعراج ووقته لم تكن الكعبة مسجدًا، ولم يكن المسجد الأقصى مسجدًا، فلماذا عبر الله ﷻ عن كلا البيتين بأن كلا منهما مسجدًا؟

والجواب: أن في الآية بشارتين لأمة الحبيب محمد ﷺ:

أما البشارة الأولى: ففي المسجد الحرام، فهو وإن كان فيه الآن أصنامًا تعبد من دون الله كالات والعزى ومناة وهُبل، وغيرها، إلا أنه سيتحول إلى أعظم المساجد في الدنيا بأسرها.

والثانية: للمسجد الأقصى فقد كان فيه هيكل بني إسرائيل يعيثون فيه فسادًا، وكان الرومان يعيثون فيه فسادًا، ولم يكن يذكر فيه اسم الله الواحد الديان، فسوف تفتحه أمة الحبيب محمد ﷺ بقيادة رجل من أبطالها الأتقياء الأنقياء، وكان الفاتح له فاروق الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي العام الثامن الهجري، دخل الحبيب المصطفى ﷺ الكعبة المشرفة وكان فيها ثلاثمائة وستون صنمًا، تُعبد من دون الله، وحطمها، وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

ثم أمر بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه أن يصعد على الكعبة، ويطلق الأذان من صوته الندي الشجي، وينطلق صوت بلال بالتكبير، ويعجب المتغطرسون من رجالات قريش، ويقولون: ألم يجد محمد غير هذا الغراب، فيأمره بالأذان، وإذا بالآية تنزل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ ﴾ [الحجرات: ١٣].

الناس من جهة التصوير أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء

فإن يكن لهم من أصلهم شرف ... يتفاخرون به فالطين والماء

وأما المسجد الأقصى، فقد تَمَّ فتحه على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العام الخامس عشر من هجرة الحبيب المصطفى ﷺ.

دخل عمر بن الخطاب المسجد الأقصى وفتحه، والمسجد الأقصى الآن أسير يشكو إلى الله عز وجل ظلم العباد.

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان. والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال: ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، جعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير.

أحمده على ما أولى من المنن وأباح من الاصطناع، وأشكره شكرًا يخرج من العسر إلى اليسر، ومن الضيق إلى الاتساع.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، شهادة أجد بركتها في يوم ينكشف القناع.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الذي انشق له القمر، وكلمه الحجر، وانقطع له الشجر، فأفحم أهل الكفر والزور والابتداع، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين مهدوا رسومهم، وبذلوا نفوسهم، وصدقوا رسولهم، صلاة تدوم ما عز مطاع، وهز القلب سماع، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

ويختم الله ﷻ آية الإسراء بقوله: ﴿ **لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾، أراه الله ﷻ الدنيا في صورة عجوز شمطاء عليها من كل زينة.

أراه المجاهدون في سبيل الله في صورة من يزرعون في يوم، ويحصدون في اليوم الآخر.

آراه أولئك الذين يتكلمون بالكلمة الفاسدة بصورة ثور يخرج من جحر صغير ثم يريد أن يعود فلا يستطيع.

آراه عقوبة من يشرب الخمر بصورة أناس يشربون الصديد.

آراه الزناة بصورة أناس يتنافسون على أكل اللحم المنتن القبيح، ويتركون الطيب.

آراه سدرة المنتهى، وهي شجرة عظيمة بها من الحسن، ما لا يصفه أحد من خلق.

آراه مالك خازن النيران.

آراه البيت المعمور في السماء السابعة.

آراه النار، وأهلها فيها يعذبون ويستغيثون.

آراه الجنة وما فيها من نعيم، وصدق مولانا إذ يقول: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨].

فقد كانت مهمة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ثم إلى سدرة المنتهى، أن يريه الآيات الكبرى، ولله ﷻ آيات كثيرة، منها الظاهر الذي يراه الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ [الشورى: ٣٢].

لكن الله ﷻ أراد أن يجعل لحبيبه ومصطفاه ﷺ خصوصية، وأن يريه من آيات الغيب الذي لم يره أحد، ليرى حفاوة أهل السماء به، ويرى مكانته عند ربه الذي قال له في خاتمة سورة النحل، التي قبلها: ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧].

إن أهانك أهل الأرض، فسوف يحتفل بك أهل السماء في الملأ الأعلى، وإن كنت في ضيق من الخلق، فأنت في سعة من الخالق، فالله سميع لأقوالك، بصير بأفعالك، وبإيذائهم لك.

اللَّهُمَّ إنك أنت القادر، فاردد المسجد الأقصى إلى أيدي المسلمين، اللَّهُمَّ إنك الحق المبين، والإله المعبود، والكريم المنان، المحسن المتفضل، انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، اللَّهُمَّ عليك

باليهود ومن والهم، اللَّهُمَّ اجعل كيدهم في نحرهم.

الله حبب إلينا الخير، واستعملنا به، وكره إلينا الشر، واصرفنا عنه بلطفك الخافي وصنعك الكافي، إنك على ما تشاء قدير.

اللَّهُمَّ عليك نتوكل، وبك نستعين، وفيك نوالي، وإليك ننتسب، وبك نستأنس، اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا، وأكرمنا يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.



الخطبة الخمسون

فضائل المسجد الأقصى

الحمد لله رب العالمين، مشرق الأكوان، قوى الأركان، رحمته في هذا المكان وفي كل مكان، عرشه في السماء، لكن علمه في كل مكان، وبقدرته يتجاوز المكان والزمان.

سبحانه، سبحانه، يعلم عدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق النهار، لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضًا، ولا بحر إلا ويعلم ما في قعره، ولا جبل إلا ويعلم ما في وعره، لك الحمد، يا حبيب السائلين، لك الحمد يا هادي الحائرين، يا موصل المنقطعين، ولك الشكر يا من نعمك لا تعد ولا تحصى.

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، فالق الحب والنوى، فالق الإصباح، مقلب الليل والنهار، عالم الخفايا والأسرار، يعلم ما طلعت عليه الشمس، وأشرق عليه النهار.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا ومعلمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد طب القلوب ودواؤها، ونور الأبصار وضياؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها، أقرب الخلق إلى مولاه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم لديه شفاعة، وأحبهم وأكرمهم عليه، رفع له ذكره، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالفه.

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت ... بأنه خير مبعوث من البشر

عمّت فضائله كل البلاد كما ... عمّ البرية ضوء الشَّمس والقمر

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون.... أحباب المصطفى ﷺ...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يجمعنا مع حبيبنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى إنه ولي ذلك والقادر عليه، وفي بداية هذا اللقاء المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أحبتي في الله...

هيا بنا لنعيش سويًا مع بقعة من أشرف بقاع العالم، نذهب إليها بقلوبنا وأرواحنا، إلى أرض بارك الله فيها، وبارك من حولها، موطن الأنبياء، ومنبع الرسالات، ومفتاح الحضارات، إلى منتهى مسرى نبينا محمد ﷺ ومبدأ معراجه، أَمَّ فيها نبينا ﷺ الأنبياء، فكان إيذانًا له بتولية قيادة البشرية، ثم فتحها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحررها بعده الناصر صلاح الدين إنها بيت المقدس،

التي قال الله ﷻ فيها: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

وقال في علاه عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وقال عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء: ٨١].

فهي موطن الأنبياء، ومأوى الصالحين، وإليها كانت القبلة الأولى، وانتهى إليها الإسراء وابتدأ منها المعراج، وهي أرض المحشر والمنشر.

أحبتي في الله...

إن للمسجد الأقصى في نفوس المسلمين أهمية خاصة، ومكانة عظيمة، يكنون له الود الشديد، والحب العميق، وما ذلك إلا لأن الله ﷻ اختاره، وفضله ثم اصطفاه واجتباه، والله ﷻ يقول: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨].

وربنا - تبارك وتعالى - طيب لا يختار من موجوداته تفضيلاً وتشريفًا إلا ما كان شريفًا طيبًا مباركًا، وتلك سنته في خلقه وكونه.

فقد خلق السموات سبعًا، واختار منها أعلاها، وجعلها مستقرًا لملائكته المقربين المكرمين، ومحطًا لأرواح عباده الأبرار الصالحين المتقين، واختصها بالقرب من كرسيه، ومن عرشه، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وخلق الملائكة، فاصطفى منها رسلاً وسادة، كجبريل الأمين، وميكائيل وإسرافيل وخلق من الماء بشرًا، فجعله نسبًا وصهرًا، فاختار منهم النبيين، ثم اصطفى من الرسل مبشرين ومنذرين، حجة منه عليهم، وخص منهم خمسة هم أولو العزم منة منه وفضلاً، ثم اجتبى من خيار الخيار عاقبهم وخاتمهم الآخر

السابق، الذي أمهم جميعًا بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج محمد بن عبد الله ﷺ ومن ذلكم كذلك اختيار الله تعالى البقاع الثلاثة المباركة من سائر مناحي الأرض التي دحاها، كما قال ﷻ مقسمًا بها: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ ﴾ [التين: ١ - ٣]، لأنها استنارت أعظم المنح السماوية، وتباركت بنزول الكتب الإلهية.

ومن لطف الله ﷻ بعباده، ورحمته السابغة وجوده أن خص لنا من المساجد والأمكنة الأماجد ما تضاعف فيه الحسنات، وتكفر بالخطا إليه السيئات، والمسجد الأقصى المبارك من تلكم البقاع الطاهرة، التي تشد الرحال إليها، وتضاعف فيه الأعمال، وتحط فيه الأوزار، لكن واأسفاه، واأسفاه على المسجد المسلوب، مسرى الحبيب المعصوم، حرمنا والله وصاله، حيل بيننا وبينه، ونسأل الله ﷻ أن يعيده إلى الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

عباد الله...

إن الصراع بين الحق والباطل ليس جديدًا، وإنما هو قديم، قدم الحياة على ظهر هذه البسيطة، ونحن وإن كنَّا نعيش في مرحلة قد انتفش فيها الباطل وأهله، وما انتفش الباطل وأهله إلا يوم انشغل أهل الحق عنه، فتمكن أهل الباطل تمكن أحقر وأذل وأنجس أمم الأرض، إخوان القردة والخنازير من إقامة دولة على الثرى الطاهر في الأرض المباركة، التي باركها الله ﷻ.

وإن العداء قائم بين أهل الحق، وأهل الباطل، من الذي أخبرنا بذلك؟ إن الله ﷻ الذي خلقنا وخلقهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم، حيث قال في كتابه: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولذلك ينبغي على كل مسلم أن يعلم تمام العلم أن هؤلاء الملاعين، لا عهد لهم، ولا ميثاق كأسلافهم، فيهود الأمس، سلف سيء، ويهود اليوم خلف أسوأ،

قتلوا الأنبياء، وسفكوا الدماء، يتموا الأطفال، ورملوا النساء، إنهم سلسلة متصلة من الخداع واللؤم والمكر والسوء والشر، لقد تطاولوا على مقام الألوهية، ووصفوا الله ﷻ بأوصاف لا تليق بذاته، ولا بكماله: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

إنهم قوم بهت، وقوم خيانة، متخصصون في نقض العهود، ووالله الذي لا إله إلا الله غيره لم ولن يفي اليهود بعهد من العهود... لماذا؟

منذ أول لحظة وصل فيها الحبيب النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، نورها الله ببركته، قام إليه عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان حبرًا كبيرًا من أحبار اليهود، نظر إلى وجه الحبيب النبي ﷺ فعرف أنه ليس بوجه كذاب، فشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وقال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت - أي أهل افتراء وظلم ينكرون الحقائق - فاكتم عنهم خبر إسلامي - وسلهم عني فجمع النبي ﷺ بطون اليهود، وقال لهم: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ سَلاَمٍ».

قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وابن حبرنا، فقام عبد الله بن سلام إلى جوار رسول الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فرد اليهود الملاعين على لسان وقلب رجل واحد: هو سفيهنا، وابن سفيهنا، وجاهلنا وابن جاهلنا[1].

هذه طبيعة اليهود منذ العصر النبوي، بل منذ عصر الكليم موسى عليه السلام، وهم هم لم يتغيروا، فمتى نفيق ونستيقظ من سباتنا؟

---

(١) رواه البخاري في «مناقب الأنصار»، وفي «التفسير».

الصراع بين الحق والباطل قديم، والأيام دول، وسوف يأتي اليوم الذي ينتفش فيه الحق، ويندحر الباطل، ونحن على موعد مع الحق والحق أبلج، فقد أخبرنا رسول الحق ﷺ فقال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

أحبتي في الله...

هيا لنتعرف على هذا المسجد المبارك، وتلك البقعة الطاهرة التي تنادى بلسان حالها: واإسلاماه، واإسلاماه، فهل من مجيب؟

أجيبوا يا مسلمون، أجيبوا لبيك يا قدس، لبيك يا أقصى، خبرنا ماذا يجرى على ثراك؟ الجواب، مجازر يتفتت منها قلب من كان له قلب، قتل الأطفال ورملت النساء، واعتدى على الحرمات، اقتحمت البيوت، وشرد الآمنون، وروع الآمنون، مناظر مفزعة، ومشاهد دامية، تبعث الشفقة والرحمة في قلوب الجفاة فضلاً عن الرحماء.

نساء فلسطين تكحلن بالأسى ... وفي بيت لحم قاصرات وقُصَّر
وليمون يافا يابس في أصوله ... وهل شجر في قبضة الظلم يزهر
ألا يا صلاح الدين هل لك عودة ... فإن جيوش الروم تنهى وتأمر
تناديك من شوقٍ مأذن مكة ... وبدر تنادي يا حبيبي وخيبر

المسجد الأقصى له أسماء كثيرة متعددة أولها وأشهرها «المسجد الأقصى»، وسمي بذلك لأنه أبعد المساجد التي تزار ويبتغي بها أجر العلي القهّار - جل في علاه -.

وقيل: إنه قد سمي بذلك: لأنه ليس وراءه موضع عبادة، وقيل غير ذلك.

ويسمى «مسجد إيلياء»، ويسمى «بيت المقدس»، أي المطهر من دنس الذنوب، ويسمى بـ «القدس الشريف»، أي الطاهر الخالي من الأصنام، ويسمى «أوشليم».

وقد ذكر الإمام ابن حجر في «فتح الباري» حوالي عشرين اسمًا، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعظمة مكانته.

لكن من الذي قام ببناء المسجد الأقصى، أو بيت المقدس؟

ولكي نجيب على هذا السؤال لابد أن نتعرف على من الذي بنى المسجد الحرام؛ لأن المسجد الأقصى بني بعده بأربعين سنة، ودليل ذلك ما روى البخاري من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّـهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟**

قَالَ: «**الْـمَسْجِدُ الْـحَرَامُ**».

قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْـمَسْجِدُ الأَقْصَى**».

قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً**».

المسجد الحرام أول بيت، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦]. فمن الذي بنى المسجد الحرام، يزعم البعض أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام هو الذي بناه، لكن الأدلة تثبت أن الخليل إبراهيم عليه السلام لم يبتدأ بنيانه، وإنما رفع قواعده بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

والرفع خلاف وضع الأسس، وبدليل أن نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام عندما ذهب بهاجر وولده إسماعيل وهو طفل صغير رضيع، دعا ربه قائلاً: ﴿ **رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فدلت هذه الآية الكريمة أن المسجد الحرام، أو بيت الله الحرام كان موجودًا قبل عهد الخليل ولكن لمّا كبر إسماعيل، أمر الله ﷻ إبراهيم أن يجدد قواعد البيت ويرفعها. إذن فمن الذي بناه؟

ذكر أهل العلم أن الذي بناه هو سيدنا آدم عليه السلام، وهذا رأي كثير من أهل العلم كالإمام ابن حجر وغيره.

قال ابن حجر رحمه الله: وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: أن آدم هو الذي أسس كلا من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب «التيجان»، أن آدم عليه السلام لمّا بنى الكعبة أمره الله ﷻ بالسير إلى بيت المقدس، أن يبنيه، فبناه ونسك فيه.

وقيل: إن الذي بناه الملائكة، وقيل: سام بن نوح، وقيل: يعقوب عليه السلام، ويكون الذي وقع من داود وابنه سليمان مثل ما وقع من الخليل للبيت الحرام، فلا ينبغي أن نقول: إن إبراهيم الخليل عليه السلام هو الذي بنى الكعبة، أو أن سليمان أو أبوه داود هما اللذان بنيا بيت القدس.

أحبتي في الله...

ما فضل بيت المقدس؟ أو المسجد الأقصى؟ أما فضله فكبير، فقد وصف القرآن الكريم في كثير من آياته بيت المقدس، ومسجده بالبركة، وهي الزيادة، في الخيرات والمنح والهبات، حيث قال الله ﷻ: ﴿ **وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا** ﴾ [الأنبياء: ٨١].

وقال على لسان كليمة موسى عليه السلام: ﴿ **يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [المائدة: ٢١]، وعند حديث القرآن عن هناءة ورغد عيش أهل سبأ يقول سبحانه: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً** ﴾ [سبأ: ١٨].

وهي قرى بيت المقدس ووصف الله ﷻ في القرآن الكريم أرضها بالربوة ذات الخصوبة، وهي أحسن ما يكون فيه النبات، وماءها بالمعين الجاري، قال

سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

قال الضحاك وقتادة: وهو بيت المقدس، قال ابن كثير: وهو الأظهر[١].

أنه القبلة التي كان يتوجه إليها رسول الله ﷺ قبل أن يتحول إلى الكعبة حيث صلى النبي ﷺ نحو بيت المقدس بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، ثم حوله الله ﷻ إلى البيت الحرام، وأشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أنه أرض المنادي من الملائكة نداء الصيحة، لاجتماع الخلائق يوم القيامة، كما قال مولانا: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [ق: ٤١].

وقد ورد في السنة المطهرة أحاديث كثيرة تبين فضل المسجد الأقصى، قال صلوات ربي وسلامه عليه: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِى هَذَا، وَالمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[٢].

فقد شرع النبي ﷺ السفر إلى المسجد الأقصى لقصد التعبد فيه، ونهى عن السفر إلى إي مكان مسجدًا كان أو غيره.

عباد الله...

وإتيان المسجد الأقصى بقصد الصلاة فيه، يكفر الذنوب، ويحط الخطايا، فعن عبد الله بن عمر وعن النبي ﷺ قال: «**لَـمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْـمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّـهَ ثَلاَثًا: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لاَ يَنْبَغِى لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَلاَّ يَأْتِىَ هَذَا الْـمَسْجِدَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ فِيهِ، إِلاَّ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ**»[١].

ولأجل هذا الحديث كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي من الحجاز، فيدخل، فيصلي فيه، ثم يخرج ولا يشرب فيه ماء، مبالغة منه، لتمحيص نية الصلاة دون غيرها لتصيبه دعوة نبي الله سليمان عليه السلام.

وقد يعترض البعض ويقول: إننا ذكرنا أن آدم عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى لكن ظاهر هذا الحديث أن نبي الله سلميان عليه السلام هو الذي بنى بيت المقدس، فكيف نوفق بين هذا وذاك؟

والجواب: أن المراد ببناء سيدنا سليمان عليه السلام له، أي أنه قد أعده ونظفه، وطهره، ورمم سقفه، وهيأه للعبادة، لأن الذين سكنوه قبله لم يعتنوا به وكانوا من غير الموحدين، وطال الزمن على بنائه الأول، وأثرت فيه الأمطار، وتراكمت فيه الأتربة والأوساخ، فكان يحتاج إلى من يهيئه للعبادة، بإدخال بعض الإصلاحات فيه، فكان هو نبي الله سليمان عليه السلام.

وقد مدح النبي ﷺ من يصلِّي فيه، وبين أن الصلاة فيه مضاعفة.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال ﷺ: «**صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعًا**». أو قال: «**خير له من الدنيا وما فيها**»[٢].

وهذا حديث شريف يشتمل على فوائد متعددة منها: بشارة النبي ﷺ بفتح

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والنسائي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه»، وابن خزيمة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١١٧٨).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٥٣)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١١٧٩).

بيت المقدس؛ لأن هذا كان قبل الفتح العمري ببضع عشرة سنة، ومن مؤيدات هذه البشارة حديث عوف بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْـمَقْدِسِ...**»(١).

وفيه أن صلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة فيما سواه، عدا مسجدي مكة والمدينة.

وفي حديث الإمام أحمد في «مسنده» من حديث ميمونة ﵂ قالت: يا نبي الله، أفتنا في بيت المقدس، فقال ﷺ: «**أَرْضُ الْـمَنْشَرِ وَالْـمَحْشَرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ فَإِنَّ صَلاَةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ**».

قَالَتْ ميمونة ﵂ يا رسول الله : **أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يُطِقْ أَنْ يَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ أَوْ يَأْتِيَهُ**، قَالَ، «**فَلْيُهْدِ إِلَيْهِ زَيْتاً يُسْرَجُ فِيهِ، - أو يوقد ويضاء به - فَإِنَّ مَنْ أَهْدَى لَهُ كَانَ كَمَنْ صَلَّى فِيهِ**»(٢).

ومن فضائله أن الله ﷻ تاب على داود ﵇ وابنه سليمان في أرض بيت المقدس، ورد الله على سليمان ملكه في بيت المقدس، وتسورت الملائكة على داود ﵇ ببيت المقدس، وسخر الله لداود الجبال والطير ببيت المقدس، وألان له الحديد وهو في بيت المقدس، وأوتيت السيدة مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء في بيت المقدس، وكفلها زكريا ﵇ وهي في بيت المقدس، وبشر الله ﷻ زكريا بيحيى وهو في بيت المقدس، وبشرت مريم بعيسى وهي ببيت المقدس، وأيد الله عيسى ﵇ بروح القدس ببيت المقدس، وكان يبريء الأكمة والأبرص وهو ببيت المقدس.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٢٧٤٩٨)، وصححه حمزة الزين في تحقيق المسند (١٨/ ٦٠٥)، وضعفه الألباني.

أحبتي الكرام...

وأزف إليكم هذه البشرى العظيمة، التي بشرنا بها سيد الأنام ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، روى أحمد وغيره أن عبد الله بن حوالة الأزدي قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي أو قال: على هامتي، ثم قال: **«يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْـخِلاَفَةَ قَدْ نَزَلَتِ الأَرْضَ الْـمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلاَزِلُ وَالْـبَلاَيَا وَالأُمُورُ الْـعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِى هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»**(١).

أيها المسلمون...

يقول النبي الأمين ﷺ: **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّـهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»**(٢). قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: **«بِبَيْتِ الْـمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْـمَقْدِسِ»**.

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان. والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال: ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي جعل الحمد لجميل نعمه مفتاحًا، وأفصح به في أرضه وسمائه إفصاحًا، أحمده حمدًا ينشر علينا من رحمته جناحًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير، شهادة منجية من عذاب النار، مبوأة من شهد بها دار القرار.

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن العرباض، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٣٨)، وصحيح أبي داود (٢٥٣٥).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» من حديث أبي أمامة الباهلي.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المأخوذ ميثاقه على الأمم أشباحا، والمبعوث في داجي ظلم الجهل مصباحًا، والموضح سبل الحق لأهل الحق إيضاحًا، اللَّهُمَّ فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه مساءً وصباحًا الذين كتب الله لهم الفلاح في الدنيا والآخرة.

أما بعد...

أيها الأحبة في الله...

إن أرض فلسطين وبيت المقدس وقعت أسيرة في قبضة عدو لا يرحم، وقعت في يد أعداء البشرية، ومجرموا الإنسانية، شر البرية، جرائمهم منذ غابر الزمان على بنى الإنسان أكثر من أن تحصى، وأكبر من أن تروى أو تحكى، عبّاد العجل، أبناء القردة والخنازير، عبد الطاغوت، من لعنهم الله وغضب عليهم.

أما نقض العهود فهم أساتذته: ﴿ **أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم** ﴾ [البقرة: ١٠٠].

أما عدوانهم على خيرة خلق الله من أنبيائه ورسله، فلنقرأ قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٠].

عدوانهم على الإنسانية قديم، فهم مشعلوا «الفتن»، موقدوا نار الحروب، ولن ينتهي سعيهم بالفساد في الأرض إلى أن يشاء الله، ﴿ **كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ [المائدة: ٦٤].

أمة الإسلام.. أمة القرآن...

حق على الأمة الإسلامية وهي تواجه عدوًا هذه بعض صفاته أن تستعد له، كيف تستعد لذلك:

أولاً: أن نقوي صلتنا بالقوي الذي لا يغلب، أتدرون من هو؟ إنه الله المنتقم الجبار، العزيز المتكبر، ذو الأمر الرشيد، ذو البأس الشديد.

وعلينا أن نتوب إلى الله جميعًا، فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، وهذه دعوة لنا جميعًا أن نتفكر قبل أن نعصي الله ﷻ، وأن نوقن أن المعصية لها آثار منها أنها توجب غضب الجبار، وتوجب لوج النار، إن لم يتب العبد منها وإن من آثار المعاصي تسلط الأعداء.

ثانيًا: علينا أن نوقن ونعلم تمام العلم أن ما حصل ويحصل إنَّما هو بقدر الله، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

إنه الإيمان بأقدار الله كلها، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا.

ثالثًا: علينا أن نوقن أن قدر الله ﷻ كله خير، ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والقاعدة القرآنية الربانية واضحة: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

رابعًا: العمل، العمل، كل في ميدانه، وكل في مجال تخصصه، والله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

خامسًا: الأخوة الإسلامية، وآه، آه، من ضياع الأخوة الإسلامية اليوم مع أن الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، فهل يعقل أن يمر مسلم على أخيه المسلم دون أن يسلم عليه؟

سادسًا: الثقة بوعد الله تعالى، فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣]، ويقول: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

سابعًا: الاستعداد لجهاد طويل، فإن الله ﷻ يقول: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

اللَّهُمَّ أعد المسجد الأقصى إلى إيدي المسلمين، اللَّهُمَّ عليك باليهود ومن والاهم، اللَّهُمَّ إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرروهم، اللَّهُمَّ اجعل دائرة السوء عليهم، اللَّهُمَّ رمل نساءهم، ويتم أبناءهم، واهلك ذريتهم، واضعف شوكتهم، اللَّهُمَّ انصر الإسلام والمسلمين، وأعل بفضلك كلمتي الحق والدين، ووفق ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح البلا والعباد يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ ردنا إلى الإسلام وإلى القرآن ردًا جميلاً، اللَّهُمَّ كن لنا ولا تكن علينا، اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]، اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمد ﷺ، وأقم الصلاة.



الخطبة الحادية والخمسون

العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله، إلهي. وقف السائلون ببابك، ولاذ الفقراء بجنابك، وندم المفرطون على تفريطهم في طاعتك، وخجل العاصون حياء من مراقبتك، أنت الجواد الكريم، وأنت الغفور الرحيم.

من الذي وقف ببابك فطردته؟ ومن الذي سألك فما أجبته؟ ومن الذي استغفرك فما غفرت له؟ ومن الذي دعاك فما أجبته؟ إن كنت لا تقبل إلا من التائبين فمن للعاصين؟ وإن كنت لا تقبل إلا من المجتهدين، فمن للمقصرين؟!

نحمدك حمدًا يليق بكمالك وإنعامك وكرمك وإفاضلك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة تنفعنا يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إذا افتقرت إلى الرزق، فقل: يا مغني المفتقرين، وإذا ضللت فقل: يا دليل المتحيرين، وإذا تعاظمت عليك أهوال القيامة، فقل: حسبي أرحم الراحمين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا، عبد الله ورسوله إلى الناس، ﷺ وعلى آله صلاة تكثر عدد الأنفاس، وعلى سائر عباد الله الفطن الأكياس، المطهرين بمياه التقى من جميع الأدناس، وعلى الخلفاء الراشدين الذين شيدوا الدين على أقوى أساس.

اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه، صلاة تفتح لنا بها أبواب الخير والتيسير وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله ﷺ . . .

الأيام التي مضت، وتلك الليالي التي انقضت كانت أيامًا كلها خيرات وكلها نفحات، فهل اغتنمناها؟

إنها ستكون شاهدة علينا عند ربنا ﷻ يوم القيامة بما قمنا به من أعمال، وستكون في انتظارنا ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾** ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ستكون هذه الأيام، وتلك الليالي إما شاهدة لنا عند الله ﷻ أو شاهدة علينا ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾** ﴾ [آل عمران: ٣٠].

فلنزين هذه الأيام، وتلك الليالي بصالح الأعمال، وجميل الأقوال والأفعال فربكم ينادي عليكم كل يوم، وعند حصول الأعمال «**يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّـهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ**»[١].

وأيام العشر الأواخر أفضل من الأيام التي انقضت في رمضان، فهل نحاول أن نستدرك ما فاتنا من الخيرات، والعمر يمر، والأيام تنقضي، ثم يمضي فإذا كان رمضان مضى، والأيام والليالي تمضي، فنحن كذلك نمضي، مهما طالت إقامتنا في هذه الحياة، فما الحياة إلا أعمار، وما الأعمار إلا أعوام، وما الأعوام إلا شهور، وما الشهور إلا أيام، وما الأيام إلا ساعات، وما الساعات إلا دقائق، وما الدقائق إلا لحظات تحصيها ملائكة كرام، ثم تعود إلى رب كريم، فيا ليت شعري، هل استعددنا لهذا اليوم؟! هل قدمنا زادًا لهذا السفر؟!

---

(١) رواه مسلم.

التقى الفضيل بن عياض رحمه الله برجل قد بلغ من الكبر عتيًا، فقال الفضيل له: كم عمرك؟ قال الرجل: ستون عامًا.

فقال الفضيل: إنك توشك أن تصل إلى مولاك.

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال له: وهل عرفت معناها؟

قال الرجل: عرفت أني لله عبدٌ، وأني إلى الله راجع، وبين يديه واقف.

فقال الفضيل: من علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع، وبين يديه موقف، فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول، فليعد للسؤال جوابًا.

قال الرجل: وما الحيلة يرحمك الله؟!

قال الفضيل: والله إنها ليسيرة على من يسرها الله عز وجل.

قال له: دلني عليها، قال: يا هذا اتق الله فيما بقي يغفر لك ما مضى، وما قد بقي.

إخواني أحباب رسول الله ﷺ...

وها هو رمضان قد مضى، ولم يبق فيه إلا أيام قليلة، وساعات معدودة، فهل ترى سوف نتقي الله عز وجل فيها، ليغفر الله لنا ما مضى، ويرحمنا فيما بقي؟ أم لا نزال معرضين عن الله عز وجل بقلوبنا، وأعمالنا، حتى يأتي الموت بغتة؟! فأقبلوا على عشر رمضان بكل جهدكم وقوتكم، واحرصوا على أن يكون ختام شهركم ختامًا حيًا مباركًا، تتزودون فيها بالطاعات، وتحرصون على الجماعات، وغيرها، فالعبرة بالخواتيم.

إن أيام العشر قد نزلت ببركتها إليكم، وأشرفت بفضلها وشرفها عليكم، فهل تتأهبون لها كما تأهب لها سيد الرجال، ومن جمع في الخير جميع الخصال؟ لقد كان حبيبنا ﷺ يحتفي بها أيما احتفاء، ماذا كان يفعل؟ كان في العشرين الأول من

رمضان يخلطها بصلاة ونوم، فإذا دخلت أيام العشر الأواخر، ففي صحيح مسلم، كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان، ما لا يجتهد في غيرها[١].

وفي الصحيحين من حديث السيدة عائشة ﵂ أن النبي ﷺ: كان إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد مئزره[٢]، زاد مسلم، وجد، وشد مئزره وشد المئزر كناية عن الاستعداد للعبادة، والاجتهاد فيها، زيادة عن المعتاد وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء، وترك الجماع:

وأيقظ أهله، وما ذاك إلا شفقة، ورحمة بهم، حتى لا يفوتهم هذا الخير في هذه الليالي العشر، وقد كان يوقظهم في بقية العام لقيام بعض الليل، ففي البخاري أن النبي ﷺ استيقظ ليلة، فقال: **«سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ؟ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»**[٣].

لكن كان إيقاظه لأهله في العشر الأواخر من رمضان كان أبرز منه في سائر العام، لأنه ربما تكون هذه الأيام آخر أيام نصومها، أو آخر شهر نصومه في الدنيا، فلا يدري من السابق فينا ومن اللاحق أنها أيام العشر التي بالبركات الوافرة قد حفت، وبالكرامة الظاهرة قد زفت، عشر تربح فيها بضائع العباد، وتغنم فيها عبادة الزهّاد، عشر أقبلت على المقبولين بتكثير الأجور، وعلى الصادقين بتوفير النور، وعلى المتقين بالفرح والسرور، وعلى التائبين بتقويم الأمور، وعلى العاملين بنصيب موفور.

---

(١) رواه مسلم رقم (١١٧٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله...

كان السلف الصالح- رضوان الله عليهم- يسمع لبيوتهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن والتسبيح والذكر، لكن نحن يسمع في بيوتنا دوي الغناء، الذي أفسد القلوب، ودخل البيوت الغناء واللهو، فخرج الذكر والسكينة، والحشمة والوقار، قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا** ﴾ [لقمان: ٦].

فكم عبث الغناء بالقيم، وسفه المبادئ، وأرهق العقول، لكن بيوت السلف كانت في الليل والنهار لها دوي بالقرآن.

بيوت الصالحين لها دوي ... بذكر مولانا رب العالمينا
لها نور من التوفيق عالٍ ... كأن شعاعه من طور سينا

أيقظوا أبناءكم، أيقظوا نساءكم في الليل، لنغتنم هذه الفرصة الطيبة وهذه المنحة الربانية العاطرة، أيام العشر الأواخر ولياليه، ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾** ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

اجتهدوا في الصلاة والقيام، فإن سلم لكم رمضان، سلمت لكم سائر الشهور.

من فاته الزرع في وقت البذار فما ... تراه يحصد إلا الهم والنكدا
طوبى لمن كانت التقوى بضاعته ... في شهره وبحبل الله معتصمًا

فالعجب كل العجب من حال أقوام تمر عليهم تلك الليالي الفاضلة، والأوقات المباركة، وهم في غفلة عنها، لا يقيمون لها وزنًا، ولا يقدرون لها ثمنًا هذا والله هو المغبون، فالسعيد من علم وقبل، والشقي من طرد وخذل، والمحروم من حرم خير هذا الشهر.

عباد الله...

اجتهدوا في هذه الأيام، ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

و قال ﷺ: «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْـمَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّـهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّـهِ الْـجَنَّةُ**»(١).

وقدر السلعة يعرف بقدر مشتريها، والثمن المبذول فيها، والمنادى عليها، فإذا كان المشتري عظيمًا، والثمن خطيرًا، والمنادى جليلاً، كانت السلعة نفيسة.

ألم تعلموا أيها الأحبة أن المشتري هو الله ﷻ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١١]، والثمن المبذول فيها هو الجنة ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].

والمنادى عليها هو ربنا ﷻ، والمدلل عليها هو حبيبنا محمد ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

هذه الأيام فرصة عظيمة، لو اجتهدنا فيها فلعلنا نفوز برضوان ربنا، فنسعد سعادة لا شقاء بعدها أبدا، ألا فتشبهوا بالصالحين، فإن التشبه بالرجال فلاح، أما سمعتم كيف كان حالهم في غير رمضان، يقول أحدهم: كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم، وأقدامهم، فإذا أصبحوا تمادوا كما يميد الشجر وهملت أعينهم حتى

(١) صحيح: رواه الترمذي وقال: حديث حسن، ورواه الحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٢).

تبل ثيابهم، هذا حالهم في غير رمضان فكيف يكون حالهم في رمضان؟ أو في العشر الأواخر منه؟

يقول الحسن البصري رحمه الله: رأيت أقوامًا، وصحبت طوائف، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، فإذا كان الليل، قاموا على أقدامهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، فإذا فعلوا حسنة، رجوا من الله أن يقبلها منهم، وإذا فعلوا سيئة، رجوا من الله أن يغفرها لهم».

فسبحان من اختص أقوامًا بخدمته، وشغلهم بمحبته، فما لهم بغيره اشتغال، صاموا عن الشهوات، فمحا عنهم السيئات.

يا حسنهم والليل قد أجنهم ... ونورهم يفوق نور الأنجم

ترنموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنم

قلوبهم بالذكر قد تفرقت ... دموعهم كاللؤلؤا المنتظم

أسحارهم من نورهم قد أشرقت ... وخلع الغفران خير المقسم

أحبتي في الله...

احذروا المعاصي، فبئس المطلوب، فما أقبح أثرها في الوجود والقلوب، فهي كما وصفها ابن عباس رضي الله عنهما: سواد في الوجه، وضيق في الصدر، وقلة في الرزق، ووحشة من الخلق، وظلمة في القبر، وهي حسرة وندامة يوم العرض فالله الله في أنفسكم، لا توردوها إلا موارد الصالحين، ولا تعرضوها للهلكة، يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**».

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة؟

قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[1].

---

(١) رواه البخاري.

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان والتائب حبيب الرحمن، أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، الذي لم يزل بصفات الكمال متصفًا، وبآثار ربوبيته وآلائه إلى عباده متعرفًا، تنزه عن مشابهة الأغيار، وهو الملك القهار العظيم الجبار الغفار، الذي يغفر الذنوب والأوزار.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وسلطانه، شهادة أدخرها ليوم لا تنفع فيه الأعذار وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المصطفى المختار، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه البررة الأطهار، المهاجرين منهم والأنصار.

أما بعد...

أيها المسلمون . . عباد الله...

ها هي أيام هذا الشهر الكريم المبارك تتقلص، ولياليه الشريفة تنقضي وتتخلص، فهل أحييتم ليله بالقيام، ونهاره بالصيام، وتلاوة القرآن؟ هل أيقظ كل واحد منكم أهله وأولاده في هذه الليالي المباركة ليالي العشر من رمضان؟ قال ﷺ: **«رَحِمَ اللَّـهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِى وَجْهِهَا الْـمَاءَ، رَحِمَ اللَّـهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِى وَجْهِهِ الْـمَاءَ»**[1].

أم أننا تركناهم أمام التلفاز جالسين، وعلى الدش عاكفين وللأغاني يرددون،

---

(١) حسن رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان، وحسنه الألباني، وصححه الحاكم على شرط مسلم.

وعلى أنغام الموسيقى يرقصون، وفي اللهو غارقين فليعلم كل مسلم أنه عن أهله مسئول، قال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

والله ﷻ يقول في كتابه الحكيم: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم: ٦].

لذا كان سلفنا الصالح ﷺ لأمر الله ممتثلين، ولهدى رسوله ﷺ متمسكين، ففي موطأ الإمام مالك رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي من الليل ما شـاء الله له أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل أو ثلثه أيقظ أهله، وهو يقول لهم: الصلاة الصلاة، ثم يقرأ: ﴿ **وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢** ﴾ [طه: ١٣٢](٢).

كان الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: أيها الناس، إني لكم ناصح وعليكم شفيق، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا في الدنيا لحر يوم النشور، وتصدقوا مخافة يوم عسير، يا أيها الناس، إني لكم ناصح وعليكم شفيق(٣).

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه: صلوا ركعتين في ظلم الليل، لظلمة القبور(٤).

كان عند التابعي الجليل الربيع بن خثيم رحمه الله: ابنة له، فسألته: يا أبتاه أرى

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.
(٢) رواه مالك في «الموطأ» رقم (٢٤١).
(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٨٦) لأبي نعيم.
(٤) «أخبار مكة» (٣/ ١٣٤) للفاكهي وجامع العلوم والحكم لابن رجب.

الناس ينامون، ولا أراك تنام؟ قال: يا بنية، إن أباك يخاف السيئات[1].

قم الليل يا هذا لعلك ترشد	إلى كم تنام الليل والعمر ينفد
أراك بطول الليل ويحك نائمًا	وغيرك في محرابه يتهجد
أترقد يامغرور والنار توقد	فلا حرها يطفي ولا الجمر يخمد
ألا إنها نار يقال لها لظى	فتظلم أحيانًا وحينًا توقد

عباد الله...

ماذا فات من فاته خير رمضان؟ وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟ كم الفرق بين من حظي فيه بالقبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران؟ ها هي العشر الأواخر قد أقبلت، وهي فرصة لنصلح ما أفسد علينا من أول الشهر المبارك، فهيا انتهزوا الفرصة، وأكثر من الصلاة، والذكر والدعاء وقراءة القرآن، حتى نسير في ركاب الصالحين، وننتظم في سلك الساجدين الراكعين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتضرع إلى مولانا ﷻ أن يوفقنا لصالح الأعمال اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم، إن كان بسابق علمك أن تجمعنا في مثل هذا الشهر المبارك فلتجمعنا فيه يا حي يا قيوم، وإن قضيت بقطع آجالنا وما يحول بيننا وبينه فأحسن الخلافة على باقينا، وأوسع الرحمة على من مضى منا.

اللَّهُمَّ تقبل منا رمضان، وتقبل منا الصيام، وتقبل منا القرآن واعف عنا ما كان فيه من تقصير وغفلة، واجعلنا فيه من الفائزين.

اللَّهُمَّ ارحم ضعفنا وتقصيرنا، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك لا حول ولا قوة إلا بك، لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد برقم (٤٦٩).

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وارحم المستضعفين من المؤمنين، وكن لهم ناصرًا ومؤيدًا يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأكرم نزلنا وبارك في أولادنا وزوجاتنا، واغفر لآبائنا وأمهاتنا ولمن كان له فضل علينا يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم. وأقم الصلاة.



الخطبة الثانية والخمسون
ليلة القدر خير من ألف شهر

الحمد لله، الذي ملأ قلوب أحبته من محبته سرورًا، وكسا وجوههم حين اشتغلوا بخدمته بهجة ونورًا، وتوجهم بتيجان البهاء، وكتب لهم بالولاء منشورًا، فشربوا من شراب حبه كؤوسًا، واستجلوا من أنوار مشاهدته شموسًا، فبرزت لهم الدنيا بزينتها عروسًا، فقالوا: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٠].

كابدوا قيام الليل، وصيام النهار، ففازوا بجوائز العزيز الغفار، وتغشاهم الملائكة بالأنوار، في جنات تجري من تحتها الأنهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أرجو أن يجعل بها ذنبي مغفورًا، وعيبي مستورًا.

شهادة تنفع قائلها وتجعله في الدنيا منصورًا، وفي الآخرة مأجورًا.

وأشهد أن سيدنا محمدًا، عبده ورسوله، المبعوث رحمة للأنام، وداعيًا إلى دار السلام، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، نبي جعله الله عبدًا شكورًا وأعاد به ظلام الشرك مقهورًا صلى الله وسلم عليه تسليمًا كثيرًا، صلاةً تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها يا ربنا وليًّا ونصيرًا، فأنت المولى، ونعم النصير.

يا سيد العقلاء يا خير الورى ... يا من أتيت إلى الحياة مبشرًا
وبعثت بالقرآن فينا هاديًا ... وطلعت في الأكوان بدرًا نيرًا

صلى الله عليك يا علم الهدى، ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم.

أما بعد...

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ.

الله ﷻ فضل بعض الأشياء على بعض، فأفضل الشهور عند الله شهر رمضان وفاضل بين الأيام، فجعل يوم الجمعة أفضل الأيام من كل أسبوع.

وفاضل بين أيام السنة فجعل يوم عرفة أفضل أيامها، وفاضل بين البلاد فجعل مكة أفضلها، وفاضل بين المساجد، فجعل بيته الحرام أفضل المساجد في الأرض، وفاضل بين الكتب، فاختار منها القرآن وفضله على سائرها وفاضل بين الملائكة الكرام، اختار منها جبريل عليه السلام، وفاضل بين أنبيائه ورسله، فاختار سيد الأولين محمدًا ﷺ.

وفاضل بين الساعات، فاختار ساعة الإجابة من يوم الجمعة، وفاضل بين الليالي، فاختار منها ليلة القدر.

اختارها وجعلها أعظم ليلة في العام في أعظم شهر، وهو شهر رمضان المعظم اختارها ليكون فيها نزول أعظم كتبه وهو القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝** ﴾ [الدخان: ٣، ٤].

وقال: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝** ﴾ [القدر: ١].

والقدر هو الشرف، ورفعة المقام، فهي ليلة ذات قدر، في شهر ذي قدر، أنزل فيها كتابٌ ذو قدر، على يد ملك ذي قدر، على نبي ذي قدر.

إذن سماها مولانا ﷻ بليلة القدر، لعظم قدرها، وجلالة مكانتها عند الله، ولكثرة مغفرة الذنوب، وستر العيوب فيها، قال ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْـقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

وقيل سميت بذلك: لأن الأرض تضيق بالملائكة، لكثرتهم فيها تلك الليلة ومعنى ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أي تقدر في تلك الليلة مقادير الخلائق على مدى العام فيكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والعزيز والذليل، والجدب والقحط، وكل ما أراده الله ﷻ في تلك الليلة.

قال أهل العلم: المقصود بكتابة مقادير الخلائق في ليلة القدر- والله أعلم- أنها تنقل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ، قال ابن عباس ﷺ: إن الرجل يرى يفرش الفرش، ويزرع الزرع، وأنه لفي الأموات، أي أنه كتب في ليلة القدر من الأموات.

ليلة القدر هي ليلة القرآن، ليلة الدستور السماوي العظيم، لكن لماذا اختار مولانا ﷻ الليل ليكون محلاً لنزول القرآن الكريم؟

لأن الليل هو الوعاء الزمني الذي تناجي فيه الأرواح ربها، الليل في سكونه، الليل في هدوئه، الليل ملاذ الخائفين، ولذة المتعبدين، وأنس المستوحشين ونعيم الطائعين، ومناجاة المحبين.

وخلوة العارفين، ومطية السالكين وقرة عين المحسنين، فجنوبهم عن المضاجع واجفة، وقلوبهم من خشية ربهم خائفة، ونفوسهم لرحمة الله طامعة، وألسنتهم بالاستغفار والدعاء لاهجة، سكبوا العبرات، وتعالت منهم الآهات والأنات، وكلما تذكروا الذنوب والزلات والسيئات، ارتفعت منهم الصيحات، ورفعوا أيديهم إلى رب الأرض والسموات وقالوا: ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فكان الجواب من رب البريات: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

كان لأحد الصالحين زوجة كلما استيقظ ليلاً، سمعها تذكر الله، فقال لها: ألا تنامين؟ فقالت له: وكيف ينام من علم أن حبيبه لا ينام؟!

يا حبيب القلوب أنت الحبيب ... أنت أنسي وأنت مني قريب
يا طبيبًا بطن يتداوى ... كل ذي سقم فنعم الطبيب
طلعت شمس من أحب بليل ... واستنارت فما تلاها غروب
إن شمس النهار تغرب ليلاً ... وشموس القلوب ليست تغيب
وإذا ما الليل أسدل سترًا ... فإلى ربها تحن القلوب

كان عبد العزيز بن أبي داود رحمه الله إذا جنّ الليل يأتي فراشه، فيمرر يده عليه، ويقول: إنك لين، والله إن في الجنة لألين منك، ويترك الفراش، ولا يزال يصلي الليل كله.

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنين منه تنفرج الضلوع

وأي قدر أعظم من أن يكون للأمة دستورًا تسير عليه؟ وأي قدر أعظم من أن يكون للأمة قانونًا ربانيًّا يسير بها إلى الطريق المستقيم؟

أي قدر أعظم أن يكون العمل في هذه الليلة خيرًا من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، هذا العمر يساوي ثلاثًا وثمانين سنة، وأربعة أشهر، إنها عمر طويل، هذا العمر آتاه الله عز وجل لأتباع أمة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة، طوي هذا العمر في تلك الليلة، ليلة القدر.

روي أن حبيبنا صلى الله عليه وسلم أطلعه الله على أعمار الأمم السابقة فرأى أعمارهم طويلة، لكنه رأى أعمار أمته قصيرة، يعيش أبناؤها ما بين الستين إلى السبعين أو الثمانين، فعزَّ عليه تقاصر أعمار أمته، ألا يبلغوا من الأعمال الصالحات ما بلغت

الأمم السابقة، فأكرمه مولاه، وتفضل عليه ﷺ وعلى أمته بهذه الليلة المباركة، أعطاهم ليلة القدر، التي هي خير من عمر طويل، وجعلها تتكرر كل عام في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك، أرأيتم مثل هذه المضاعفات؟

إنها ليست مضاعفة مائة في المائة، ولا مائتين في المائة ولا ألف في المائة، بل ليلة واحدة خير من ثلاثين ألف ليلة مما سواها من الليالي.

فيا خيبة من تمر به هذه الليلة ولم ينتفع بها، ويا خسارة من لم يحرص عليها ولم يسع إليها، ويا خيبة من قصر سعيه عن هذه الليلة، وعن إدراكها!! ليلة فيها هذه المضاعفة، وفيها هذا الخير العظيم، وفيها مثل هذه المثوبة، ومع هذا يتغافل الناس عنها، ولا يحرصون عليها، ولا يهتمون بها، أليس هذا من الخيبة، ومن الفشل، ومن الخذلان، الذي يُصاب به الناس؟!

ليلة واحدة من قامها، غفر له ما تقدم من ذنبه، أي فضل أعظم من هذا الفضل؟ وأي قدر أعظم من هذا القدر؟ لهذا قال النبي ﷺ عن شهر رمضان، وليلة القدر: «**فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ**».

وفي رواية أخرى عند ابن ماجة من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْـخَيْرَ كُلَّهُ، وَلاَ يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلاَّ مَحْرُومٌ**».

لكن **عباد الله**: كيف يكون إحياء هذه الليلة المباركة؟

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إحياءها يحصل بأن يصلي العشاء في جماعة، ويعزم أن يصلي الفجر في جماعة.

وقال الشافعي رحمه الله: من شهد العشاء والصبح- أي في جماعة- ليلة القدر، فقد أخذ بحظه منها، ومثله قال الإمام مالك رحمه الله.

قيل للضحاك: أرأيت النفساء والحائض، والمسافر والنائم، ألهم في ليلة القدر

نصيب؟! قال: نعم، كل من تقبل الله عمله، سيعطيه الله نصيبه من ليلة القدر، والمعول عليه القبول لا الاجتهاد، والاعتبار بالقلوب، لا بعمل الأبدان ورب قائم ليس له من قيامه إلا النصب والتعب، وكل ميسر لما خلق له.

وأي ليلة تكون ليلة القدر؟

عين لنا أنها في شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن، ولكن أي ليلة هي من رمضان؟ ليلة القدر في ليالي شهر رمضان، ويمكن التماسها في العشر الأواخر منه، وفي الأوتار خاصة، والصحيح أنها لا يعرف أحد لها يومًا أو ليلة محدودة، فهي ليلة متنقلة، فقد تكون في سنة ليلة خمس وعشرين، وقد تكون في سنة ليلة سبع وعشرين، ولقد أخفى الله ﷻ علمها، حتى يجتهد الناس في طلبها، فيكثرون من الصلاة والقيام والدعاء في ليالي العشر من رمضان، رجاء إدراكها، وهي مثل الساعة المستجابة يوم الجمعة، قال البغوي رحمه الله: وفي الجملة أبهم الله ﷻ هذه الليلة على هذه الأمة، ليجتهدوا بالعبادة في ليالي رمضان، طمعًا في إدراكها.

أخفاها الله ﷻ كما أخفى الصلاة الوسطى، ليقوم المؤمن بأداء جميع الصلوات، فيكون قد أدى الصلاة الوسطى من بينها.

قال القرطبي في تفسيره: وقد أخفاها الله ﷻ في شهر رمضان، ليجتهد المرء في إحياء جميع الليالي، طمعًا في إدراكها، كما أخفى الصلاة الوسطى في الصلوات، واسمه الأعظم في أسمائه الحسنى، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة، وساعات الليل، وغضبه في المعاصي، ورضاه في الطاعات، وقيام الساعة في الأوقات، والعبد الصالح بين العباد رحمة منه وحكمة[١].

وقد كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بتحريها، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»[٢].

---

(١) تفسير القرطبي.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

فحريٌّ بكل مؤمن صادق يخاف عذاب ربه، ويخشى عقابه، ويهرب من نار تلظى، حريٌّ به أن يقوم هذه الليالي، ويعتكف فيها بقدر استطاعته، تأسيًا بالنبي الكريم ﷺ نبي الرحمة والهدى ﷺ فما هي إلا ليال عشر، ثم ينقضي شهر الخير والبركة، ما هي إلا ليالي معدودات، ويرتحل الضيف العزيز، بكل فرح وشوق، وبكل لهفة وحب، فليحرص الجميع على أن نؤدي صلاة التراويح والتهجد جماعة في بيوت الله تعالى طمعًا في رحمته، وخوفًا من عذابه، كما يحرص الواحد منا على جمع ماله، والأعمال بالخواتيم، ولعل أحدنا أن يدرك ليلة القدر، وهو قائم يصلي بين يديه أو يذكر ربه، فيغفر الله له ما تقدم من ذنبه.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليًّا رضي الله عنهما فيقول لهما: **«ألا تقومان فتصليان»**(١).

وكان يوقظ عائشة رضي الله عنها بالليل إذا قضي تهجده، وأراد أن يوتر، وكانت امرأة أبي محمد حبيب الفارسي، تقول له بالليل: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا.

يا نائمًا بالليل كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل وأوقاته ... وردًا إذا ما هجع المرقد

من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد

فيا ليلة القدر للعابدين، اشهدي يا أقدام القانتين اركعي لربك واسجدي، يا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي.

يا رجال الله جدوا ... ربَّ داع لا يرد

ما يقوم الليل إلا ... من له عزم وجد

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

أحبتي في الله...

ليلة القدر ليلة شريفة يتجلى فيها الرب جل جلاله على عباده، فيجزل لهم الثواب ويستجيب لهم الدعاء، وفيها تتنزل الملائكة الكرام، وعلى رأسهم سيدنا جبريل عليه السلام، فيسلمون على المؤمنين، كيف تشعر أن الملك قد سلم عليك؟ علامة ذلك أن يقشعر جلدك، أو يرق قلبك، أو تدمع عيناك أو ينشرح صدرك، وتشعر بحلاوة الطاعة ولذتها.

ساعتها تعلم أن الملك صافحك ليلة القدر، فيها تتلألأ الأنوار، وتكثر الملائكة للصائمين والمطيعين الذاكرين من الاستغفار، إنها فرصة العمر، والفرصة لا تدوم.

ليلة القدر سلام هي، سلام من الشرور والآفات، سلام بالخير والسعادات سلام من الله، وسلام من الملائكة، سلمت الملائكة على الخليل إبراهيم عليه السلام في قصة العجل الحنيذ، فازداد فرحة بذلك، ولما سلموا عليه يوم نار النمرود، صارت النار بردًا وسلامًا عليه، لكن ضيافة الخليل كانت عجلاً مشويًا، وهم يريدون منا قلبًا مشويًا بالخوف من الجبار، مليئًا بالتقوى والإخلاص.

فماذا تقول في دعائك أيها المسلم في هذه الليالي المباركة؟ أجاب على ذلك أستاذ البشرية ومعلم الإنسانية ﷺ حين سألته أمنا عائشة رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**تَقُولِينَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1].

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان أو كما قال. ادعوا الله.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والنووي في الأذكار.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فضل شهر رمضان على سائر الشهور وخصه بليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر.

أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وفق من شاء من عباده لطاعته.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه ومصطفاه، خير من صلى وصام وعبد ربه حتى أتاه اليقين، اللَّهُمَّ صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

فيا عباد الله...

ادعوا ربكم كما علمكم رسولكم الأمين، قائلين: اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو، فاعف عنا فالعفو من أسمائه تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض، عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، ولذلك كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**»[1].

وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها، وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا، ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو، كحال المذنب المقصر.

ثم ما الذي يستحب في هذه الليلة؟

---

(١) رواه مسلم.

يستحب الاجتهاد في فعل الطاعات من تلاوة، وذكر، ودعاء وصلوات، وغيرها من أنواع الخيرات.

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه يستحب كذلك الاغتسال والتطيب في هذه الليلة.

قال حمادة بن سلمة رحمه الله: كان ثابت البناني وحميد الطويل- رحمهما الله- يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنضوح والأدخنة- أي البخور- في الليلة التي يرجون فيها ليلة القدر.

وقال ثابت البناني رحمه الله: كان لتميم الداري رضي الله عنه حلة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي يرجي فيها ليلة القدر.

وكان أيوب السختياني رحمه الله يغتسل ليلة ثلاث وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر- أي يضع بخورًا أو عطرًا- ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة- أي أنها أرجى ليلة عندهم- والتي تليها ليلتنا- يعني البصريين.

لكن أحبتي الكرام؛ لا يكمل تزين الظاهر إلا بتزين الباطن بالتوبة والإنابة، والرجوع إلى الله تعالى وتطهير النفس من أدران الذنوب والمعاصي بكثرة الاستغفار، والرجوع إلى العزيز الغفور، وزينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئًا، قال تعالى: ﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى تقلب عريانًا ولو كان كاسيًا

قال الحسن: إن الله جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فيسبق قوم قد فازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون.

غدًا توفي النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

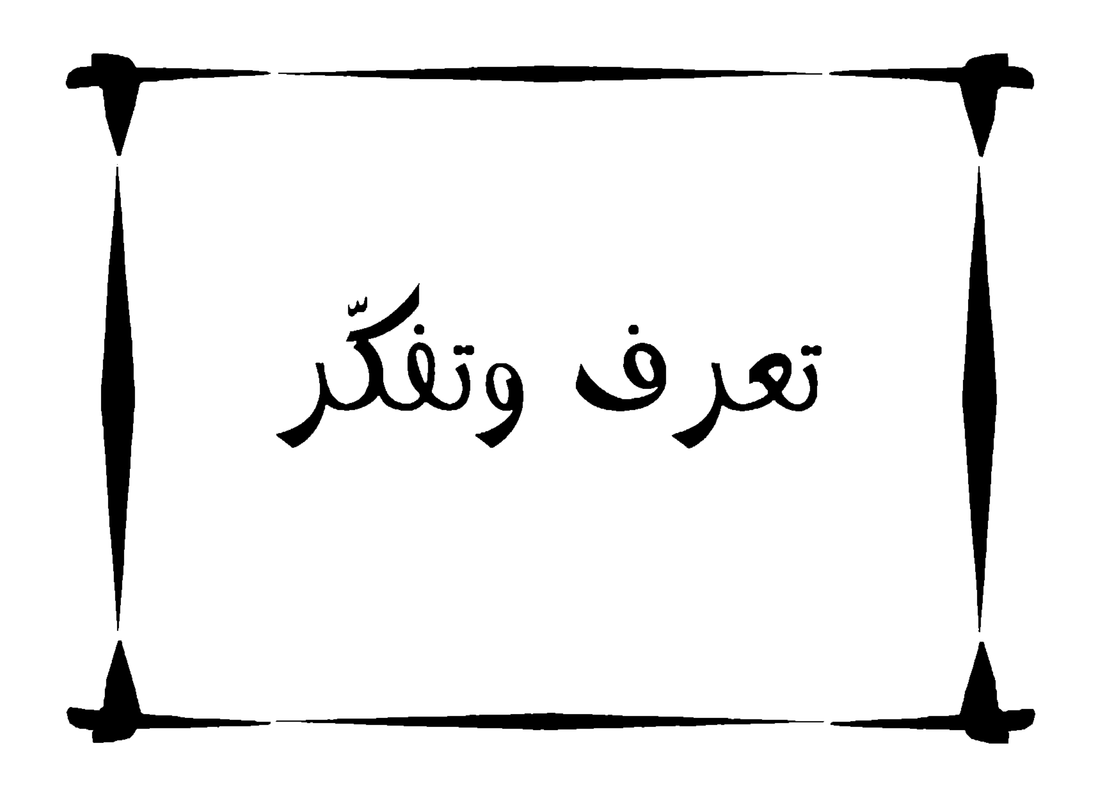
إن أحـسنوا أحـسنوا لأنفـسهم وإن أسـاؤوا فبـئس مـا صـنعوا

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، اللَّهُمَّ انصرنا على أعدائنا، اللَّهُمَّ إننا مثقلون بالذنوب والخطايا، وبضاعتنا في الخير قليلة، فلا تؤاخذنا بذنوبنا، اللَّهُمَّ لا نهلك وأنت رجاؤنا، اللَّهُمَّ عاملنا برحمتك وحلمك واجعل حبنا لدينك ولنبيك ولعبادك شفيعًا لنا عندك.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأقم الصلاة.

۞۞۞۞۞


تعرف وتفكّر



الخطبة الثالثة والخمسون

(أ) تعرف على ربك ومولاك

الحمد لله رب العالمين.. يا رب..

ما في الوجود سواك رب يعبد	كلا ولا مولى سواك فيقصد
يا من له عنت الوجوه بأسرها	رهبًا وكل الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الحق الذي	كل القلوب له تقر وتشهد

سبحانه.. سبحانه.. هو المحمود بجميع المحامد تعظيمًا وتشريفًا وثناء.. المتصف بصفة الكمال عزة وقوة وكبرياء.. به نصول.. وبه نجول.. وبه نأمل دفع الكروب شدة وبلاء.. نحمده حمدًا يليق بجلاله وكماله.. وإفضاله وإنعامه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. هو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير، يفعل ما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، وإذا أراد بقوم سوء فلا مرد له.. وما لهم من دونه من وال.. السماء سماؤه.. والأرض أرضه.. والكون كونه.. يعز من يشاء.. ويذل من يشاء.. بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأستاذنا.. ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد، طب القلوب وداؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها.. ونور الأبصار وضياؤها، أرسله ربه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا.. وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.. فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة.. وجاهد

في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، وأتباع التابعين إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد ...

أحبتي في الله...

حياكم الله جميعًا، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، الحليم الكريم جل في علاه، الذي جمعنا في هذا البيت المبارك على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة سيدنا المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته.. إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنها طريق جنان ربكم، الذي وصفها لكم بقوله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

نحن اليوم على موعد بلقاء، لقاء يتجدد دائمًا بالإيمان، ولقاؤنا اليوم أحبتي الكرام بعنوان: «**اعرف ربك**».

إنك أيها المسلم إذا عرفت ربك، أحببته حبًا لا يعادله حب.. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

إنك إذا أحببته، خشيته خشية لا تساويها خشية.

إنك إذا أحببته، سعيت في رضاه، واجتهدت في طاعته، وعملت بتقواه وابتعدت عن معصيته.

ربك هو الله.. الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، يعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب، ولا يابس إلا في كتاب مبين.. سبحانك..

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النّخل
امنن علينا بتوبة تمحو بها ... ما كان منا في الزمان الأول

السموات والأرض في قبضته، والعباد جميعهم تحت قدرته، يحيي ويميت بيده الضر والنفع.

هو الذي يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء يعلم الملائكة في السماء، والحيتان في قعر الماء، وهو الذي أنزل من السماء الماء، فأنبت لهم به الشجر والزرع، وهو الذي سخر الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، وهو الذي سخر البحر ليأكلوا منه لحمًا طريًا.. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝﴾ [النحل: ١٠- ١٤].

فمن كانت هذه صفته فهو الذي يستحق العبادة.. هو الذي يستحق

التعظيم.. هو الذي يستحق أن نحبه ونطيعه ونأتمر بأمره، وننتهي عما نهانا عنه.. هو الذي ينبغي أن يستعلي على كل اهتمامنا وأن يستحوذ على قلوبنا وعقولنا، حتى لا نسير، ولا نقعد لحظة من اللحظات إلا وذكره على ألسنتنا.

لابد أن نحبه حبًا يفوق كل شيء.. فهو أهل المحبة.. نحن نحب آباءنا، لأنهم ربونا وسعوا لأجلنا وحفظونا، ولولا أن الله أعطاهم القدرة على ذلك، لما فعلوا، ولولا أنه سبحانه هو الذي عطف قلوبهم علينا، لما قدّموا إلينا خيرًا.. فالله أحق بالمحبة منهم.. ونحن نحب أبناءنا وأزواجنا، لأنهم أنسٌ ولذة، وتفريج للهموم، وسكن ومودة.. وهو سبحانه الذي ينجينا من الكروب، ويزيح عنا الهموم، وهو الذي يفرح قلوبنا.. وينزل السكينة في نفوسنا.. فهو أحق بالمحبة.

الله.. ما تعلق به كسير إلا جبره.. وما تعلق به فقير إلا أغناه.

الله.. ما تعلق به مظلوم إلا نصره.. ولا محتاج إلا كفاه.

أحبتي في الله..

الله.. ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝ ﴾ [الرعد: ٨].

يا مدرك الأبصار والأبصار	**لا تدري له ولكنهه إدراكًا**
يا منبت الأزهار عاطرة الشذا	**هذا الشذ الفواح نفح شذاكا**
إن لم تكن عيني تراك فإنني	**في كل شيء أستبين علاكا**
فاقبل دعائي واستجب لرجاوتي	**ما خاب يومًا من دعا ورجاكا**

جاء رجل ملحد إلى الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله وقال له: يا إمام هل رأيت ربك؟ فقال الإمام: سبحان ربي.. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

فقال الملحد: هل سمعت ربك؟ هل أحسست ربك؟ هل شممت ربك؟ هل لمست ربك؟ فقال له الإمام: سبحان ربي، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فقال له الملحد: فإذا لم تكن رأيته.. ولا لمسته، ولا أحسسته.. فمن أين تثبت أن ربك هذا موجود؟ فقال أبو حنيفة للسائل الملحد: يا هذا، هل رأيت عقلك؟ قال: لا، قال: هل لمست عقلك؟ قال: لا.. قال: هل شممت عقلك؟ قال: لا.. قال: هل ذقت عقلك؟ قال: لا، قال: أعاقل أنت أم مجنون؟ قال: أنا عاقل، قال له الإمام: فأين عقلك؟ فقال: موجود، قال الإمام أبو حنيفة: كذلك الله جل جلاله موجود.

وسئل أعرابي: كيف عرفت وجود الله؟

فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، ألا يدلك ذلك على اللطيف الخبير؟!

إلهي...

كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟!

أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك.

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي أظهر كل شيء؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر بكل شيء؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر في كل شيء؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أظهر من كل شيء؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء؟

كيف يتصور أن يحجبه شيء، ولولاه ما كان وجود شيء؟

انظـــر لـــتلك الـــشجرة ذات الغـــصون النـــضرة
كـــيف نمـــت مـــن حـــبة وكـــيف صـــارت شـــجرة
فابحـــث وقـــل مـــن ذا الـــذي يخـــرج مـــنها الثمـــرة
ذاك هـــو اللـــه الـــذي أنعمـــه منهمـــرة
ذو حكمـــة بالغـــة وقـــدرة مقـــتدرة
وانظـــر إلى الـــشمس التـــي جـــذوتها مـــستعرة
فـــيها ضـــياء وبهـــا حـــرارة منتـــشرة
مـــن ذا الـــذي أوجـــدها في الجـــو مـــثل الـــشررة
ذاك هـــو اللـــه الـــذي أنعمـــه منهمـــرة
ذو حكمـــة بالغـــة وقـــدرة مقـــتدرة
وانظـــر إلى اللـــيل فمـــن أوجـــد فـــيه قمـــرهُ
وانظـــر إلى الغـــيم فمـــن أنـــزل مـــنه مطـــره
وانظـــر إلى المـــرء وقـــل مـــن شـــق فـــيه بـــصره
ذاك هـــو الله الـــذي أنعمـــه منهمـــرة

جاء رجل من بريطانيا مع زوجته إلى أحد العلماء في اليمن، فسألته المرأة البريطانية وقالت لعالم اليمن: سأسألك سؤالين: إن أجبتني عليه آمنت بالله؟

قال لها العالم: سلي.. قالت: ما طول الإله الذي تعبده وما عرضه؟

قال لها العالم: وإني سأسلك سؤالاً: هل تجيبني عليه؟ قالت: نعم.. سل.

قال: هل تحبين زوجك؟ قالت: نعم، فقال لها: كم طول هذا الحب وما عرضه؟

فقالت المرأة: وهل يقاس الحب بالكيلو مترات؟

فقال لها العالم: إذا كان الحب وهو من مخلوقات الله لا يخضع للمقاييس

بشرية، أتريدين أن تخضعي الخالق للمقاييس البشرية؟ إن ربي لا يشبه الناس، ولا يدخل تحت المقياس، ولا تدركه الحواس ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فقالت المرأة لزوجها: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

الله.. إذا تقربت إليه شبرًا، تقرب إليك ذراعًا، وإذا تقربت منه ذراعًا، تقرب منك باعًا.. إذا أتيته تمشي، أتاك هرولة، وإذا جئت إليه بقراب الأرض خطايا ثم لقيته لا تشرك به شيئًا، لأتاك بقرابها مغفرة.

غفر لرجل قتل مائة نفس، وغفر لزانية لما سقت كلبًا.. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥].

الله.. يفرج الهم، ويزيل الكرب، ويوسع الضيق، ما تعلق به ضعيف إلا قواه ولا ذليلٌ إلا أعزه.. ولا فقير إلا أغناه، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوبٌ إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا وكشف ضره.. ولا شريد إلا آواه.. ولا مبتلٍ إلا عافاه.

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: ٦١ – ٦٥].

الله.. ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

سبحان الله عدد خلقه...سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه.. سبحان الله مداد كلماته.. سبحان الله عدد الشهور والأعوام.. ولا إله إلا الله الذي لا تتصور عظمته الأوهام.. سبحانه ما أعظم شأنه.. وما أدوم سلطانه.. سبحانه ما أوضح برهانه سبحانه ما أقدم سلطانه.. وما أوسع غفرانه.. سبحت له السموات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها.. والأرض وسكانها.. والبحار وحيتانها.. والأمطار ورعودها.. والأشجار وثمارها.. والديار وأطلالها.. والأسود وأشبالها.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١]. الله.. ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤].

فسبحان من بهرت عظمته عقول العارفين.

سبحان من بهرت أنواره بصائر السالكين.

سبحان من ظهرت بدائعه لنواظر المتأملين.

سبحان مقيل عثرات المذنبين.. وغافر خطايا المستغفرين.

يشكر المحسنين على إحسانهم، مع أن إحسانهم من إحسانه.. تعامله العباد بالعصيان، فيعاملهم بالغفران.. لولا حلمه لعاجل بالعقوبة قبل توبة من عصاه.. ﴿ يُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٣].

أحبتي في الله..

يقول النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّـهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّـهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ عَلَيْكَ**»(١).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وأحمد وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

ويقول: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْـخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[١]. أو كما قَالَ. ادعوا الله..

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، هو الأول فلا شيء قبله.. وهو الآخر فلا شيء بعده، وهو الظاهر فلا شيء فوقه، وهو الباطن فلا شيء دونه.. ليس كمثل شيء وهو السميع البصير..

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، النبي المصطفى، والرسول المجتبى، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد ...

أيها المسلمون.. أحباب رسول الله ﷺ ..

أعرفتم ربكم؟! أعرفتكم إلهكم الذي خلقكم، والذي أحياكم ثم يميتكم ثم إليه ترجعون؟! إنّ معرفتنا لعظمته سبحانه، تورث القلب الشعور الحي بمعيته، التي تفيض السكينة في المحن، والبصيرة في الفتن.. وإن استشعار عظمة الله ومعيته تبعث في النفس معنى الثبات والعزة.. تفكروا في ملكوته ومخلوقاته.. فكروا في النباتات والأشجار.. في البحار والأنهار، إذا طافت عقولكم في الكائنات، ونظرتم في الأرض والسموات، رأيتم على صفحاتها قدرته، وامتلأت قلوبكم بالإيمان به، وانطلقت ألسنتكم تردد: لا إله إلا الله.. وخضعت مشاعركم لجلاله وسلطانه.

---

(١) سبق تخريجه.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص: ٧١، ٧٢].

ماذا نفعل لو لم تطلع الشمس، ماذا نفعل إذا غاب القمر ولم يظهر، كيف نعيش؟ كيف نزرع؟ كيف نأكل؟ بل كيف نتعلم ونعلم غيرنا؟؟!

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٥].

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣].

أخي الحبيب...

إذا ضاقت في وجهك الدنيا فقل: يا الله.. إذا سدت في وجهك الأبواب، وقطعت أمامك الأسباب، فتوجه إلى رب الأسباب والمسببات، وقل: يا الله... إذا غدر بك الصديق، وخانك الحبيب، وسد في وجهك كل سبيل فقل: يا الله.. إذا انقطع عنك الرزق وقل في يدك المال، وتكاثرت الديون والهموم، فقل: يا الله فلن يضيع نداؤك، ولن يخيب رجاؤك، فأنت تلجأ إلى الرب الرحيم اللطيف، الخبير الذي رحمته وسعت كل شيء.

في إحدى الكليات بدولة من الدول العربية، وقف أحد الطلبة ممسكًا بساعته محدقًا بها، ثم قال: إن كان الله موجودًا، فليمتني بعد ساعة.

وكان مشهدًا عجيبًا شهده الطلاب والأساتذة في الكلية، ومرت الدقائق، وتمت الساعة دقائقها، انتفض الطالب بزهو وتحدي، وهو يقول لزملائه: أرأيتم لو كان الله موجودًا لأماتني.. وانصرف الطلاب ومنهم من وسوس له الشيطان، وفيهم من سخر منه وفيهم من قال إن الله أمهله لحكمة.. أما الشاب فرجع إلى

هنه مسرورًا، وكأنه أثبت دليلاً عقليًا لم يسبقه أحد غيره، وهو أن الله غير موجود.. ولما دخل منزله، إذا والدته قد أعددت له طعامًا، فدخل ليغسل يديه في حمام، فلم يخرج، وانتظر الوالد ابنه فلما وجده لم يخرج دخل لينظره إذا به جثة هامدة، وقع ميتًا.. وقد أثبت الطبيب الشرعي أنه مات بسبب ماء قد دخل في أذنه.. فأبى الله إلا أن يميته ميتة حمار.

اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، وأحسن خاتمتنا.

وتلك فتاة تتحدى الله ﷻ.. وقعت هذه القصة في غزة الفلسطينية، خرجت فتاة متبرجة ومظهرة لمفاتنها بصورة لافتة للنظر في يوم من أيام شهر رمضان، فركبت هذه الفتاة سيارة للأجرة، ولفت منظر هذه الفتاة سائق السيارة، فتكلم معها بصورة مهذبة بأن تتق الله في لبسها، وأن تستر جسدها وخصوصًا في هذا الشهر المبارك فماذا تعتقدون ردها؟ لقد ردت عليه بهذه العبارة: خذ الجوال (الهاتف المحمول) وكلم ربك ليحجز لي مكان في جهنم، ومكان لك في الجنة، وكان ردًا سريعًا واستجابة فورية، فقبض روحها، وتوفيت على هذا الحال، وتجمدت في مكانها، وعندما أخرجت من ثلاجة المستشفى، ظهرت بلون أسود قاتم - والعياذ بالله - حتى إن الجوال لم يستطيعوا إخراجه من يدها، ليدفن معها، ليكون شاهدًا عليها يوم القيامة.

سبحان الله.. يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عجبت للذي ينكر وجود الله، وهو يرى خلقه.. وعجبت من الذي ينكر النشئة الآخرة، وهو يرى النشأة الأولى.

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات.. والمؤمنين والمؤمنات.. اللهمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.. اللهمَّ إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.. اللهمَّ لا تؤاخذانا بذنوبنا.. ولا بما فعل السفهاء منا.. نسألك اللهمَّ أن تصلح قلوبنا، وأن تسخر جوارحنا في مرضاتك بكرمك يا أكرمين الأكرمين.

اللهمّ نور على أهل القبور من المسلمين قبورهم.. واغفر للأحياء ويسر لهم أمورهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

وأقم الصلاة.



الخطبة الرابعة والخمسون

(ب) تعرف على نبيك

الحمد لله.. الذي خلقنا من عدم، وكبرنا من صغر، وقوانا من ضعف وبصرنا من عمى، وأسمعنا من صمم، وأنطقنا من خرس وأغنانا من فقر، وأمننا من خوف، وعلمنا من جهل، وهدانا من ضلالة.. نحمده أن جعلنا من أمة خير الأنام سيدنا محمد عليه الصلوات وأزكى السلام، ونشكره على نعمه التترى، وآلائه العظمى..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. لا نعبد إلا إياه، ولا نهتدي إلا بهداه.. نشهد أنه متوحد بالربوبية، متفرد بالألوهية، وأنه الملك الحق المبين، وهو إله العالمين، وكنف المستضعفين، وأمل المساكين وقاصم الجبارين، وقامع المستكبرين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمدًا المتعبد في غار حراء، وصاحب الشريعة الغراء، والملة السمحاء، والحنيفية السمحاء، وصاحب الشفاعة والإسراء، له المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، وهو صاحب الغرة والتحجيل، والمؤيد بجبريل.. وخاتم الأنبياء.. أقام الله به الميزان، وأنزل عليه القرآن، وفرق به بين الكفر والبهتان، وحطمت به الأوثان والصلبان.. سيدي يا رسول ..

كل القلوب إلى الحبيب تميل ... ومعي بهذا شاهد ودليل

أما الدليل إذا ذكرت محمدًا ... صارت دموع العارفين تسيل

هذا رسول الله هذا المصطفى ... هذا لكل العالمين رسول

هذا الذي ظللته الغمامة إذا مشى ... كانت تقيل إذا الحبيب يقيل

هــذا الــذي رد العــيون بكفــه لمّــا بــدت عــلى الخــدود تــسيل
صــلى علــيك الله يــا علــم الهــدى مــا لاح بــرق في الــسماء دلــيل

أما بعد...

فحياكم الله جميعًا أيها الأحبة الكرام، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا اليوم المبارك، وفي هذا المسجد المبارك أن يجمع بيننا وبين حبيبنا ونور أبصارنا، وذهاب همنا وحزننا سيدنا محمد ﷺ في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله...

وفي بداية هذا اللقاء المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فاتقوا الله وأطيعوه، وأنيبوا إليه واستغفروه، فتقوى الله خير عمل، وأحسن أمل..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

لقاؤنا اليوم بعنوان: «**اعرف نبيك**».

هيا بنا لنتعرف على صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود صاحب الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيد بجبريل، حامل لواء العز.. إنه نبي هذبه الوحي، وعلمه جبريل، وهداه ربه، وصاحبته العناية، ورافقته الرعاية، وحالفه التوفيق.

أمّا اسمه فمحمد ﷺ. سماه به جده ليحمد في دنياه وأخراه.. وقد جمع المحامد، وحاز المكارم، واستولى على القيم، وتفرد بالمثل.

محمود عند ربه ومولاه، لأنه حبيبه ومصطفاه، وهو نبيه المعصوم، ونبيه الخاتم وخليله من خلقه، وصفوته من عباده، ومحمود عند العباد، لأنه قريب من القلوب، وحبيب إلى النفوس.. إنه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، مبارك أينما حل، وحيثما ارتحل، ومحمود الطبائع، لأنها هذبت بالوحي، وشرف طباعة، لأنه صقلها بنور النبوة، فربنا محمود، وحبيبه محمد ﷺ.

أبوه عبد الله بن عبد المطلب، لا عبد العزى، ولا عبد هبل، ولا حنظلة.

واسمه أحمد بشر بذلك عيسى عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

وقد ذكر ذلك في صحيح السنة، فعن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْـمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّـهُ بِيَ الْـكُفْرَ، وَأَنَا الْـحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْـعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ»(١).

وفي رواية عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْـمُقَفِّي، وَالْـحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»(٢).

وزاد الطبراني: «وَنَبِيُّ الْـمَلْحَمَةِ»(٣).

وهو خاتم النبيين، وخاتم المرسلين.. وهو خطيبهم إذا وفدوا، وإمامهم إذا وردوا.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٤٧٣).

وأما عن نسبه، فهو خيار من خيار، وهو من نكاح، ولم يكن من سفاح، فما زال ينتقل من أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات، إلى أن وصل إلى صلب أبيه ورحم أمه، فهو خيار من خيار.. جمعوا الفضائل والمكارم كابرًا عن كابر.

نسب كأنَّ عليه من شمس نورًا ومن فلق الصباح عمودا

وأما موطنه ﷺ فقد نبت في أعظم بقعة، بل في أحب بلاد الله إلى الله.

قال عنها يومًا من الأيام مخاطبًا إياها: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»[1].

وعند ابن ماجه والترمذي من حديث عبد الله بن عدي قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفًا على الحزورة - تل صغير - فقال: «**وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»[2].

ولد الحبيب بهذا البلد الحرام.. حيث صلى الأنبياء، وتهجد المرسلون، وهبط الوحي، وطلع النور، وسطعت النبوة.. إنها مسقط رأس الحبيب.. وفيها طفولته، وملاعب صباه، وهي التي أقسم بها رب العالمين جل في علاه: ﴿ **لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝** ﴾ [البلد: ١، ٢].

وأما عن طفولته: فقد ولد معه الطهر والبشر، ورافقه التوفيق، فهو طفل لكن ليس كالأطفال.. براءة.. نجابة، وذكاء وفطنة.. يوم ولد رأت أمه آمنة بنت وهب كأنه قد خرج لها نور أضاء لها قصور الشام.

فعن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ،**

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن ابن عباس وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٧٢٤).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه والترمذي، وصححه الألباني في «المشكاة» رقم (٢٧٢٥).

وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ» (١).

توفي أبوه قبل ولادته، ولما ولد أرضعته ثويبة جارية عمه أبي لهب، ثم استرضع في بني سعد، فأرضعته حليمة السعدية، وأقام عندها نحوًا من أربع سنين، وشق صدره، فخافت عليه وردته إلى أمه.

ثم ماتت أمه بالأبواء وهو ذاهب إلى مكة، وهو ابن ست سنين، ولما مرّ رسول الله ﷺ بالأبواء عام الفتح، وهو ذاهب إلى مكة، استأذن ربه في زيارة قبر أمه، فأذن له، فبكى وأبكى من حوله، وقال لأصحابه، ولأمته من بعده: «**زُورُوا الْـقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ بِالْـمَوْتِ**» (٢).

وأما شبابه، فكان زين الشباب وزينتهم، وجمال الفتيان، عفة ومروءة، وعقلاً وأمانة وفصاحة، كان معروفًا بالصادق الأمين.. لم تعلم له عثرة، ولم تعرف له زلة، كان عذب السجايا، صادق المنطق، عف الخصال، حسن الخلال.. حتى زكاه ربه ومولاه، فوصفه بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤]، لقد أدبه ربه ﷻ، فأحسن تأديبه، ورباه مولاه، فأحسن تربيته، ومنحه كل خلق جميل، وصانه من دنس الجاهلية.. لما أرادت قريش تجديد بناء الكعبة، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره، ووصلوا إلى موضع الحجر الأسود، فاختلفوا فيمن يضعه، فاتفقوا على أول داخل عليهم، فكان الرسول المصطفى ﷺ فقالوا: جاء الأمين، فرضوا به، فأمر بثوب، فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر، فوضعه ﷺ في موضعه» (٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» ، والطبراني والحاكم، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٧٥٩).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والحاكم وصححه .

أحبتي في الله...

عمل ﷺ في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها لما علمت صفاته وتيقنت من أخلاقه النبيلة، وسلوكه القويم الرشيد، وبهرتها إرهاصات نبوته، كما أخبرها غلامها ميسرة.. فقد كانت تظلله الغمامة حيث مشى..

هـذا الـذي ظللته الغمامة إذا مشى كانـت تقـيل إذا الحبـيب يقـيل

صـلى علـيك الله يـا علـم الهـدى مـا لاح بـرق في الـسماء دلـيل

ولما وجدت من آثار بركته، حينئذ اختارته زوجًا لها، فتزوجها الحبيب المصطفى ﷺ فكان نعم الزوج، كان في سن الخامسة والعشرين، وكانت هي في الأربعين من عمرها.. وأنجب النبي ﷺ منها السيدة فاطمة، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، وأنجب منها ولده القاسم وعبد الله وأما ولده إبراهيم فابن مارية والكل توفي في حياته عدا فاطمة رضي الله عنها فإنها لحقت به بعد ستة أشهر.

وماتت السيدة خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها.

أحبتي في الله...

لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة، بعثه الله عز وجل إلى الناس كافة إلى الإنس والجن.. بعثه الله عز وجل ليعلن بقول: لا إله إلا الله.. بعث بالحق، ليحق الحق، ويبطل الباطل، بعث بالمحجة البيضاء، والملة الغراء، والشريعة السمحاء.. بعث بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، بعث بمعالي الأمور، ومكارم الأخلاق.. بعث لدحض الشرك، وكسر الأصنام، ومحاربة الظلم، فما من خير إلا دل عليه، وما من شر إلا حذر منه.

وأما عن صفاته.. فهو جميل الصفات، يعفو ويصفح، ويسخو ويمنح، أجود من الريح المرسلة، وأكرم من الغيث الهاطل، وأبهى من البدر، من رآه أحبه، ومن عرفه هابه.. خاطبه ربه بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]،

ويقول هو عن نفسه: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»[١]. وفي رواية: «**صَالِحَ الأَخْلاَقِ**»[٢].

فسبحان من اجتباه واصطفاه، وتولاه وحماه، ورعاه وكفاه.

وأمّا دينه فهو الإسلام.. دين الفطرة.. دين الفلاح والنجاة، أحب الأديان إلى الله عز وجل: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥]، دين جاء ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد.

دين صالح لكل زمان ومكان.. هو الدين الوسط، الذي جاء بالعلم النافع، والعمل الصالح، دين جاء بالطهر والنقاء والعفاف، وتحريم الظلم والجور.

دين حرم البغي والاعتداء على الغير.. فحفظ القلب بالإيمان، والجسم بأسباب الصحة والمال من التلف.. والعرض من الانتهاك.. والدم من السفك.. والعقل من الذهاب.

وأما عن كتابه: فهو القرآن الكريم.. ﴿ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝** ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

كتاب فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار، قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره، أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يخلق عن كثرة الرد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه، هدي إلى صراط مستقيم.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٧٠)، والبيهقي في «سننه الكبرى» ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وأحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٥).

هذا الكتاب الذي أنزل عليه فيه هدى ورحمة، وموعظة، وشفاء لما في الصدور.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ﴾ [الإسراء: ٩، ١٠].

هذا الكتاب: «إِنَّ اللَّـهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْـكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ». القرآن «الْـقُرْآنُ مُشَفَّعٌ، وَمَا حِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْـجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»[(١)].

القرآن يشفع لصاحبه أمام الله يوم القيامة: «اقْرَءُوا الْـقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْـقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ»[(٢)].

أيها الموحدون الكرام..

ومن أخلاق رسولنا وحبيبنا ﷺ خلق الصبر، فلا يعلم أحد مر به من المصائب والأزمات مثل ما مر برسولنا ﷺ وهو صابر محتسب، لأن ربه ومولاه خاطبه بقوله: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧]، صبر على اليتم وصبر على الجوع، صبر على الحسد والشماتة، صبر على طرده من وطنه، وإخراجه من داره، صبر على إبعاده عن أهله، صبر على تكالب الأعداء، صبر على موت الأبناء.. لأن ربه ومولاه، قال له: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

مات ولده إبراهيم، وعمره سنتين، مات بين يديه، وفي حجره، فبكى وقال: «إنَّ العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٢٣)، و«صحيح الجامع» (٤٤٤٣).

(٢) رواه مسلم وغيره.

يا إبراهيم لمحزونون، وإنا لله وإنا إليه راجعون»[1]، لأن ربه قال له: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ۝ ﴾ [المعارج: ٥].

تموت بناته الثلاث فيصبر، يشارك أصحابه في غزوة أحد، فيهزم أصحابه، ويقتل من قرابته، ومن سادة أصحابه، ومن خيار مقربيه سبعون رجلاً أولهم حمزة رضي الله عنه سيد الشهداء في الجنة، أسد الله، وسيف الله، ثم يقف على الشهداء، وينظر إلى حمزة وقد جُدع أنفه، وبقرت بطنه، وينظر إلى سعد بن الربيع، وهو ممزق، وغيره وغيره، فتدمع عيناه، ولكنه يبتسم، لأن الله قال له: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ٥].

يرسل قادته إلى مؤته، ليقاتلوا الروم، فيقتل القواد الثلاث في ساعة واحدة، زيد بن حارثة، وجعفر الطيار ابن عمه، وعبد الله بن رواحة، فيبكي، وتسيل دموعه، لأن الله قال له: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ۝ ﴾.

فكان ﷺ مثلاً أعلى في الصبر.

فإذا رأيت الباطل يتحدى، وإذا رأيت الطغيان يتعدى، فاصبر صبرًا جميلاً.

إذا قل مالك، وكثر فقرك، وتجمعت هموم الدنيا فوق رأس، فاصبر صبرًا جميلاً.

إذا قل أصحابك، وتفرق أنصارك، فاصبر صبرًا جميلاً.

إذا كثر عليك الأعداء، وتكالب عليك البغضاء، فاصبر صبرًا جميلاً.

إذا وضعوا في طريقك العقبات، وصنفوا لك المشكلات، وتهددوك بالسيئات فاصبر صبرًا جميلاً.

عباد الله..

هذا هو حبيبكم، هذا هو أستاذنا ومعلمنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور ﷺ.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس.

عباد الله. . .

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولي الصالحين.. يفرج كرب المكروبين، وهم المهمومين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله.. اللهمَّ صلّ وسلم وبارك على أجل خطيب، وأعظم إمام، وعلى آله وصحبه، ما شدا حمام، وهطل غمام واكتمل بدر التمام.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب رسول الله ﷺ.

ولا يزال الحديث عن جانب من جوانب عظمة هذا الرسول، عظمة هذا النبي، فقد كان عظيمًا في صغره، كان عظيمًا في شبابه، كان عظيمًا في رجولته، كان عظيمًا في شيخوخته.

حتى أن عظمته بهرت العقول، وحيرت الألباب والأفكار.. فقد بنى رسالة أرسى من الجبال، ومبادئ أعمق من التاريخ.

ومن عظمته أنه كان رحيمًا، وصفه مولاه بقوله: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال عن نفسه: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**» [(١)].

---

(١) صحيح: رواه الدارمي والبيهقي في «شعب الإيمان» ، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٨٠٠)، و«صحيح الجامع» (٢٣٤٥).

رأي ولد إحدى بناته، تفيض روحه، فبكى وفاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»(١). كان رحيمًا بالقريب والبعيد.

ففي البخاري من حديث قتادة رضي الله عنه قال ﷺ: «إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»(٢).

ويقول أنس رضي الله عنه: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة، ولا أتم صلاة من النبي ﷺ وإن كان ليسمع بكاء الصبي، فيخفف مخافة أن تفتن أمه.

ولما بكت أمامة بنت زينب رضي الله عنهما حملها وهو يصلي، فإذا سجد وضعها، وإذا قام رفعها.. يتقدم في إحدى الليالي إلى الصلاة، ومعه الحسن والحسين، فيضعهما ثم يتقدم للصلاة بأصحابه، فلما سجد إذا بأحدهما يصعد على ظهره وهو ساجد فرجع إلى سجوده، وأطال فيه، حتى سأله بعد الصلاة أناس، فقالوا: يا رسول الله ﷺ، إنك سجدت سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحي إليك قال: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»(٣).

وقبَّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين رضي الله عنهما وكان عنده الأقرع بن حابس الأعرابي التميمي، فقال له الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحدًا قط، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» رقم (١١٤١).

وفي حديث آخر: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّـهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ»(١).

أحبتي في الله...

والحديث عن عظمة الرسول ﷺ لا ينتهي، فما أحسنه، وما أروعه.. لكن لنا لقاء آخر إن شاء الله تعالى، إن جمع الله بيننا.

عباد الله..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلي على عبدك وحبيبك محمد، وأعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة.. اللهمَّ ارضى عن أصحابه الأطهار من المهاجرين والأنصار.

اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصر بفضلك كلمتي الحق والدين، اللهمَّ ولِّ أمورنا خيارنا، ولا تولِّ أمورنا شرارنا، وثبت أقدامنا على القوم الكافرين.. اللهمَّ إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، ونسألك الدرجات العلى من الجنة يا رب العالمين.

اللهمَّ إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار، ومن كل ما قرب إليها من قول وعمل.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

الخطبة الخامسة والخمسون

(جـ) تعرف على نبيك

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، والحمد لله على نعمة القرآن، وكفى بها نعمة..

الله ربي لا أريـــــد ســـــواه	هـــل في الوجـــود حقـــيقة إلاه
الطـير سـبحه والـوحش مجـده	والمـوج كـبره والحـوت ناجـاه
والـنمل تحـت الـصخور قدسـه	والـنخل يهـتف حمـدًا في خلايـاه
والـناس يعـصونه جهرًا فيسترهم	والعـبد ينـسى وربي لـيس ينـساه

أحمدك وأستعينك وأستهديك، وأتوب إليك وأستغفرك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، جل وجهك، وعظم سلطانك، ولا إله غيرك.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. هو الله الصمد، الذي إليه الخلائق تصمد، هو المقصود فإليه القلوب تقصد.. سبحانك يا رب تغلق الأبواب عن الطالبين جميعًا إلا بابك، ويسدل كل حجاب عن الراغبين إلا حجابك، خصصت نفسك بالبقاء، فأهلكت من سواك، وأفردت نفسك بالملك، فأهلكت من عاداك.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله.. عصمه ربه من الزلل، وحفظه من الخلل، وسلمه من العلل، عصم قلبه من الزيغ والهوى، فما ضل أبدًا وما غوى.. علم اللسان الذكر، والقلب الشكر والجسد الصبر، والنفس الطهر، وعلم القادة الإنصاف، والرعية العفاف وحبب للناس عيش الكفاف.. سيدي يا رسول ..

أخـوك عيـسى دعـا ميـتًا فقـام له	وأنـت أحييت أجـيالاً مـن الـرمم

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ ...

حياكم الله ﷻ وطبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته أن يجمعنا يوم القيامة مع حبيبنا وقرة عيوننا سيدنا محمد ﷺ في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

نحن اليوم على موعد بلقاء، ولقاؤنا اليوم مع المنهل العذب المورود، مع نبي الملك المعبود، مع أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية سيدنا محمد ﷺ وهل لنا أستاذ سواه؟! وهل لنا معلم سواه؟

اليوم نتعرف على أعظم شخصية في هذا الوجود، ونتعرف على أعظم رسالة عرفها التاريخ.. إنها شخصية الحبيب المصطفى ﷺ إنها شخصية محمد بن عبد الله الذي رفع الله ﷻ قدره، واختاره واصطفاه على جميع البشر، وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين.. شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى قدره، وزكاه في كل شيء.

زكاه في عقله، فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ٢].

وزكاه في صدقه فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣].

وزكاه في بصره فقال: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧].

وزكاه في فؤاده، فقال: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم: ١١].

وزكاه في صدره فقال: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

وزكاه في ذكره فقال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

وزكاه في حلمه، فقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وزكاه في طهره فقال: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ﴾ [الشرح: ٢].

وزكاه في علمه ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٥].

وزكاه كله، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: ٤].

ثم أخبرنا عن منزلته في الملأ الأعلى عند رب العالمين، وعند الملائكة المقربين، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

إن كل مسلم مأمور أن يترسم خطاه، وأن يسير على دربه، وأن يقتفي أثره، وأن يتبع سنته، وأن يقلده في كل شئونه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.. ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكيف يقتدي به المسلم دون أن يتعرف على شخصيته؟

إن المسلم يعتز ويفخر بأن يكون محمد بن عبد الله، نبيه ورسوله وحبيبه في الدنيا، وشفيعه يوم لقاء الله ﷻ.

وممـــا زادني فخـــرًا وتـــيها ... وكـــدت بأخمـــصي أطـــأ الثـــريا
دخـــوي تحـــت قـــولك يـــا عـــبادي ... وأن أرســـلت أحمـــد لي نبـــيا

وإنه والله لا يعرف قدر هذا النبي ﷺ إلا الرب العلي.. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟، فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»(١).

(١) رواه البخاري ومسلم.

أغر عليه للنبوة خاتم	من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فذو والعرش محمود وهذا محمد

فلا يقال: لا إله إلا الله، إلا ويقال بعدها: محمد رسول الله ﷺ.. يقولها المؤذن، ويقولها في إقامة الصلاة، نقولها في كل أوقات حياتنا.

أخرج البيهقي في الدلائل، وابن جرير في تفسيره، وابن أبي حاتم عن قتادة، قال: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عدي بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «**سألت ربي** ﷻ **مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: يا رب، اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، قال: يا محمد، ألم أجدك يتيمًا فآويت، وضالاً فهديت، وعائلاً فأغنيت وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي، واتخذتك خليلاً**»[1].

صلِّ اللهم وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله.

ويتجلى تكريم الرب العلي لحبيبنا ﷺ في أنه قد أقسم بحياة حبيبنا ﷺ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفسًا أكرم على الله ﷻ من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غير محمد ﷺ فقال جل وعلا: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ۝ ﴾ [الحجر: ٧٢].

بل إنه ﷻ لم يقسم لنبي من أنبيائه بصفة الرسالة إلا لحبيبنا المصطفى ﷺ فقال جل في علاه: ﴿ **يس** ۝ **وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** ۝ **إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ** ۝ **عَلَىٰ صِرَاطٍ**

---

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢٤/ ٤٩٤) للطبري، و«الدر المنثور» (١٠/ ٢٩١) للسيوطي.

مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [يس: ١ - ٤].

ولما نزل عليه جبريل عليه السلام في أول بعثته، ثم أبطأ عليه بعد ذلك، فقال المشركون: إن ربه ودعه وقلاه.. فأقسم مولاه بأنه ما أهمله وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه.. فقال: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ١ -٥].

إنه سيد الأولين والآخرين، وقائد الغرِّ المحجلين يوم الدين، قال النبي الأمين ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[(١)].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[(٢)].

«مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ. فَقَالُوا أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ».

أيها الأحبة الكرام...

ماذا عن صفاته الخِلقية؟ يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم في «الفضائل» باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٢٢٧٨).

(٢) روه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أحسن الناس وجهًا، وأحسنه خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير».

ولما سئل البراء ﷺ عن وجه الحبيب ﷺ: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر.

وقال جابر بن سمرة ﷺ: رأيت النبي ﷺ في ليلة مقمرة، فجعلت أنظر إليه، وأنظر إلى القمر، أنظر إلى النبي ﷺ وأنظر إلى القمر فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ أنور من القمر.

صلى اللهم وسلم وزد وبارك عليك يا سيدي يا رسول ..

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك خلقت كما تشاء

وعن أبي هريرة ﷺ قال: ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، قال: وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ لكأنما الأرض تطوى له، كنّا إذا مشينا معه، نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث»[1].

أما عن كلامه ﷺ فقد أوتي جوامع الكلم، تقول السيدة عائشة ﷺ: ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه، فصل، يحفظه من جلس إليه[2].

وقالت: كان كلام رسول الله ﷺ كلام فصل، يفهمه كل من سمعه[3].

اللهمَّ صلي وسلم وزد وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله..

أرسلت داعية إلى الرحمن ودعوت فاهتز لك الثقلان

أخرجت قومك من ضلالات وهديتنا للواحد الديان

أما عن عرقه، فتأملوا ما يقول خادمه أنس بن مالك ﷺ يقول: كان ﷺ

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي وقال: حسن غريب في كتاب «المناقب» (٣٦٥٠).
(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود.
(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٩) في «الأدب».

يدخل بيت أم سليم، فينام على الفراش، وفي يوم من الأيام نام رسول الله ﷺ فجاءت بقارورة، وأخذت تسلت العرق، وتضعه في تلك القارورة فقام النبي ﷺ فزعًا، فقال: «**مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟**». فقالت: يا رسول الله ﷺ، نرجو بركته لصبياننا، قال: «**أَصَبْتِ**».

وفي رواية أنها قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو أطيب الطيب» وفي رواية: أجعل عرقك في طيبي، فضحك رسول الله ﷺ[1].

ويصف عرقه سيدنا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول: «كان العرق في وجهه ﷺ كحبات اللؤلؤ»[2]. فكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي في الليلة الباردة يتناثر على وجهه العرق كحبات اللؤلؤ.

أما عن شجاعته: ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي ﷺ سبقهم على فرس.. وقال: «وجدناه بحرًا»[3].

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رجلاً سأله: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟

قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، إنَّ هوازن كانوا قومًا رماة، وإنا لما لقيناهم، حملنا عليهم، فانهزموا، فأقبل المسلمون على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام فأمَّا رسول الله ﷺ فلم يفر، فلقد رأيته، وإنه لعلى بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بلجامها، والنبي ﷺ يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبْ**»[4].

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي.
(٢) رواه أحمد والبيهقي.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

ويقول عليٌّ بن أبي طالب ﷺ : كنّا إذا حمى البأس، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب منه إلى العدو.

أما عن رغبته عن الدنيا: فقد كان ﷺ دائم الخوف، دائم التعبد، موصول الطاعة، يصلي طويلاً، ويقوم الليل إلا قليلاً.. اليقين قوته، والرضا مطيته والمعرفة رأس ماله، والطاعة منتهى آماله، والشوق مركبه، والفكر أنيسه والثقة كنزه، والتقى فخره، والعقل مصباحه، والجهاد خلته، والعلم سلاحه وقرة عينه في الصلاة، وثمرة فؤاده في ذكر من لا إله سواه.

كان مأكله طفيف، وفراشه من أدم حشوه ليف، يبيت طاويًا، ويصبح صائمًا خاويًا، ما أكل قط على خوان، ولم يشبع من خبز الشعير يومين، وما خلف دينارًا ولا درهمًا.

وأما عن جوده وسخائه: فكان ﷺ كما وصفه علي بن أبي طالب ﷺ : كان أجود الناس كفًا، وأوسع الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

حمل إليه تسعون ألف درهم، فوضعها على حصير، ثم قام إليها فقسمها، فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها.

وهو راجع من غزوة حنين، جاء الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى شجرة، فخطفت رداءه، فوقف، فقال: «**أَعْطُونِى رِدَائِى، لَوْ كَانَ لِى عَدَدُ هَذِهِ الْـعِضَاهِ** - أي الشجر أو فروع هذه الأشجار - **نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِى بَخِيلاً وَلاَ كَذُوبًا وَلاَ جَبَانًا**».

كان جوده ﷺ كله لله، وفي ابتغاء مرضاته تعالى، فإنه كان يبذل المال تارة لفقير أو محتاج، وتارة ينفقه في سبيل الله، وتارة يتألف به على الإسلام من يقوي به الإسلام، فكان يؤثر على نفسه وأولاده، فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك ككسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في

بيته نار، وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع..

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى　　وفعلت ما لم يفعل الأنواء

وإذا رحمت فأنت أب أو أم　　هذان في الدنيا هما الرحماء

وإذا خطبت فللمنابر هزة　　تعرو الندى وللقلوب بكاء

وأمَّا عن حسن معاشرته: فهذا أنس بن مالك ﷺ يحدث عنه فيقول: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف قط، ولا قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته، لم تركته؟!».

إنه ما نهر خادمًا، وما ضرب أحد بيده قط، إلا أن يكون جهادًا في سبيل الله.

تقول السيدة عائشة ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته ألين الناس، بسَّامًا ضحّاكًا.

وكان يركب الحمار، ويردف خلفه، فقد أردف خلفه معاذ بن جبل، وأسامة ابن زيد ﷺ روى أنه كان في سفر، وأمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله ، عليَّ ذبحها، وقال آخر: عليَّ سلخها، وقال ثالث: عليَّ طبخها.. فقال رسول الله ﷺ: «**وعليَّ جمع الحطب**» فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك العمل، فقال: «**علمت أنكم تكفونني، لكني أكره أن أتميز عليكم**».

لقد كان رسول الله ﷺ من أجمل الناس ودًا، وأحسنهم وفاءً وعهدًا، وأوفرهم للحقوق ذكرًا، وأكثرهم تواضعًا، وأجزلهم عفة، وصيانة، وأنضرهم بهجة، وأصدقهم لهجة، وأجملهم سرًا وإعلانًا.. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أحبتي في الله...

كان النبي ﷺ يحب المساكين، ويقول: «**اللَّـهُمَّ أَحْيِنِى مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِى مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِى فِى زُمْرَةِ الْـمَسَاكِينِ**».

ويقول: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي أرسل رسوله بالهدى، ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد...

أحبتي في الله...

كان رسولنا ﷺ يجيب دعوة المسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة.

يقابل عذر المعتذر بالقبول، ويأمر بالحسنة، ويدني أهلها، ولا يجزئ بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح، ويتجاوز عن المسيء، ويدفع بالتي هي أحسن.

ولما سئل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن صفات الرسول في التوراة، قال: «والله إنه لموصوف ببعض صفاته في القرآن، يا أيها النبي ﷺ إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، فيقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا»[1].

أحبتي في الله...

لقد كان رسولنا ﷺ خير أسوة للمربين والمرشدين، خير أسوة للزعماء والحكماء خير أسوة للزهّاد والعابدين، مثل أعلى للفرد في قبيلته، والزوج مع

---

(١) رواه البخاري في كتاب «البيوع».

زوجته، والأب مع ابنه والتاجر في تجارته، والمربي مع تلميذه، والواعظ مع مستمعيه، والملك مع رعيته.. كل هؤلاء يجدون من صفاته مثلاً عليا يحتذونها، ويسيرون عليها.

وقد سعدت أمة امتثلت أوامره، واجتنبت نواهيه، وتأدبت بآدابه في عسرها ويسرها فقد جاءنا بالرحمة والرأفة، وأتانا بالهداية، وأنقذنا من العماية، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته، ورسولاً عن دعوته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، وارض اللهمَّ عن الصحابة أجمعين، وعن الخلفاء الراشدين المهديين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين، وعن التابعين وعن من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهمَّ واحفظ الإسلام وأهله في كل مكان يا رب العالمين.

اللهمَّ نور على أهل القبور من المسلمين قبورهم، واغفر للأحياء ويسر أمورهم.. اللهمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.. اللهمَّ فرج هم المهمومين، ونفس الكرب عن المكروبين من المسلمين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه، يغفر لكم وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمد ﷺ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



الخطبة السادسة والخمسون

تعرف على دينك

الحمد لله رب العالمين، «يَا رَبِّ لَكَ الْـحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَلِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ قالها عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّـهِ، فَعَضَّلَتْ بِالْـمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالاَ: يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لاَ نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا؟ قَالَ اللَّـهُ عَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالاَ: يَا رَبِّ: إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْـحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَلِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللَّـهُ عَجَلَّ لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا خيرًا»[١]. فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه..

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.. لم يخلق الخلق عبثًا، ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لعبادته، التي شرعها لهم على لسان أنبيائه ورسله، الذين ختموا بخير الأنام، ونسخت شرائعهم بشريعة ولد عدنان.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها.. القائل: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي»[٢].

وهو القائل: «والذي نفسي بيده، ما يسمع بي من يهودي، ولا نصراني ثم لا يتبعني إلا دخل النار»[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» عن ابن عمر (٤٦٨٧)، وإسناده ضعيف.

(٢) حسن: رواه أحمد عن جابر ، ورواه البيهقي في «الشعب»، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» رقم (١٧٧).

(٣) «السلسلة الصحيحة» (٣٠٩٣).

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها الأحبة في الله...

حياكم الله ﷻ، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا المسجد المبارك على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة مع حبيبنا ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء المبارك أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، اجعلوا التقوى شعاركم حيثما كنتم، فقد فاز المتقون وسعدوا.. فاسلكوا طريقهم ﴿ **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝** ﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٦].

ولقاؤنا اليوم أيها الأحبة الكرام بعنوان: «**إنه من الواجب على كل مسلم أن يتعرف على دينه**»، حتى يتسنى له عبادة ربه ومولاه على بصيرة، كما قال الله ﷻ على لسان نبيه: ﴿ **قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝** ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وبالعلم يصل المسلم إلى الطريق المستقيم، وهو طريق الرسول الكريم ﷺ وأتباعه من الصحابة والتابعين.. وهو طريق النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، فمن سلكه كان من المفلحين ومن سلك طريقًا غيره كان من الخاسرين.

﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝** ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فعلى العبد معرفة ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ، وعبادة الله تعالى، توحيده وطاعته، وطاعة نبيه ﷺ واتباعه.

أيها المسلمون أحباب الحبيب المصطفى ﷺ...

ما هو الإسلام؟ وما هي مميزاته؟

هذا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه جامع للتعريف بأركان الإسلام، وأركان الإيمان يقول: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّـهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّـهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: صَدَقْتَ. ثم سأله عن الساعة وعن أمارات الساعة فأجابه، ثم قال: «**إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1].

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه: «هذا أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين.

وتلخيص معناه: أن تعبد الله عز وجل عبادة من يرى الله تعالى، ويراه الله تعالى وحاصله: الحث على كمال الإخلاص في العبادة، ونهاية المراقبة فيها وهذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ .

فما هو الإسلام؟ الإسلام هو الانقياد والاستسلام لله عز وجل وحده إخلاصًا

---

(١) رواه مسلم.

وتوحيدًا، ومحبة وإنابة.. قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣١]، أي إخلاصًا وتوحيدًا، ومحبة وإنابة، فكان توحيد الله ﷻ عقيدته، وأوصى به بنيه وذريته من بعده، وجعلها كلمة باقية في عقبه، وتوارثت فيهم، حتى وصلت ليعقوب، فوصى بها بنيه الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله ﷻ لعباده.. ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

والذي يبتغ غير الإسلام دينًا، فلن يقبل منه أي عمل، ويكون من أهل النار - والعياذ بالله - وهو من الخاسرين في دنياه، وفي أخراه.. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وكل الأنبياء والرسل كان دينهم الإسلام.. ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

فخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، كان دينه الإسلام، وكان يدعو إلى الإسلام، وقد نفى الله ﷻ عنه الشرك.. ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وعندما وضع إسماعيل عليه السلام وهو صغير مع أمه عند البيت الحرام، دعا ربه قائلاً: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. والصلاة هي ركن الإسلام الأعظم.. ولما رفع قواعد البيت ومعه إسماعيل قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

ويعقوب الذي يسمى إسرائيل كان يتدين بدين الإسلام، ووصى بنيه وذريته

باتباع هذا الدين، والتمسك به، وهو في آخر لحظات عمره.. ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

والإسلام قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.

قول باللسان: هو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ قال الله ﷻ: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وتصديق بالجنان، وهو القلب: .. وتصديق القلب أي إخلاص النية والمحبة والتوكل والانقياد لله ﷻ.. فهذه أعمال القلوب والقلوب إذا استقامت، استقامت الجوارح والأعضاء، ولا صلاح للقلوب إلا بتوحيد علام الغيوب.

وفي الحديث: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِيَ الْـقَلْبُ**»(١).

وعمل بالجوارح والأركان: كتلاوة القرآن والذكر، والتسبيح، والصيام والزكاة والحج وسائر الطاعات الأخرى.. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

الإسلام هو الانقياد والإذعان لله ﷻ.

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّـهِ ﷻ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ**».

قَالَ: فَأَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

قَالَ: «الإِيمَانُ».

قَالَ: وَمَا الإِيمَانُ؟

قَالَ: «تُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْـبَعْثِ بَعْدَ الْـمَوْتِ»[١].

أيها المسلمون...

الإسلام هو الصراط المستقيم، قال ﷺ: «ضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعاً وَلاَ تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعِي يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ... ثم فسره، فأخبر أن الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب المفتحة، محارم الله، وأن الستور المرخاة، حدود الله، والداعي على رأس الصراط هو القرآن، والداعي من فوقه، هو... وَاعِظُ اللَّـهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[٢].

الإسلام دين كل الأنبياء. يقول القحطاني في نونيته:

وشريعة الإسلام أفضل شرعة ... دين النبي الصادق العدنان

هو دين رب العالمين وشرعه ... وهو القديم وسيد الأديان

هو دين آدم والملائك قبله ... هو دين نوح صاحب الطوفان

وله دعا هود النبي وصالح ... وهما لدين الله معتقدان

وبه أتى لوط وصاحب مدين ... فكلاهما في الدين مجتهدان

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير»، وقال الهيثمي في «المجمع»: رجاله ثقات (١/ ٢٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد والبزار، ورواه رزين، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٣٤٨).

هـو ديـن إبـراهيم وابنـيه معًـا	وبـه نجـا مـن نفخـة النـيران
وبـه حمـى الله الذبـيح مـن الـبلا	لَمَّـا فـداه بـأعظم القـربان
هـو ديـن يعقـوب النبـي ويونس	وكلاهمـا في الله مبتلـيان
هـو ديـن داود الخلـيفة وابـنه	وبـه أذل لـه ملـوك الجـان
هـو ديـن يحيـى مـع أبـيه وأمـه	نعـم الـصبي وحـبذا الـشيخان
ولـه دعـا عيـسى ابن مريـم قومه	لم يـدعهم لعـبادة الـصلبان
والله أنطقـه صـبيًا بالهـدى في	المهـد ثـم سـما عـلى الـصبيان
وكـمال ديـن الله شرع محمـد	صـلى علـيه منـزل القـرآن

أمة الإسلام...

إسلامنا دين الوسطية، والوسطية دليل الخيرية.. الوسطية تمثل الأمان.. الوسطية تعني الاستقامة.. الوسطية دليل القوة، فالإسلام وسط في الاعتقاد والتصور.. وسط في التعبد والتنسك.. وسط في الأخلاق والآداب.. وسط في التشريع والنظام ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال رسول الله ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]»(١).

الإسلام دين السماحة واليسر، قال ﷺ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والبيهقي.

في كل تشريعات الإسلام سهولة ويسر.. في كل أركان الإسلام تيسير، في الصلاة يقول ﷺ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ، وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ**»(١).

ورخص للمسافر قصر الصلاة الرباعية، بأن يصلي الظهر ركعتين، والعصر كذلك والعشاء.

ورخص تيسيرًا على المسافر الجمع بين الصلاتين وفي وقت المطر ورخص في التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله.. ﴿ **وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا** ﴾ [المائدة: ٦].

وفي الصيام تيسير.. فمن أكل أو شرب ناسيًا، فعليه أن يتم صومه، قال ﷺ: «**من أكل أو شرب ناسيًا، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه**» وفي رواية: «**فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّـهُ**»(٢).

ورخص للمسافر أن يفطر.. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم في الشمس، فسأل عنه، قالوا: هذا أبو إسرائيل نذر أن يصوم ولا يستظل، ولا يتكلم ولا يقعد، فقال: «**مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**»(٣). أي إن أراد إتمامه.

وسمى النبي ﷺ الذين يتشددون في الدين بالعصاة، لأنهم يخالفون ما عليه هدي رسول الإسلام ﷺ، لما خرج رسول الله ﷺ عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ «كراع الغُميم» فظل الناس صائمين فدعا بقدح من ماء،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٠٨٢).

(٣) رواه البخاري وأبو داود وأحمد.

فرفعه، حتى نظر الناس إليه، ورأوه، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك، إن بعض الناس قد صام، فقال: «**أُولَئِكَ الْـعُصَاةُ**»[١].

وعن جابر ﷺ قال: كان النبي ﷺ في سفر، فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه، وقد ظلل عليه، فقال: «ماله؟» قالوا: رجل صائم فقال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَ الْـبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**»[٢].

ورخص تيسيرًا على المريض الإفطار في رمضان.. ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وفي الحج تيسيرات كثيرة، فقد رأى النبي ﷺ امرأة وقد نذرت أن تحج ماشية، فقال لأحد أصحابه: «**مُرْهَا فَلْتَرْكَبْ، فَإِنَّ اللَّـهَ** ﷻ **عَنْ تَعْذِيبِ أُخْتِكَ نَفْسَهَا لَغَنِيٌّ**»[٣].

وتأملوا هذا التيسير العظيم عندما يأتي إليه رجل، فيقول له: «يَا رَسُولَ اللَّـهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «**مَا لَكَ؟**». قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟**». قَالَ: لاَ. قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟**». قَالَ: لاَ. فَقَالَ: «**فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟**». قَالَ: لاَ. قَالَ فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالْـعَرَقُ الْـمِكْتَلُ - قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**». فَقَالَ: أَنَا. قَالَ: «**خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ**». فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ فَوَاللَّـهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الْـحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ: «**أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**»[٤].

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (١٧٢٢٤)، وصححه حمزة الزين.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فقد راعى النبي ﷺ حال الرجل، فتحمل عنه الإطعام كفارة لجنايته، ثم رخص له في النهاية أن يطعمه أهله، وبهذا عاد يحمل بدل العقوبة مكافأة تقديرًا لظروفه الشخصية والعائلية، وخاصة أنه جاء تائبًا نادمًا معترفًا بذنبه.

ولذلك دعا على الذين يتشددون في دين الله ﷻ، وينفرون الناس منه، فقال ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**هَلَكَ الْـمُتَنَطِّعُونَ**»[1]، وهم المتشددون، قالها ثلاث مرات.

الإسلام دين المساواة.. دين العدالة.. قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾** ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد خطب بمعنى هذه الآية في حجة الوداع في يوم من أيام التشريق فقال: «**أيها الناس، إنَّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**»[2].

وطبق الإسلام هذا الإخاء الرفيع، وأقام على أساسه مجتمعًا ربانيًا فريدًا، شعاره «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[3].

عندما حل رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، وأذاب الحقد والحواجز بين القحطانيين والعدنانيين من العرب وأطفأ نار العداوة بين الأوس والخزرج، وحل العقد بين العربي والأعجمي، ومحا الفوارق بين الأغنياء والفقراء، وأصبح مسجده المبارك ﷺ يضم الفيحاء الحبشي كبلال، والفارسي

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود.

(٢) حسن: رواه البيهقي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٦٣)، و«الصحيحة» (٢٧٠٠).

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

كسلمان، والرومي كصهيب، إلى جوار إخوانهم العرب من الصحب الكرام، كما يضم الأغنياء مثل عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وضم الفقراء مثل أبي ذر الغفاري، وأبي هريرة ﷺ لقد غسل الإسلام أرجاس الجاهلية وطهرها من الغل والحسد والحقد، ونقي الأنفس وطهرها من الغل والحسد والأنانية والشح والبخل، حتى ارتقى هذا الدين ببعض الأنفس إلى درجة الإيثار كما في موقف سعد بن الربيع الأنصاري مع أخيه المهاجري عبد الرحمن بن عوف، فقد عرض عليه شطر ماله ليتملكه، كما عرض عليه إحدى زوجتيه ليطلقها من أجله فيتزوجها وهو طيب النفس، قرير العين.. وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف الخالد لهذه الجماعة المؤمنة بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [الحشر: ٩].

وشعائر الإسلام كلها تثبت المساواة، فقد شرع الإسلام صلاة الجماعة، يقف الفقير بجوار الغني، ويقف الشريف بجانب الوضيع، والحاكم بجوار الخادم، والرئيس بجانب المرؤوس لا فرق، بل كلهم سواسية في قيامهم وركوعهم وسجودهم، قبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، وربهم واحد، وحركاتهم واحدة، وإمامهم واحد.

الإسلام محا من نفوس أبنائه عقدة التميز بين الأجناس والألوان، لما اشترى الصديق أبو بكر سيدنا بلال الحبشي وأعتقه، قال عمر: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا.

وفي عصرنا الحاضر تدعي أمريكا أنها أم الحضارات، وهي أم التقدم، ولكنها عجزت عن تحقيق قانون المساواة والعدالة والإخوة في مجتمعاتها، فجعلت للبيض كنائس غير كنائس السود وقد حدث أن أخطأ رجل أسود، فدخل كنيسة البيض في يوم، فكان القسيس يخطب ويتحدث فلمح هذا الوجه الغريب بين الحضور،

فأخرج ورقة مطوية، وكتب فيها عنوان كنيسة السود فقام وخرج.. قال ﷺ: «**كلكم لآدم، وآدم من تراب**».

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي هدانا للإسلام، وشرفنا بالانتساب إلى ملة خير الأنام، وعافانا مما ابتلى به غيرنا، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.. يعز من يشاء، ويذل من يشاء بيده الخير، وهو على كل على شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب الحبيب المصطفى ﷺ . . .

إنَّ دين الإسلام هو الدين الحق، وهو دين الفطرة والعقل والرشاد والهداية ولقد قرأت بعض الإحصائيات التي وردت من الأمم المتحدة منذ أربع أو خمس سنوات على وجه التحديد تقول: إنَّ أعلى الديانات التي تكتسب أشخاص جدد هي ديانة الإسلام.. تقول الإحصائية! والدين الذي يليه هو المسيحية، والفارق بينهما ستة أضعاف» أي أنه إذا دخل في المسيحية ألف، فإن الداخلين في الإسلام ستة آلاف، مع تقصيرنا وتفريطنا.. ومع ما هنالك من جهد كبير من قبل المسيحية.

إن نور الإسلام يبدد الظلمات رغم تقصير المسلمين وتفريطهم، ورغم تبدد وضعف جهودهم.. فهذا أحد القسيسين يسمى (جوزيف) نصراني مسيحي نشأ في ظلال الكنيسة، التي تعطي للناس طعامًا لبطونهم الجائعة، وتقدم لهم كساء

لأجساد ناحلة عارية، وتعطيهم دواء لأجساد سقيمة بالية.. تقدم هذا الرجل في النصرانية، وبلغ شأنًا عظيمًا، حتى بعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ليحصل على الدرجة «الماجستير» في علوم اللاهوت والكنيسة، وفي أثناء دراسته تلك، كان يمر على موضوعات بحكم دراسته فيها مقارنة بين الأديان، فلا يكاد يقرأ كتاب بل كتبًا فلا يجد فيها سطرًا واحدًا يذكر الإسلام بخير مطلقًا.. وغريزة البحث، ومعرفة بعض أسباب التناقض في تلك الديانات المحرفة قادته إلى أن يبحث أكثر عن الإسلام بنفسه، بتوفيق من الله ﷻ.. وإذا بنور الحق يبدد ظلمات الظلم، وإذا به يدخل الإسلام، ويعلن عن إسلامه ويشهره.. لتسلب منه سيارته، ويقطع راتبه، وتلغى امتيازاته ويصبح اليوم لا يملك مالاً يدرس به أبناؤه.. أي شيء صنع هذا الرجل؟ رغم كل هذه الظروف؟ لقد نذر نفسه أن يدعو إلى الله ﷻ وإلى دين الإسلام في صفوف المسيحية الكنسية من أبناء بلدته، وإذ بالمدير العام للمناهج في الكنيسة، المسئول الأول عن التعليم المنهجي للكنائس المختلفة في قارة أفريقيا.. يدخل في الإسلام بدعوة قسيس سابق، حائز على درجات علمية عالية في تخصصات اللاهوت الكنسي، ويمضي وراء ذلك، وإذا به يكتسب من هؤلاء واحدًا إثر واحد.

وهذا (جون مري بوبو) أيضًا قسيس نصراني أفريقي، وصل إلى مرتبة رئيس الأساقفة في بلد إفريقي، من خلال بحثه، ورؤيته للمسلمين وهم يؤدون الصلاة يدخل في دين الله.. وحيكت حوله المؤامرات من قبل الكنيسة في أثناء سفره خارج البلاد، حُرّق منزله، وقتل وحرق توأمان من أبنائه، ثم بعد فترة أعيد إحراق منزله، وتعرض للقتل ثلاث مرات، وهو يقول في آخر هذه المعاناة: «أنا أشعر براحة واطمئنان، لأنني أستشعر أن الله ﷻ معي».

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان.. اللهمَّ انصر الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداءك أعداء الدين.. اللهمَّ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا.. اللهمَّ اغفر ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت

أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهمَّ قوِّ إيماننا، وثبت عقيدتنا.. واختم لنا بخير يا كريم.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



الخطبة السابعة والخمسون

تعرف على نفسك

الحمد لله رب العالمين.. يا رب لك الحمد خيرًا مما نقول، وفوق ما نقول ومثل ما نقول.. لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بمحمد رسول الله ﷺ عزّ جاهك، وجل ثناؤك، وتقدست أسماؤك، ولا إله إلا أنت.. في السماء ملكك، وفي الأرض سلطانك وفي البحر عظمتك.. وفي كل شيء حكمتك وآيتك.. أنت رب العالمين.. لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. أنشأ الآدمي من ماء مهين ضعيف وقوي، وغربل اللبن بغربال اللطف وروي، وفتق أمعاءه للقوت فتقوى، بصنعته استدار المصير وتحوى، يصوركم في الأرحام، ولا يدري آدم ولا حواء.

قف بالخضوع ونادِّ ربك يا هو — إن الكريم يجيب من ناداه

اطلب بطاعته رضاه فلم يزل — بالجود يرضى طالبين رضاه

واسأله مسألة وفضلاً إنه — مبسوطتان لسائليه يداه

واقصده منقطعًا إليه فكل من — يرجوه منقطعًا إليه كفاه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا.. ومخرجنا من الظلمات سيدنا محمد النبي المصطفى، والرسول المجتبى، وخليله المصطفى ﷺ، الشافع المشفع في المحشر، نبي ما اطلعت الشمس على أحد أزكى منه، وأتقى لربه وأطهر نبي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك قام على قدمه الشريف حتى تفطر، نبي حذر وأنذر.. ووعد وبشر.. اللهمَّ صلى وسلم وبارك عليه في الأولين، وصلِّ وسلم وبارك عليه في الآخرين، وسلم وبارك عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ ...

في بداية هذا اللقاء المبارك أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته ومحبته، أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته، وأن يحشرنا مع حبيب قلوبنا، ونور أبصارنا، سيدنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فقد أفلح المتقون وفازوا.. فازوا والله بخيري الدنيا والآخرة.. ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝** ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

لقاؤنا اليوم بعنوان: «**اعرف نفسك**».

ونحن مأمورون بأن نتعرف على أنفسنا، وأصل خلقتنا، قال الله ﷻ: ﴿ **وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝** ﴾ [الذاريات: ٢١].

وأول آيات النفس، خلق أبينا آدم عليه السلام إذ خلقه الله من تراب، قبض قبضة من جميع الأرض، من بياضها وسوادها، ومن حمرتها، ومن سهلها، ومن حزنها ومن طيبها وخبيثها، فجاء بنو آدم كذلك، فمنهم الأبيض، ومنهم الأحمر، ومنهم بين ذلك، ومنهم السهل، ومنهم الحزن، ومنهم الطيب، ومنهم الخبيث.. يقول ﷺ: «**إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب.. ولما أتم خلقه نفخ فيه من روحه، وأول ما وقع عليه الروح رأسه، ثم عيناه،**

ثم أنفه، فعطس، ثم لسانه، فحمد الله ﷻ، ثم مرت في جميع جسده.. فكرمه الله بأربع خصال: خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء» (١).

يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ ﴾ [ص: ٧١].

ويقول: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ ﴾ [الروم: ٢٠].

وفي خلق آدم من تراب دلالة على قدرة الله تعالى ودليل على عظمته، وحسن صنعته، وأنه هو الذي يقول للشيء: كن فيكون، وأنه هو الذي يفعل ما يريد.. فهو الذي جعل التراب بشرًا سويًا، يأكل ويشرب، ويتكلم ويبصر، ويسمع ويمشي، ويتحرك ويسكن.. وجعله خليفة في الأرض وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.. وسخر له ما في السموات والأرض.

أيها الأحبة الكرام...

ومن الآيات التي ينبغي أن يتدبرها العبد لمعرفة النفس: خلق الإنسان من قطرة ماء حقير مهين، تخرج من بين الصلب والترائب.. وتجمع من الذكر والأنثى وجعلها في قرار مكين، في ظلمات ثلاث.. ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة.. ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ ﴾ [الزمر: ٦].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود، وصححه الألباني في «المشكاة» رقم (١٠)، و«صحيح الجامع» (١٧٥٩).

سبحان الله! خلق هذا الإنسان بهذه الصورة من ماء حقير مهين، من تراب ثم تطور هذا الإنسان من النطفة المذرة الحقيرة، إلى مضغة مخلقة، أو غير مخلقة ثم إلى علقة، ثم إلى عظام، ثم كسى الله العظام باللحم.. وصوره فأحسن صوره ومع ذلك كله يتعالى على خالقه.. ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ [النحل: ٤].

لا إله إلا الله.. ما أغفل الإنسان وما أجفاه وما أظلمه.

خلقه من ماذا؟ ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ﴾، ما هذه النطفة؟ ماء مهين حقير، إذا وقع على ثوبك، تستحي أن تقابل الناس وهو على ثوبك.. ومن هنا فإن القرآن الكريم يستعمل أسلوب الكناية حياء، فيقول: ﴿ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [المعارج: ٣٩]، هم يعلمون مما خلقوا؟ ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ۝ ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢٣].

أرسل الصديق الأكبر أبو بكر - رضي الله عنه وأرضاه - رسالة إلى كسرى ملك الفرس، يقول له فيها: «يا كسرى، كيف تتكبر على الله، وقد خرجت من مجرى البول مرتين: مرة ماءً مهينًا، ومرة طفلاً صغيرًا؟!

فالإنسان خلق من نطفة، قذيفة منوية تشتمل على أكثر من مائة مليون كائن منوي هذه القذيفة إذا صبت في الأرحام، لا يصلح منها للإنجاب إلا كائن منوي واحد، هذا الكائن المنوي الواحد، لا تستطيع رؤيته بالعين المجردة، إنه لا يرى إلا بالمجهر لا يُرى إلا بالميكروسكوب.. خلق الإنسان من هذا الكائن المنوي، ما طوله؟ وما عرضه؟ وما سمكه؟ وما هو الضوء التي يضيء له حتى يتخلق؟

دواؤك فيك وما تبصر ... وداؤك منك وما تشعر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

وتشعر أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

إذا أردت أن تخضعه للمقاييس فهو يساوي ٥٢ على ١٠٠ من المليمتر..

مفرطح الرأس.. طويل الذنب.. يسبح في الطريق الواقع من المبدأ إلى الرحم في ظلمات وبسرعة نصف ميليمتر في الثانية الواحدة.. أين خلقنا؟ ما هي المصانع التي خلقنا الله فيها؟ ومن أين جاءت؟ إنه مكتوب عليها: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧].

إنها من طراز ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ أما الماركة التي كتبت عليها فهي: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

إنَّ الكائن المنوي عندما يسبح في ظلمات الرحم، ويلتقي ببويضة الأم، ويتم الوفاق بين كل منهما، يأمر الله ﷻ دم الحيض أن يحتجز ولا ينزل.. لماذا؟ لماذا يا قادر؟ لماذا يا من تقول للشيء: كن فيكون؟ لماذا يا من تنزهت عن الشبيه ذاته، وتقدست الأغيار صفاته؟ لماذا يا من أنت بالبر معروف، وبالإحسان موصوف؟ يا معروفًا بلا غاية، وموصوفًا بلا نهاية؟

إنَّ دم الحيض يحجز ليحول الله ﷻ بعضه إلى معامل التكرير، فيحوله لك إلى غذاء ويحول البعض إلى مساند لك، وأنت في الرحم، فتسندك إذا اصطدمت الأم بجسم صلب فلا تتأثر أنت بالاصطدام.. جعل الدم في الرحم، ليكون بمثابة سوست تبلع المطبات.. وجعل جدار الرحم كالإسفنج.. وأخذت تنمو.. والله ﷻ يصورك.. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾ [آل عمران: ٦]. ومرت بك الأيام وأنت في هذه الظلمات، فمن الذي كان يمدك بالغذاء وأنت كذلك؟

إن الذي كان يمدك بالغذاء، هو من يقول: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝ ﴾ [الرعد: ٨، ٩].

كيف كنت تتنفس وأنت في هذا المكان الضيق؟ لقد كنت تتنفس من أكسجين الأم.. كانت أمك هي التي تمدك من تنفسها بالأكسجين.

كيف كانت درجات الحرارة في الرحم؟ كانت درجات الحرارة ثابتة صيفًا

وشتاء فلا في الشتاء برد، ولا في الصيف حر.. من الذي أمسك بميزان الحرارة فجعلها ثابتة لك؟ إنه الله.. الله.. إنها العناية.. إنها الإرادة.. إنها الرعاية.. لقد سئلت امرأة عجوز، تعيش في الصحراء، فقالوا لها: ما الدليل على وجود الله؟ فبأي شيء أجابت ليسمع الملاحدة.. وليسمع الزنادقة، وليسمع الذين يفترون على الله الكذب، وهم يعلمون.. ليسمعوا الإجابة من امرأة عجوز، لم تتخرج في جامعات أمريكا؟ ولا في جامعات انجلترا، وإنما تخرجت في جامعة (لا إله إلا الله) ماذا قالت: قالت: إنَّ الأثر يدل على المسير، ثم شرحت هذا الموجز قائلة: فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟

أخي الحبيب...

ومضت عليك مدة الحمل، وأنت جالس القرفصاء، واضعًا يديك على وجهك، واضعًا وجهك إلى ظهر أمك، واضعًا ظهرك إلى بطن أمك.. ماذا تنتظر؟ إنك تنتظر الأوامر بالعبور من رافع السماء بلا عمد.. الذي يقول: ﴿ **وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ** ﴾ [فاطر: ١١]، كيف تعبر من هذا الطريق الضيق من الرحم إلى هذه الدنيا؟ اسمع إلى قول مولانا جل شأنه: ﴿ **مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝** ﴾ [عبس: ١٨ - ٢٠].

إن الذي يسر السبيل لتعبر هذا المضيق من عالم الرحم إلى عالم الدنيا، هو الله.. الذي يقول لك: «يا ابن آدم، لقد جعلت لك قرارًا في بطن أمك، وأغشيت وجهك بغشاء حتى لا تؤذيك رائحة الطعام، وجعلت لك متكئًا عن يمينك، ومتكئًا عن شمالك، أما الذي عن يمينك فالكبد، وأما الذي عن يسارك فالطحال، وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك، فهل يقدر على ذلك أحد غيري؟! فلما أن تمت مدتك أوصيت إلى الملك الموكل بالأرحام، فأخرجك على ريشة من جناحه، لا لك سن تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى بها.. فأنبعت

لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبنًا خالصًا حارًا في الشتاء باردًا في الصيف، فلما أن قوي ظهرك، واشتد أزرك بارزتني بالمعاصي، ولم تستح مني، ومع ذلك، إن تبت إليَّ قبلتك، وإن استغفرتني غفرت لك» يوم خرجت من بطن أمك، لم تكن تعلم شيئًا.. ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

يوم أن خرجت من بطن أمك.. ليس لك ملابس، وليس لك منصب وليست لك وظيفة وليس لك بيت، ولا سيارة، ولا جاه.. سقطت قطعة لحم على الأرض، وأنت تبكي.. فإذا ما بصرك الله وعلمك وأنبتك، وملكك وأصبح لك وظائف، وأصبحت ذا منصب، وسيارة، تنسى الله ﷻ، وتتمرد عليه وتتعدى حدوده، وتنتهك حرماته؟ فأين العقول؟ وأين الأسماع؟ وأين الأبصار؟ ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١].

إنّ الإمام ابن القيم رحمه الله صور ذلك تصويرًا دقيقًا وجميلاً، فقال: «فأعد الآن النظر فيك، وفي نفسك مرة ثانية.. من الذي دبرك بألطف التدبير وأنت جنين في بطن أمك؟ في موضع لا يدٌ تنالك، ولا بصرٌ يدركك، ولا حيلة لك في التماس الغذاء، ولا في دفع الضرر عنك، فمن الذي أجرى إليك من دم الأم ما يغذوك، كما يغذو الماء النبات، وقلب ذلك الدم لبنًا، ولم يزل يغذيك به في أضيق المواضع وأبعدها من حيلة التكسب والطلب.

حتى إذا كمل خلقك واستحكم، وقوي أديمك على مباشرة الهواء، وبصرك على ملاقاة الضياء، وصلبت عظامك على مباشرة الأيدي والتقلب على الغبراء.. هاج الطلق بأمك، فأزعجك إلى الخروج أيما إزعاج إلى عالم الابتلاء.

فمن الذي فتح لك بابه، حتى ولجت - أي خرجت.. ثم فتح لك الباب ووسعه، حتى خرجت منه كلمح البصر؟ لم يخنقك ضيقه، ولم تحبسك صعوبة طريقك فيه! فمن الذي أوحى إليه أن يتضايق عليك وأنت نُطفة حتى لا تفسد

هناك؟ ثم أوحى إليه أن يتسع لك وينفسح حتى تخرج منه سليمًا، إلى أن خرجت فريدًا وحيدًا ضعيفًا ولا لباس ولا متاع ولا مال، أحوج خلق الله وأضعفهم وأفقرهم، فصرف ذلك اللبن الذي كنت تتغذى به في بطن أمك إلى خزانتين معلقتين على صدرها تحمل غذاءك على صدرها كما حملتك في بطنها، ثم ساقه إلى تلك الخزانتين ألطف سوق على مجار وطرق قد تهيأت له، فلا يزال واقفًا في طرقه ومجاريه حتى يستوفي ما في الخزانة فيجري وينساق إليك، فهو بئر لا تنقطع مادتها، ولا تنسد طرقها، يسوقها إليك في طرق لا يهتدي إليها الطواف، ولا يسلكها الرجال؟!

فمن رققه لك وصفاه وأطاب طعمه وحسّن لونه وأحكم طبخه أعدل إحكام؟ لا بالحار المؤذي، ولا بالبارد الرديء، ولا المر المالح، ولا الكريه الرائحة؟! بل قَلَبَهُ إلى ضرب آخر من التغذية والمنفعة خلاف ما كان في البطن، فوافاك في أشد أوقات الحاجة إليه على حين ظمأ شديد وجوع مفرط جمع لك فيه بين الشراب والغذاء، فحين تول قد تلمّظت وحرّكت شفتيك للرّضاع فتجد الثدي المعلق كالإداوة قد تدلي إليك وأقبل بدرّه عليك، ثم جعل في رأسه تلك الحلمة التي هي بمقدار صغر فمك فلا يضيق عنها ولا يتعب بالتقامها، ثم نقب لك في رأسك نقبًا لطيفًا بحسب احتمالك، ولم يوسعه فتختنق باللبن، ولم يضيقه فتمصّه بكلفة، بل جعله بقدر اقتضته حكمته ومصلحته.

فمن عطف عليك قلب الأم ووضع فيه الحنان العجيب والرحمة الباهرة حتى تكون في أهنأ ما يكون من شأنها وراحتها ومقيلها؟! فإذا أحست منك بأدنى صوت أو بكاء قامت إليك وآثرتك على نفسها على مدى الأنفاس، منقادة إليك بغير قائد ولا سائق إلا قائد الرحمة وسائق الحنان، تود لو أن كل ما يؤلمك بجسمها، وأنه لم يطرقك منه شيءٌ، وأن حياتها تزاد في حياتك، فمن الذي وضع ذلك في قلبها؟! حتى إذا قوي بدنك واتسعت أمعاؤك وخشنت عظامك

واحتجت إلى غذاء أصلب من غذائك ليشتد به عظمك ويقوي عليه لحمك، وضع في فيك آلة القطع والطحن، فنصب لك أسنانًا تقطع بها الطعام وطواحين تطحنه بها؟! فمن الذي حبسها عنك أيام رضاعك رحمة بأمك ولطفًا بك، فلو أنك خرجت من البطن ذا سن وناب وناجذ وضرس، كيف كان حال أمك بك؟ ولو أنك منعتها وقت الحاجة إليها كيف كان حالك بهذه الأطعمة التي لا تُسيغها إلا بعد تقطيعها وطحنها؟ وكلما ازددت قوة وحاجة إلى الأسنان في أكل المطاعم المختلفة زيد لك في تلك الآلات، حتى تنتقي إلى النواجذ، فتطيق نهش اللحم، وقطع الخبز، وكسر الصَلْب، ثم إذا ازددت قوة، زيد لك فيها، حتى تنتهي إلى الطواحين التي هي آخر الأضراس.

فمن الذي ساعدك بهذه الآلات، وأنجدك بها من ضروب الغذاء؟ إنه الله الكبير المتعال.

عباد الله...

ومن آيات الله ﷻ في الإنسان (العين) آلة الإبصار، ونافذة الجسد إلى المخلوقات الأخرى، وباب التدبير والاعتبار.. جعلها الله لونين: أبيض ليجمع البصر، وأسود، لينفذ البصر، وهذه حكمة عظيمة، إذ المألوف أن البياض هو النور، والأسود هو الظلام، ولكنه في العين معكوس بقدرة العلي العظيم.

والله ﷻ جعل العين شحمة قوية لا تتأثر بالحر، ولا بالبرد، وقد جعل ماءها مالحًا ليحفظها وينظفها، ولو كان عذبًا مع حرارته، لذابت العين من شدة الحرارة.

وهي تتكون من أربع طبقات، هي: الصلبة، والقرنية، والمشيمة، والشبكية، وتتكون الشبكية من تسع طبقات منها أعواد ومخروطات، عدد الأعواد ٣٠ مليون عودًا، والمخروطات ٣ مليون مخروطًا، وفيها مستقبلات للضوء تقدر بحوالي ١٣٠ مليون.

والعين أحد الشهود على العبد يوم القيامة، يقول مولانا ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [فصلت: ٢٠].

وقد أمرنا مولانا سبحانه بأن نغض بصرنا، فقال: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ [النور: ٣٠]، ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

فمن الذي جعلها كذلك؟ ومن الذي أحكم إبداعها وصنعها؟ إنه الله ﷻ فاشكروه على نعمه يزدكم.

عباد الله...

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، وملاذ المتقين، ومفرج هم المهمومين، والمكروبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. النبي المصطفى الكريم، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب المصطفى ﷺ...

ومن آيات الله ﷻ في النفس اللسان، إذ هو قطعة لحم صغيرة، أجرى الله فيه الكلام، إذ يتكلم بالساعات ولا يتعب، وفيه سبع عشرة عضلة تحركه في جميع الاتجاهات، هو ترجمان البدن، الذي ينطق عن كل جارحة، ويظهر كل خافية، وبه يكتسب الإنسان الأجر، ويغفر الوزر، وبه يتميز الإنسان عن الحيوان.. قال الله

ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢].

فللدواب ألسن، لكنها لا تتكلم مع أنها أكبر من لسان الإنسان، ويقوم اللسان بالمضغ والبلع، وذوق الطعام، وعلى سطح اللسان يوجد ٩٠٠٠ نتوء ذوقي لمعرفة طعم الحلو والحامض، والمر والمالح.

ومن الآيات العجيبة في الإنسان (قلبه) يبلغ وزنه حوالي ٣١٢ جرامًا، حجمه في قبضة اليد، تبلغ ضربات قلب الرجل السليم ٦٠ - ٨٠ / د وينبض في العام حوالي ٤٠ مليون مرة، وفي كل نبضة يدخل القلب حوالي ربع رطل من الدم، ويضخ في يوم واحد ٢٢٠٠ جالون من الدم، وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى حياة بأكملها، أترون هل يستطيع محرك آخر، أن يقوم بمثل هذا العمل الشاق، لمثل تلك الفترة الطويلة.. دون أن يحتاج لإصلاح؟

الدم الذاهب إلى الدماغ يعود إلى القلب في خلال ٨ ثواني، بينما يعود الدم الذاهب إلى أصابع القدم في ١٨ ثانية.. فمن الذي يسر له ذلك؟ إنه الله الكبير المتعال في كل يوم يتنفس الإنسان ٢٥ ألف مرة، يسحب فيها ١٨٠ متر مكعب من الهواء يتسرب منها ٦.٥ متر مكعب من الأكسجين.

ومن العجيب في قدرة الله ﷻ وعظمته في الإنسان أنه لا يمكن أن تتشابه بصمتان في العالم، سواء ما مر من تاريخ وجود الإنسان على الأرض أو حاليًا، أو ما يأتي في المستقبل من البشر، وذلك قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤]. بل الأعجب من ذلك أن العلم الحديث الآن يستطيع أن يحدد المجرم من خلال وجود شعرة من شعرات رأسه.. فسبحان الله أحسن الخالقين.. وهذا بعض من كل.

عباد الله...

هل عرفت نفسك الآن؟ من خلال قدرة الله وعظمته عرفت نفسك ورأيت

ضعفك، وقدرة الله فيك؟! فاعتبروا يا أولي الأبصار.. أيليق بك بعد هذا أن تتكبر على الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك؟! أيجدر بك أن تعصيه؟ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ ﴾ [النحل: ٤].

عجبًا لك يا ابن آدم.. عجبًا لك تخاصم ربك.. عجبًا لك تجادل خالقك.. عجبًا لك تكذب بارئك.. أنت الذي تنتنك عرقة. وتؤذيك بقة.. وتميتك شرقة.. يقول رب العزة في الحديث القدسي الجليل: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك.. وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي، فقوله: لي ولد.. سبحاني، لم أتخذ صاحبة ولا ولدًا.. وأما شتمه لي فقد زعم أنني لا أعيد الخلق يوم القيامة، ألا إني أبدأ الخلق ثم أعيده، وهو أهون عليَّ**»[1].

خلقك لتكون له عبدًا، فكنت لخالقك خصيمًا وضدًا، كيف وهو الذي من الطين سواك وعلى موائد كرمه رباك، وأمدك بالرزق، فما عقل عنك وما نساك.

جاء أبي بن خلف - الخصيم العنيد لله - إلى رسول الله محمد ﷺ ومعه قطعة من عظام الموتى، قد بُليت، وفركها بين أصبعيه، ونفخها بفمه، وقال: يا محمد، أترى أن ربك يبعث هذا بعد ما رم وبلي؟!

قال: «**نعم ويميتك الله، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار**»[2].

وإذا بسفير الأنبياء، وكبير أمناء وحي السماء، جبريل عليه السلام ينزل على أمين الأرض والسماء سيدنا محمد ﷺ بقرآن يتلى إلى يوم القيامة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩].

---

(١) صحيح: رواه البخاري وأحمد والنسائي عن أبي هريرة.
(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٩٣)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٥٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٠).

إذا عرفت حقيقة نفسك، فاشكر ربك، واعبده كما أمرك، وتواضع وتذلل له، واخشع له ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

اللهمَّ إنا نسألك قلوبًا بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك.. اللهمَّ إنا نعوذ بك من درك الشقاء، وسوء القضاء، وجهد البلاء، وشماتة الأعداء.

اللهمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.

اللهمَّ أصلح شباب المسلمين، ونور قلوبهم، واهدهم إلى معالم الأمور، وقهم شر الشياطين يا أرحم الراحمين.. اللهمَّ إنا نسألك أن تجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.. اللهمَّ أصلح نياتنا وذرياتنا وبيوتنا يا أرحم الراحمين و﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من مضلات الفتن ما ظهر وما بطن.. اللهمَّ تول أمرنا، وأحسن خلاصنا، واحفظ أمننا وبلادنا وقرآننا ومساكننا يا ذا الجلال والإكرام.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه، يغفر لكم.. وأقم الصلاة.

الخطبة الثامنة والخمسون

تعرف على الملائكة الأطهار

الحمد لله رب العالمين.. شهدت له بالربوبية جميع مخلوقاته، وأقرت له بالألوهية جميع مصنوعاته.

سبحانه.. سبحانه.. سبحت له السموات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والنجوم والجبال، والشجر والدواب وكثير من الناس.. وكل رطب ويابس.. ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، اللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له في ملكه، ولا شريك له في ألوهيته، ولا شريك له في ربوبيته.. ولا ند له، ولا شبيه له، ولا صاحبة له، ولا ولد له.. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. سبحانه هو الواحد الأحد، الفرد الصمد المتفرد بالتوحيد والتمجيد، وهو المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إلا وأحاط به علمه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا.. محمدًا عبد الله ورسوله إلى خلقه وأمينه على وحيه، أشرف من وطئ الحصى بنعله، بلغ عن ربه ومولاه رسالاته، ونصح له في برياته، وجاهد في الله حق الجهاد، وقال أهل البغي والزيغ والعناد والفساد، حتى قوم المعوج، وأمن الخائف، ونشر الأمن والسلام والأمان في ربوع البلاد.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الطاهرين، وأصحابه المنتخبين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، ومن سار على دربهم، واقتدى بهديهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب النبي المصطفى ﷺ...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، الذي جمعنا في هذا اليوم العظيم، أن يجمع بيننا وبين حبيبنا محمد ﷺ على حوضه، لنشرب من يده الشريفة المبارك شربة هنيئة مريئة، لا نظمأ بعدها أبدًا، حتى ندخل جنة ربنا، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

أولاً في بداية هذا اللقاء المبارك أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، إذ بها تشرف النفس، ويثقل الميزان، ويعلو القدر، ويعظم الجاه، ويحصل القرب من الباري جل شأنه.. ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

أحبتي في الله...

حديثنا اليوم عن عالم من عوالم الكون العظيمة، وعن جند من جنود الله العجيبة صادق الإيمان لا يملك والله إلا أن يحبهم، وينزلهم قدرهم ومكانتهم، ناصروا الدين وحموه، وقاموا بالحق وبذلوه، يصرف الله بهم حادثات البشر، ويسوق سبحانه بأفعالهم الحوادث والعبر.

من سمع عنهم بصدق، لهج لسانه بالتسبيح والتعظيم للذي خلقهم وأبدعهم.

ولكم أن تعجبوا إذا علمتم أنهم في النار.. في النار؟ نعم في النار.. لا تخف وهم في الجنة كذلك.. وهم في السماء.. وهم في الأرض.. وهم عند النطفة في رحم المرأة.. ومع الميت في قبره، وما بينهما في الحياة، هم معه لا يفارقونه هل علمتم من هم هؤلاء؟

إنهم عالم الملائكة.. فأعظم به وربي من عالم.. عالمٌ كريم.. كله طهر وصفاء كرام أتقياء.

من هم الملائكة؟ وما هي مادة خلقهم؟ وما شأنهم في الطعام والشراب؟ وما هي أعدادهم؟ وما أسماؤهم؟ وهل هم ذكور أم إناث؟ وما حكم من يصفهم بذلك؟

هذه الأسئلة كلها سنجيب عنها بمشيئة الله تعالى في هذا اللقاء المبارك، فأعيروني القلوب والأسماع، فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان.

أحبتي الكرام...

الملائكة هم عالم غير عالم الإنس، وعالم الجن.. عالم فيه طهر وصفاء ونقاء.. يعبدون الله حق عبادته ﴿ **لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦].

وقد خلقهم الله ﷻ من النور، أخبرنا بذلك أستاذنا ومعلمنا ﷺ ولو لم يخبرنا لما علمنا.. لأن عالم الملائكة عالم غيبي لا نراه، لأن الله ﷻ لم يعط أبصارنا القدرة على رؤيتهم، ولم يتيسر لأحد من الخلق رؤية ملك من الملائكة على حقيقته إلا حبيبنا ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

قالت عائشة ﵂: رأى رسول الله ﷺ، في صورته التي خلقه الله عليها مرتين[1] . وفي رواية لمسلم أيضًا: كان يأتيه في صورة الرجال وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسد أفق السماء.

أمَّا مادة خلقهم، فقد أخبرنا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ كما في حديث مسلم من حديث عائشة ﵂: «**خُلِقَتِ الْـمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْـجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»[2] .

ولم يبين لنا رسولنا ﷺ أي نور هذا الذي خلقوا منه، ولأجل ذلك لا يجوز لنا أن نخوض في مثل هذا الأمر لمزيد من التحديد، لأنه غيب لم يرد ما يوضحه أكثر من هذا الحديث.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.

وما روى عن عكرمة أنه قال: «خلقت الملائكة من نور العزة»، فلا يجوز الأخذ به.

فالملائكة أجسام نورانية لطيفة، متفاوتون في الخلق والقدر، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [فاطر: ١].

فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، وقد جاء في صفة جبريل عليه السلام أن النبي ﷺ رآه، وله ستمائة جناح، كما في البخاري وجاء في حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّـهِ مِنْ حَمَلَةِ الْـعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ، مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**».

ولا يستوون في الرتبة والمنزلة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، ورأى بعض أهل العلم أن أفضل الملائكة، هم الذين شهدوا مع النبي ﷺ وأصحابه معركة بدر الكبرى، لما في صحيح البخاري من حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْـمُسْلِمِينَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْـمَلَائِكَةِ**». ومقامات الملائكة متفاوتة عند ربهم، ومعلومة، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الصافات: ١٦٤].

أحبتي الكرام...

وقد ظن قوم في الملائكة ظنًا سيئًا، فوصفوهم بما لا علم لهم به، وقالوا: الملائكة إناث، قال الله عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٧، ٢٨].

وقال مخبرًا عن افترائهم: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزخرف: ١٩].

إنها شهادة سوف يحاسبهم الله ﷻ عليها لأن من أعظم الذنوب عند الله ﷻ، القول عليه بغير علم.

وقد ازدادوا كفرًا إلى كفرهم عندما نسبوا الملائكة، الذين ظنوهم إناثًا إلى الله ﷻ، وقالوا عن الملائكة الكرام، أنهم بنات الله.. ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النحل: ٥٧].

ونحن لا نقول كما قال هؤلاء الكافرون، بل نقول فيهم ما قاله ربنا العزيز الغفور - سبحانه وتعالى - ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

فهم ينفذون أوامره الكونية والشرعية.. ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: الملائكة ليسوا ذكورًا، ولا إناثًا، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتوالدون.. لا يجوز وصفهم بذكورة ولا أنوثة، فمن وصفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة كفر هذا العالم الكريم، وهم الملائكة أودع الله ﷻ فيهم قوة تغنيهم عن الطعام والشراب، فلا هم يأكلون.. ولا هم يشربون، وما قصة أضياف إبراهيم عليه السلام منا ببعيد، فهي خير شاهد على ذلك.. قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٨].

أما عن عددهم، فأنى لبشر أن يعدهم، أو يعلم عددهم، وهم جنود من جنود الله؟ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]، ونفي العلم هنا نفي للعلم التفصيلي بأعدادها وصفاتها وخصائصها بقرينة المقام، وإن كان العلم حصل للناس بإعلام من الله ﷻ عن سقر، التي لا تبقي ولا تذر، عليها تسعة عشر،

لكنهم لا يعلمون ما وراء ذلك. وربما يكون قد ذكر عددهم ليتذكر البشر دار العقاب بتوصيف بعض صفاتها، لأن في ذكر الصفة عونًا على زيادة استحضار الموصوف.

وإذا أردتم أن تتخيلوا كثرة عدد الملائكة الكرام، وأنه لا يمكن لأي بشر، أو رسول أو أي مخلوق أن يتوصل إلى عدد الملائكة جملة، فاسمع إلى ما قاله سيد الأولين والآخرين ﷺ عن جهنم: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(١).

سبحان الله.. سبعون ألف زمام، لكل من واحد من السبعين ألف موكل به، سبعون ألف كم يكون عدد هؤلاء الملائكة الذين وكلوا بنا جهنم فقط، إنهم يكونوا على ذلك أربعة مليارات، وتسعمائة مليون ملك.

إن أردتم أن تستدلوا على كثرتهم، وأن عددهم لا يحصى، فاسمعوا كلام الحبيب النبي ﷺ في حديثه عن الإسراء والمعراج، وعن لقائه بخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: «**ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ**»(٢).

وفي السلسلة الصحيحة: «**البيت المعمور في السماء السابعة، يدخله كل يوم ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، حتى تقوم الساعة**»(٣).

تخيلوا كل يوم سبعون ألف ملك من حين أن أوجدهم الله وخلقهم إلى أن تقوم الساعة يا سبحان الله.. حقًا.. وما يعلم جنود ربك إلا هو.

---

(١) رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم عن أنس.

(٣) «السلسلة الصحيحة» رقم (٤٧٧).

أحبتي في الله...

هل ينام هؤلاء الملائكة الكرام؟

إنهم لا ينامون، لأن النوم تابع للكسل والفتور والملل، والسآمة، لكنهم كما وصفهم خالقهم جل وعلا لا يسأمون، ولا يفترون: ﴿ **يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠** ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ومعنى لا يفترون أي لا يضعفون، ولا يدركهم ما يدرك البشر من الضعف الذي يجلب النوم، وقد استدل الإمام السيوطي على أن الملائكة لا ينامون بقوله تعالى: ﴿ **فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ** ﴾ [فصلت: ٣٨].

وإذا سألتم عن عبادتهم، فكما وصفتهم الآيتان السابقتان، وقد سئل قتادة رحمه الله: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي، جعل لهم التسبيح، كما جعل لكم النفس.. فأنفاسهم تسبيح، وتحميد وتهليل وتكبير.

فلله ما أعظم عبادتهم، ديدنهم ذكر الله، وأعظم ذكره التسبيح، لذا وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يملون، وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أي الكلام أفضل؟ قال: «**مَا اصْطَفَى اللَّـهُ لِمَلَائِكَتِهِ، أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ**»(١).

وما أعظم تقربهم بالسجود له سبحانه، فها هي السماء تثقل بسجداتهم للعظيم سبحانه.

قال ﷺ: «**أطت السماء وحق لها أن تئط، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله ويحمده**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٤٩١٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن مردويه والحاكم عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٢٠).

وفي رواية: «**مَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدْرِ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ**».

قال المناوي رحمه الله: أطت: أي صاحت وأنَّت وصوتت من ثقل ما عليها من ازدحام الملائكة، وكثرة الساجدين فيها منهم من الأطيط.

قال ابن الأثير: وهذا مثلٌ وإيذان بكثرة الملائكة، كثرة لا يسعها عقل البشر، وإن لم يكن ثم أطيط، وإنما هو تقريب أريد به تقرير عظمة الله.

وروى ابن عساكر أن في السماء ملائكة قيامًا لا يجلسون أبدًا، وسجودًا لا يرفعون أبدًا، وركوعًا لا يقومون أبدًا، يقولون: ربنا ما عبدناك حق عبادتك[1].

أيها الموحدون الكرام...

أين يسكن الملائكة الكرام؟ الملائكة الكرام مسكنهم السماء، كما في الحديث السابق ولقوله تعالى: ﴿ **تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الشورى: ٥].

ومنهم من يسكن الأرض كالحفظة والكتبة، وغيرهم.

ومنهم من ينزل إلى الأرض بأمر الله عز وجل لتنفيذ مهمات نيطت بهم، ووكلت إليهم.. قال تعالى: ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ** ﴾ [مريم: ٦٤].

ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة كليلة القدر، قال تعالى: ﴿ **لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝** ﴾ [القدر: ٣، ٤].

وهم لا يتقدمون أبدًا بين يدي الله عز وجل لا بقول، ولا بفعل، ولا باقتراح ولا باعتراض، بل جبلوا على الطاعة، وعلى التسبيح وعلى العبادة.

في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا

---

(١) «فيض القدير» (١/ ٦٨٥) للمناوي.

جبريل عليه السلام: «**أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟**»، فنزل قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ [مريم: ٦٤]»[١].

يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة، قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[٢]. أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»[٣]. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله الداعي إلى بابه.. الموفق من شاء إلى صوابه، أنعم بإنزال كتابه، يشتمل على محكم ومتشابه.. نحمده على ما تيسر من أسبابه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. شهادة أرجو بها النجاة من عقابه وعذابه، وأرجو بها نيل جنته وثوابه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، أحرص الناس على ثوابه، وأخوفهم من عقابه.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها الموحدون الكرام...

فإن سألتم عن أسمائهم، فقد ذكر القرآن الكريم بعضهم، ولم يرد إلينا إلا القليل النادر من أسمائهم، وذكر النبي ﷺ بعضهم.. **فمنهم:**

١، ٢ - **جبريل وميكائيل عليهما السلام**: فجبريل عليه السلام هو أمين وحي السماء، الذي أنزله الله عز وجل على جميع الأنبياء والرسل قبل حبيبنا وشفيعنا ﷺ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وأما ميكائيل، فهو الموكل بالقطر (المطر) والنبات، وله أعوان، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

وجبريل هو الروح الأمين المذكور في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

وقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [مريم: ١٧]، والروح هنا هو جبريل عليه السلام.

وقد روى أحمد والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما حديثًا طويلاً، جاء فيه: «أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟ قَالَ عليه السلام: «**مَلَكٌ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّـهِ عز وجل مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ أَوْ فِى يَدِهِ مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّـهُ**».

قَالُوا: فَمَا هَذَا الصَوْتُ الَّذِى نَسْمَعُ؟

قَالَ: «**صَوْتُهُ**». قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِىَ الَّتِى نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِىٍّ إِلاَّ لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْـخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: «**جِبْرِيلُ** عليه السلام».

قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِى يَنْزِلُ بِالْـحَرْبِ وَالْـقِتَالِ وَالْـعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلُ الَّذِى يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْـقَطْرِ لَكَانَ. فَأَنْزَلَ اللَّـهُ عز وجل: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧]» (1).

كذلك من الملائكة:

٣ - **إسرافيل** عليه السلام: وهو الموكل بالنفخ في الصور، وقد كان صلى الله عليه وسلم يستفتح

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٥٣)، و«الصحيحة» (١٨٧٢).

في صلاته من الليل، فيقول: «**اللَّـهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ...**»[(١)].

وهؤلاء الثلاثة يسمون ملائكة الحياة.. ومنهم:

٤ - **مالك**: وهو خازن النار، قال القوي القهار: ﴿ **وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾** ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث طويل، قال فيه: «.. **فحانت الصلاة، فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة، قال قائل: يا محمد، هذا مالك، صاحب النار، فسلم عليه، فالتفت إليه، فبدأني بالسلام..**»[(٢)] ومنهم:

٥ - **رضوان**: قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: «خازن الجنة ملك يقال له: رضوان، جاء مصرحًا به في بعض أحاديث النبي ﷺ»[(٣)]. ومنهم:

٦، ٧ - **منكر ونكير**: وهما ملكا السؤال في القبر، سماها النبي ﷺ في حديث الترمذي وابن حبان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا قُبِرَ الْـمَيِّتُ - أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْـمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ...**»[(٤)]. الحديث.. ومنهم:

٨، ٩- **هاروت وماروت**: قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ويبدو من السياق القرآني أن رب العزة والجلال بعثهما فتنة وابتلاء واختبار للناس في فترة من الفترات، ولم يأت عنهما خبر غير ما ذكر في القرآن.

وأما من عدّ رقيبًا وعتيدًا من الملائكة، والتحقيق أن رقيبًا عتيدًا من صفات

---

(١) رواه مسلم في كتاب «صلاة المسافرين» باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٧٠).

(٢) رواه مسلم في كتاب «الإيمان» باب: ذكر المسيح ابن مريم (١٧٢).

(٣) «البداية والنهاية» (١/ ٥٣) لابن كثير.

(٤) حسن: رواه الترمذي وابن حبان، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٤)، و«الصحيحة» (١٣٩١).

الملكين الذين يقومان بتسجيل ما يتأتى عن الإنسان وما يصدر منه من حسنات وسيئات.

وأما من يطلق على ملك الموت (عزرائيل) فلم يثبت بقرآن ولا سنة صحيحة، لكنه نقل عن أشعث بن سليم(١) .

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، اللهم ثبت الإيمان في قلوبنا، وثبت قلوبنا على دينك وعلى طاعتك يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ كن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، ووفق ولاة أمورنا إلى ما تحبه وترضاه يا رب العالمين اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

اللهم اهدِّ شبابنا وشباب المسلمين.. اللهمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ. وأقم الصلاة.

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب «العظمة» رقم (٤٤٣)، وراجع «البداية والنهاية» (١/ ٥٠).

الخطبة التاسعة والخمسون

تعرف على صفات الملائكة وأخلاقهم

الحمد لله.. العلي المجيد.. الولي الحميد.. المتوحد في كبريائه من غير تكييف ولا تحديد.. خلق الخلائق.. وصورهم فأحسن صورهم، وبشرهم في الجنة بالنعيم والتخليد.. وهداهم إلى معالم دينه، ومد لهم موائد كرمه في دار لا تبلى ولا تبيد.. وألزمهم شكره، وأظهر لهم من فضله المزيد

يا واحدًا في ملكه ماله ثاني ... يا من إذا قلت: يا مولاي لباني

أنساك تذكرني أعصاك تسترني ... فكيف أنساك يا من لست تنساني

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. ليس له ند ولا ضد، وليس له شبيه ولا مثيل له.. ولا صاحبة له.. ولا ولد له.. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. ملك فقدر، وبطن فخبر، وعلا فقهر إذا قضى فلا راد لقضائه.. وإذا حكم فلا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. الداعي إلى دار السلام، نبي جاءت لدعوته الأشجار، وشق له القمر، وسبح بكفه الحجر.. جاءنا بقرآن كالشمس وضحاها، وسنة كالقمر إذا تلاها، فمن عمل بها، عاش في ضوء النهار إذا جلاها، ومن أعرض عنها تخبط في ظلمة الليل إذا يغشاها.

سيدي يا رسول الله..

صلت عليك ملائك الرحمن

وسرى الضياء بسائر الأكوان

لمّا طلعت على الوجود مزودًا

بحمى الإله وراية القرآن

صلى عليك الله يا علم الهدى.. ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم.

أما بعد...

حياكم الله جميعًا، أيها الإخوة الفضلاء، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، الذي جمعنا في هذا البيت المبارك على طاعته أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة ﷺ في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

أحبتي في الله...

في بداية هذا اللقاء المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإن المتقين قد فازوا وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وموعدنا اليوم مع «**أخلاق الملائكة الكرام وصفاتهم**».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والنفع والسداد، وأن يعلمنا ما جهلنا وأول هذه الصفات وتلك الأخلاق:

١ - أنهم كرام بررة:

أعظم صفة وصف الله ﷻ بها الملائكة أنهم كرام بررة، قال تعالى: ﴿ بِأَيۡدِي

سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٥، ١٦]، والمعنى: أن القرآن الكريم بأيدي سفراء بررة فالملائكة سفراء من الله ﷻ إلى الأنبياء والرسل.

قال الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير: سفرة هم الملائكة.

«وكرام بررة» أي أخلاقهم كريمة شريفة، وأفعالهم بارة طاهرة كاملة.

ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد ينبغي أن يتخلق بأخلاق الملائكة الأطهار الأبرار، الذين يحملون القرآن، فيكون مثلهم بارًا كريمًا طاهرًا، على خلق، وأن يعي قدر هذه النعمة.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**»[١].

٢ - ومن أجل صفات الملائكة الكرام: الحياء:

والحياء خلق كريم نبيل، يثمر كل الفضائل، وضياع الحياء شر وبيل، يثمر كل الرذائل، ولذا قال النبي ﷺ: «**إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»[٢]. لكن من أين عرفنا أن الملائكة تتصف بصفة أو بخلق الحياء؟ من أستاذ البشرية ومعلم الإنسانية ﷺ ففي حديث مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ كان مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر رضي الله عنه فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر رضي الله عنه فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان بن عفان رضي الله عنه فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل، فتحدث فلما خرج، قالت عائشة رضي الله عنها: دخل أبو بكر يا رسول الله ، فلم تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له، ولم تباله، ثم

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٣٠)، و«السلسلة الصحيحة» (٦٨٤).

دخل عثمان رضي الله عنه فجلست وسويت ثيابك، فقال: «**أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْـمَلاَئِكَةُ؟!**»[١].

يقول الإمام النووي رحمه الله **في** شرحه: وفيه فضيلة ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وجلالته عند الملائكة، وأن الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة[٢].

٣ - ومن صفاتهم: خوفهم من الله عز وجل:

قال الله عز وجل: ﴿ **وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ** ﴾ [الرعد: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠** ﴾ [النحل: ٥٠].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ الله عز وجل، إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام، فإذا جاءهم جبريل، فزع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، قال: فينادون الحق الحق».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل** عليه السلام **كالحلس البالي من خشية الله تعالى**»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: «**مَا لِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكاً قَطُّ؟ قَالَ: مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ**»[٤].

سبحان الله.. جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان من خشية الله! يبكيان خوفًا من عذاب الله!.

فما بال القلوب قد قست؟ ما بال الدموع قد جمدت؟ ما بال القلوب عن ذكر

---

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(٢) «صحيح مسلم» بشرح النووي.

(٣) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٨٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٦٤).

(٤) إسناده جيد: رواه أحمد، قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٢٦٢): إسناده جيد.

ربها غافلة؟ فنعوذ بك يا رب من بدن لا ينصب بين يديك، ونعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك، ونعوذ بك من عين لا تبكي من خشيتك.. ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦].

٤ - الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنسان:

فعن جابر الأنصاري ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث، فغلبتنا الحاجة، فأكلنا منها، فقال ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْـمُنْتِنَةِ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ تَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الإِنْسُ**»[(١)].

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أهدي له طعام أصاب منه، ثم بعث بفضله إلى أبي أيوب الأنصاري ﷺ فأهدي له طعام فيه ثوم، فبعث به إلى أبي أيوب، ولم ينل منه شيئًا، فلم ير أبو أيوب أثر النبي ﷺ في الطعام، فأتى به رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك، فقال: «**إِنَّمَا تَرَكْتُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ**». فقال أبو أيوب: وأنا أكره ما تكره، وفي رواية أنه قال: «**إِنِّى يَأْتِينِى الْـمَلَكُ**»[(٢)].

٥ - الملائكة لا يدخلون بيتا فيه صورة، ولا كلب:

فقد اشترت السيدة عائشة ﷺ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْـبَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِى وَجْهِهِ الْـكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّـهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّـهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ**». قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». وَقَالَ: «**إِنَّ الْـبَيْتَ الَّذِى فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ الْـمَلاَئِكَةُ**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم واللفظ له، ورواه البخاري وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وفي حديث أبي طلحة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «لاَ تَدْخُلُ الْـمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَصَاوِيرُ»[1].

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: واعد رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام أن يأتيه، فتأخر عليه، حتى اشتد ذلك على رسول الله ﷺ فخرج فلقيه جبريل عليه السلام، فشكا إليه، فقال له: «إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ»[2].

أحبتي الكرام...

٦ - والملائكة الكرام قد أعطاهم الخالق الأعظم - جل في علاه - القدرة أن يتشكلوا بغير أشكالهم.. لكن بصورة جميلة حسنة:

فقد جاء جبريل عليه السلام إلى مريم في صورة بشـر، قال الله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم: ١٧، ١٨].

وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام جاءته الملائكة في صورة بشرية، ولم يعرف أنهم ملائكة إلا بعد أن كشفوا له عن حقيقتهم، وبينوا له المهمة التي جاءوا من أجلها.. ولو كان إبراهيم يعرفهم ما قدم له الطعام.

وجاءوا إلى نبي الله لوط في صورة شباب حسان الوجوه، وضاق بهم لوط، وخشي عليهم من قومه، فقد كانوا قوم سوء، يفعلون السيئات، ويأتون الذكران من العالمين، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [هود: ٧٧].

يقول ابن كثير رحمه الله: «تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحانًا واختبارًا حتى قامت على قوم لوط الحجة، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر».

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

٧ - ومن صفاتهم: الأدب مع الله ﷻ:

انظروا إلى تأدبهم مع مولاهم، حيث أمرهم بالسجود لآدم فسجدوا كما أمرهم.. وفي مسألة تعليم آدم الأسماء.. قالوا لربنا ﷻ: ﴿ **قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال الله في حقهم: ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ﴿٢٦﴾ **لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

وعن جُبير بن مطعم رضي الله عنه **أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ أَيُّ الْـبُلْدَانِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: «لاَ أَدْرِي». فَلَمَّا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ أَيُّ الْـبُلْدَانِ شَرٌّ؟». قَالَ: لاَ أَدْرِي، حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي ﷻ. فَانْطَلَقَ جِبْرِيلُ عليه السلام ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّـهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَيُّ الْـبُلْدَانِ شَرٌّ؟ فَقُلْتُ: لاَ أَدْرِي وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي ﷻ أَيُّ الْـبُلْدَانِ شَرٌّ فَقَالَ: «أَسْوَاقُهَا»**[1].

فهذا أدب عظيم من النبي ﷺ ومن جبريل عليه السلام، وهذا هو الواجب على الإنسان، إذا سئل عن شيء لا يعلمه أن يقول: الله أعلم، أو لا أدري.

وفي بعض الروايات أن سيدنا جبريل عليه السلام نزل على الحبيب المصطفى ﷺ بقوله تعالى: ﴿ **خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ** ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فسأله عن معناها، فقال: لا أدري، حتى أسأل رب العزة والجلال، فطاف بأجنحته حول السبع الطباق، ثم نزل عليه، وقال له معناه: «**أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتحلم على من جهل عليك**»[2].

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك»، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي قاله السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٩٢).

فأين نحن من تلك الأخلاق الربانية، رسول الله ﷺ يسأل جبريل عن الآية فمن أدبه مع مولاه، أن يرجع إليه، كيف يفتي رسول الله ﷺ، قبل أن يستفتي مولاه؟! فيخبره بهذا المعنى الذي يفيض جمالاً وكمالاً وخلقًا ونبلاً وكرمًا.

وتأملوا من أعظم الناس بعد نبينا محمد ﷺ؟

إنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه يسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل؟ فماذا حدث؟ هل أجابه وهو من هو؟ لا والله ما أجاب الرجل، بل توقف قائلاً: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم [(1)].

لقد شهد التنزيل، وعاين الرسول ﷺ بل إنه أعظم رجل بعد النبيين ومع ذلك تأدب مع الله، وتأدب مع كلام الله.. وقال هذا الكلام الطيب.

أيها الأحبة الكرام...

٨ - ومن صفات الملائكة:

أنهم منظمون في كل شئونهم: منظمون في عبادتهم.. منظمون في كل أحوالهم.. وفي كل حياتهم، لذا حثنا النبي ﷺ على أن نقتدي بهم، ونتمثل أفعالهم، فقال فيما رواه مسلم يومًا لأصحابه: «**أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْـمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟**». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْـمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**» [(2)].

إنهم قالوا مبينين أحوالهم أو صفاتهم: ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾** ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦].

وقد أخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْـمَلاَئِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا**

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي» رقم (١٥٩٦) للخطيب البغدادي.

(٢) رواه مسلم عن جابر بن سمرة.

مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا»[١].

وقال تعالى واصفًا إياهم: ﴿ **وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝** ﴾ [الصافات: ١]، أي الملائكة مصطف بعضها مع بعض، وهذا الوصف كناية عن استعدادهم لامتثال ما يلقي إليهم من أوامر الذات الإلهية.

وفي يوم القيامة يأتون كذلك صفوفًا منتظمة، قال تعالى: ﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝** ﴾ [الفجر: ٢٢]، ويقفون صفوفًا بين يدي الله ﷻ منتظمة ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا** ﴾ [النبأ: ٣٨].

والروح هو سيدنا جبريل عليه السلام.

وتأملوا دقة تنفيذهم لأوامر مولاهم، ففي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[٢].

٩ - ومن صفاتهم أن الله ﷻ، كما أعطاهم القدرة على التشكل، أعطاهم سرعة عظيمة في الحركة والانتقال:

ما هي أعظم سرعة عرفها البشر في هذه الدنيا؟

أعظم سرعة عرفها البشر هي سرعة الضوء، فهو ينطلق بسرعة (١٨٦) ألف ميل في الثانية الواحدة.. أما سرعة الملائكة فتفوق ذلك، وهي سرعة لا تقاس بمقاييس البشر، لقد كان السائل يسأل رسول الله ﷺ عن المسألة، فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي من رب العزة والجلال.. واليوم لو وجدت المراكب الفضائية التي تسير بسرعة الضوء، فإنها تحتاج إلى (مليار) سنة ضوئية، حتى تصل إلى أحد الكواكب الموجودة في آفاق هذا الكون الواسع.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.. أو كما قال: ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.. أحمده على ما هدانا له من أسباب الخير الموفور.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، الحكيم الصبور.. شهادة تقر بها العيون، وتنشرح بها الصدور.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، نبي أثنى الله عليه في كتابه بما يشفي الصدور، وخصه بالمقام المحمود، واللواء المنشور.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم النشور.

أما بعد...

أيها المسلمون.. أحباب رسول الله ﷺ..

هل تموت الملائكة؟

إنَّ الله ﷻ كتب البقاء لنفسه، وكتب الفناء على جميع خلقه فلا أحد منهم يبقى، فكل مخلوق سيموت حتمًا.. قال تعالى: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [القصص: ٨٨].

فالملائكة تموت كما يموت الإنس والجن، وقد جاء ذلك صريحًا في قوله تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨** ﴾ [الزمر: ٦٨]. قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيرها:

هذه هي النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله، كما جاء مصرحًا به في حديث الصور

المشهور، ثم يتبقى أرواح الباقين، حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم، الذي كان أولاً، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، ويقول: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، فلا يجيب أحد، فيجيب نفسه بنفسه، فيقول: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾ [غافر: ١٦، ١٧]. ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل.

وذكر ابن جرير بإسناده عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٦٨]، فقيل: من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله ؟ قال: «جبرائيل، ومكائيل، وملك الموت، فإذا قبض أرواح الخلائق قال: يا ملك الموت، من بقي من خلقي؟ وهو أعلم.. يقول: سبحانك تبارك ربي ذا الجلال والإكرام، بقي جبريل وميكائيل، وملك الموت.. يقول: يا ملك الموت، خذ نفس ميكائيل، فيقع كالطود العظيم، ثم يقول: يا ملك الموت، من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي ياذا الجلال والإكرام، بقي جبريل، وملك الموت.. حتى يقول لملك الموت: يا ملك الموت، مت، فيموت»[(١)].

الله نسأل أن يعلمنا ما جهلنا، وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات.

اللهمَّ لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته.. اللهمَّ أمنّا في أوطاننا، وأصلح اللهمَّ ولاة أمورنا، ووفقهم لما تحب وترضى.. اللهمَّ ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واجعل هذا البلد سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

اللهمَّ اجعلنا ممن يتعظون بمواعظك، وممن يقفون عند حدودك، وممن يخشونك في السر والعلانية يا ذا الجلال والإكرام.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣١).

اللهمَّ لا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما فعل السفهاء منا.. ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.

الخطبة الستون

تعرف على: علاقة الملائكة ببني آدم

الحمد لله.. الذي أذعن له من في السموات والأرض بالسجود، البارئ المصور، الذي أخرج الخلائق من العدم إلى الوجود.. الأول والآخر الباعث الناس ليوم مشهود..

الله ربي لا أريـــد ســـواه هــل في الوجــود حقــيقة إلاه

الطــير ســبحه والــوحش مجــده والمــوج كــبره والحــوت ناجــاه

والــنمل تحت الصخور الصم قدسه والــنحل يهــتف حمــدًا في خلايــاه

والــناس يعـصونه جهـرًا فيسترهم والعــبد ينــسى وربي لــيس ينــساه

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. لا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وقطر الأمطار وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل، وأشرق عليه النهار، لا تتوارى منه سماء سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبل من جبلًا.. لا تخفى عنه خافية ولا تغيب عنه غائبة.. لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ومعلمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد عبده ورسوله.. نبي اختاره الله وشرفه على كل موجود، وخصه الله بالشفاعة العظمى، ووعده المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه الركع السجود، الوافين بالعقود، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.. صلاة تفتح لنا بها أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها يا ربنا وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها الأحبة في الله...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأبشركم بحديث المصطفى ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْـمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّـهُ لَهُ فِي الْـجَنَّةِ، نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»[(١)].

وأسأل الله جل في علاه الذي جمعنا في بيت من بيوته الطاهرة أن يجمعنا مع أستاذنا ومعلمنا وحبيبنا محمد ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله...

في بداية هذا اللقاء الإيماني المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﻷ تمسكوا بها شدة ورخاء، سراء وضراء، واعمروا بها أوقاتكم صباحًا ومساء، فبها تدفع المحن والبلايا، والفتن والرزايا، وبها تبوأ الجنان عاقبة وجزاء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

هيا بنا لنذهب سويًا إلى جامعة العقائد الإسلامية.. لنتلقى درسًا من دروس العقيدة الإسلامية، عن هذا العالم الغيبي، الذي آمنا به، وصدقنا به، ولم نره.. إنه عالم الملائكة.. عالم النقاء.. عالم الصفاء.

هذه الأجسام النورانية اللطيفة، ما علاقتهم بالإنسان؟ ما علاقتهم ببني آدم؟.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

نعيش اليوم مع علاقة الملائكة ببني آدم منذ أن وجدوا في هذه الدنيا، وحتى تنتهي حياتهم.. علاقتهم منذ وجود أبي البشرية آدم عليه السلام، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فما هي علاقة هذا العالم بعالم الإنسان؟

إنها علاقة منذ بداية الخلق، بل قبل أن يخلق الله عز وجل عالم الإنسان الذي كان أبوهم آدم عليه السلام، وأمهم حواء.. فقد سألوا ربهم ومولاهم عن الحكمة التي سيخلق من أجلها هذا الإنسان؟ ولأنهم قرأوا في اللوح المحفوظ ما سوف يقع منه - أي من بني جنسه - من سفك للدماء، وعصيان، وفسوق وكفر، وغير ذلك.. وقد سجل القرآن الكريم ذلك في قوله سبحانه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ [البقرة: ٣٠].

سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة من وراء هذا الخلق، فكأنهم قالوا: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفعل كذا وكذا، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، ولا يصدر منا شيء من ذلك، فهلا كان الاقتصار علينا؟ وليس قولهم هذا من باب تزكية النفس.

فقال الله عز وجل لهم مجيبًا عن هذا السؤال: ﴿ **إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٣٠].

فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد فيهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد، والزّهاد، والأولياء، والأبرار، والمقربون، والعلماء، العاملون، والخاشعون والمحبون له سبحانه، المتبعون رسله عليهم السلام.

أحبتي في الله...

إذن أول علاقة لهذا العالم بالإنسان: سؤالهم عن الحكمة من وراء إيجاده في هذه الحياة الدنيوية؟

ثانيًا: سجودهم له بأمر من الله ﷻ:

وهذه كرامة عظيمة من الله ﷻ لآدم عليه السلام امتن الله ﷻ بها على ذريته فقد كرمه الله ﷻ حين خلقه بيده، وكرمه حين نفخ فيه من روحه، وكرمه حين أسجد له الملائكة فقد صدر المرسوم الإلهي للملائكة الكرام بأن يسجدوا لآدم، فسجد له الملائكة.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾** ﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ** ﴾ [الكهف: ٥٠].

والملائكة الكرام قبل أن يؤمروا بالسجود لآدم عليه السلام، لما نفخ الله فيه الروح فبلغت الروح في رأسه، عطس، فلقنته الملائكة درسًا، بأن يحمد الله ﷻ **وهذه هي الثالثة: توجيه الملائكة وتلقينها دروسًا لآدم:**

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما بلغ الحين، الذي أريد أن ينفخ الروح، دخل الروح في رأسه، فعطس، فقالت له الملائكة: قل: الحمد لله، فقال الله له: رحمك ربك.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لما نفخ في آدم الروح، فبلغ الخياشيم، عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال الله تبارك وتعالى: يرحمك الله**»[(١)].

وأما التوجيه الثاني: فهو تحية الإسلام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خَلَقَ اللَّـهُ ﷻ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**

(١) صحيح: رواه الترمذي والحاكم (٧٧٩٢)، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، وإن كان موقوفًا فإسناده صحيح (٤٧١٨).

طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ، قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْـمَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّـهِ فَزَادُوهُ، وَرَحْمَةُ اللَّـهِ» (١).

فما أعظمها والله من تحية.. وهذا أول مشروعية السلام وتخصيصه، لأنه فتح لباب المودة، وتأليف لقلوب الإخوان، المؤدي إلى استكمال الإيمان.. فقد قال ﷺ: **«لاَ تَدْخُلُوا الْـجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»** (٢).

أحبتي في الله...

ومن علاقة هذا الخلق العظيم، وهم الملائكة الكرام، أنهم:

٤ - غسلوا أبونا آدم وأناس من ذريته:

آدم عليه السلام، خلقه الله بيده، وأسكنه جنته، وأسجد له ملائكته، ومع ذلك توفاه الله عز وجل.. لكي يعلم الخلائق أن الموت سيف مصلت على رقاب الخلائق، لا يترك نبيًا، ولا وليًا.. لكي يعلمنا أن البقاء الأبدي له وحده، وأن الفناء مقرون بخلقه والليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال لابد من دخول القبر.

لما مات آدم، وتوفاه الله عز وجل ماذا حدث؟ من الذي سيغسله، ومن الذي سيلحده؟ يخبرنا الحبيب النبي ﷺ بما حدث، فيقول: **«لما توفي آدم، غسلته الملائكة بالماء وترًا، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم في ولده»**(٣).

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: إنَّ آدم لما حضره الموت، قال لبنيه: أي

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه الحاكم (٤٠٦٢) وصححه الألباني.

بني إني أشتهي من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه.. فقالوا لهم: يا بني آدم، ما تريدون، وما تطلبون؟ قالوا: أبونا مريض، واشتهى من ثمار الجنة، فقالوا: ارجعوا، فقد قضى أبوكم، فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال: إليك عني، فإنما أوتيت من قبلك، فخلي بيني وبين ملائكة ربي ﷻ، فقبضوه، وغسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له، ولحدوه، وصلوا عليه ثم أدخلوه قبره، فوضعوه فيه، ثم حثوا عليه - أي التراب - ثم قالوا: يا بني آدم، هذه سنتكم[١].

لكن هل غسلت الملائكة أحدًا من بني آدم غير آدم عليه السلام؟

لقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة الكرام، قامت بتغسيل شهيد من شهداء أمة الحبيب محمد ﷺ ومن أصحابه الكرام.. أتدرون من هو؟

إنه الصحابي الجليل [حنظلة بن عامر] رضي الله عنه الذي استشهد في غزوة أحد وسمي بغسيل الملائكة.. لما وقع شهيدًا، قال ﷺ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ تَغْسِلُهُ الْـمَلاَئِكَةُ**».

فسألوا صاحبته - أي زوجته - فقالت: إنه لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول الله ﷺ: «**لِذَلِكَ غَسَلَتْهُ الْـمَلاَئِكَةُ**»[٢].

أيها الأحبة الكرام...

وعلاقة الملائكة الكرام بابني آدم وثيقة، فمن يوم أن يمر على النطفة في الرحم ثنتان وأربعون ليلة، والله ﷻ يبعث إليها ملكًا يصورها، ويخلق سمعها وبصرها وجلدها، ولحمها وعظمها.. ثم يقول الملك: أي ربِّ، أذكر أمر أنثى؟ فيقضي

---

(١) صحيح الإسناد، رواه الحاكم وصححه رقم (٣٩٦٣) (ج ٩/ ٢٤٩)، وصحح إسناده ابن كثير «في البداية والنهاية» (١/ ١١٠).

(٢) حسن: رواه الحاكم (٤٩٠٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (١١/ ٢٥٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٦) (ج ١/ ٦٤٥).

ربك ما شاء، ويكتب الملك[١].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّـهُ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ** - أي الملك -: **اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ**»[٢].

وفي بعض الآثار الإلهية: أن الله تعالى يقول: «**يا ابن آدم، لقد جعلت لك قرارًا في بطن أمك، وأغشيت وجهك بغشاء حتى لا تؤذيك رائحة الطعام، وجعلت لك متكئًا عن يمينك، ومتكئًا عن يسارك، فأما الذي عن يمينك فالكبد، وأما الذي عن يسارك فالطحال، وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك فهل يقدر على ذلك أحدٌ غيري؟ فلما أن تمت مدتك، أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام** - إذًا هناك ملائكة موكلة بالأرحام، ماذا يفعل الملك؟ **فأخرجك على ريشة من جناحه** كيف كان حالك؟ **لا لك سنٌ تقطع، ولا يدٌ تبطش، ولا قدمٌ تسعى بها، فأنبعت لك عرقين رقيقين في صدر أمك، يجريان لبنًا خالصًا، حارًا في الشتاء، باردًا في الصيف، حتى إذا قوي ظهرك، واشتد أزرك، بارزتني بالمعاصي، ولم تستح مني، ومع هذا إن تبت إليَّ قبلتك**».

إذن هناك ملائكة موكلة بالإنسان في عالم الأرحام، ذلكم العالم الضيق، لتتعرف على كيفية الخلق الإلهي، هذا الكائن العجيب.. خلقنا الله في الأرحام، ووكل بنا ملائكة.

أين صنعت هذه الأرحام؟ أهي من صنع اليابان؟ أم صنعت في ألمانيا؟ لا هذه ولا تلك وإنما هي مكتوب عليها: كن فيكون، من طراز كن فيكون.. الماركة التي كتبت عليها: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

سبحانك يا قادر.. يا خالق يا من تقول للشيء: كن فيكون.. يا من تنزهت عن الشبيه ذاته، وعن الأغيار صفاته.

يا من هو بالبر موصوف، وبالإحسان معروف.

أيها الموحدون الكرام...

وتلازم الملائكة الكرام هذا الإنسان بعد أن يوجد على هذا الكوكب الأرضي، يقترن به ملك وشيطان، فيكون معه قرين من الملائكة، وقرين من الجن، ففي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْـجِنِّ**».

قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**وَإِيَّاىَ إِلاَّ أَنَّ اللَّـهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ**»(١).

وهذا القرين يختلف عن الحفظة، فالقرين الملائكي، والآخر الجني، يتناوبان هذا الإنسان، فهذا يوسوس له بالخير، وذاك يوسوس له بالشر ويحثه عليه، قال ﷺ: «**إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلَكِ لَـمَّةً، فَأَمَّا لَـمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْـحَقِّ، وَأَمَّا لَـمَّةُ الْـمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْـخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْـحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّـهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّـهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّـهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾** [البقرة: ٢٦٨]»(٢).

والملائكة تسجل على العباد أعمالهم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝** ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

---

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(٢) ضعيف: رواه الترمذي والنسائي وغيرهما وضعفه الألباني.

وقد وكل مولانا سبحانه وتعالى بكل إنسان ملكين حاضرين لا يغيبان عنه، ليحصيا عليه كل أقواله وأفعاله.. قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

قال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير، وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة، قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى، نهاه أن يكتبها، وإن أبى، كتبها[١].

وقال الحسن البصري رحمه الله بعدما تلا قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾: «يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان: أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك، فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك، فيحفظ السيئات، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت، طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]. ثم يقول الحسن: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك»[٢].

وقد ذكر عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاووس، أنه قال: يكتب الملك كل شيء، حتى الأنين، فلم يأن الإمام أحمد حتى مات رحمه الله.

يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْـخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[٣]، أو كما قال: ادعوا الله.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٩٩).

(٣) حسن: رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥١٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي خلق فأبدع، وحكم فشرع، وخفض من خلقه من شاء ورفع. وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. أكرم من أعطى، وأحكم من منع. وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبده ورسوله.. الشافع المشفع، صلِّ اللهم وسلم عليه وعلى أصحابه السجد الركع، ومن تبعهم بإحسان، وإفضال إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الموحدون الكرام..

ما زلنا مع الملائكة الكرام، وعلاقتهم ببني الإنسان، فهم حراس عليهم، يحفظونهم قال تعالى: ﴿ **لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ** ﴾ [الرعد: ١١].

قال ابن كثير رحمه الله: أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل، وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال، يكتبان الأعمال.

وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وآخر من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل[١] .. كما جاء في الحديث الصحيح: **«يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»**[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣٨).

(٢) رواه البخاري وغيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ملائكة يحفظونه من بين يديه، ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله، خلَّوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك: وراءك، إلا شيء يأذن الله فيه، فيصيبه.

وهناك ملك دائمًا قابض على ناحية كل واحد من بني آدم، فإذا تواضع لله رفعه وإن تكبر، خفضه، قال النبي ﷺ: **«مَا مِنْ آدَمِيٍّ إلا فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حِكْمَتَهُ، وَإِذَا تَكَبَّرَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حِكْمَتَهُ»** [1]. والحكمة: هي ما يسمى باللجام، ورفعها كناية عن رفع قدره ومنزلته.. ووضعها كناية عن إذلاله، وتنكيس رأسه.

أحبتي في الله...

والملائكة الكرام يستغفرون لمن يزور المرضى، ويستغفرون لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟** ﴾ [غافر: ٧]، وقال: ﴿ **وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ** ﴾ [الشورى: ٥].

وقد جاء عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً، إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْـجَنَّةِ»** [2].

ويدعون للمتصديقين المنفقين.

---

(١) حسن: رواه الطبراني عن ابن عباس والبزار عن أبي هريرة، وحسنه الهيثمي في «المجمع».

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤٧٦)، و«المشكاة» (١٥٥٠).

قال ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْـعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّـهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّـهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(١).

وإذا أراد الإنسان أن يخرج من بيته، ابتدره ملك وشيطان، كل واحد منهما معه راية، فأي الرايتين تحب أن ترفع لك؟ أتحب راية الملك؟ أم راية الشيطان؟ قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ خَارِجٍ يَخْرُجُ - يَعْنِي - مِنْ بَيْتِهِ إِلاَّ بِيَدِهِ رَايَتَانِ: رَايَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، وَرَايَةٌ بِيَدِ شَيْطَانٍ، فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبُّ اللَّـهُ ﷻ اتَّبَعَهُ الْـمَلَكُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الْـمَلَكِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِطُ اللَّـهَ، اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِرَايَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ**»(٢). ارفع راية الطاعة، يرفع لك الملك رايته.

والملائكة الكرام علاقتهم ببني آدم وثيقة حتى ينتهي أجله على وجه هذه البسيطة فإذا انتهى أجله، وجاء موعد لقائه بربه، جاءت إليه الملائكة لتنزع روحه من جسده، ويرأسهم ملك الموت: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١]. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]. إنهم ينزعون أرواح المؤمنين وينزعون أرواح المجرمين الكافرين، ينزعون أرواح الأبرار.. وينزعون أرواح الفجار.. أرواح الفجار ينزعونها نزعًا شديدًا عنيفًا بلا رفق ولا هوادة.. نسأل الله أن يسلمنا وإياكم.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠].

أما الأبرار.. أما أهل الإيمان والتوحيد - جعلني الله وإياكم منهم - فإن الملائكة تنزع أرواحهم نزعًا رفيقًا بعدما تبشرهم بما أعده الله لهم من النعيم المقيم ﴿ إِنَّ

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده».

ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۞ ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْـمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْـمَلاَئِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْـجَسَدِ الطَّيِّبِ اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلاَ يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُتفْتَحُ لَهَا - أما النفس الخبيثة قالوا لها: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْـخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْـجَسَدِ الْـخَبِيثِ اخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ فَلاَ يَزَالُ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَلاَ يُفْتَحُ لَهَا...»[1].

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، وحزبك المفلحين.. وعبادك الصالحين.. اللهمَّ أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.. يا خير المسئولين يا خير المعطين.. ويا خير الرازقين.. اللهمَّ املأ وجوهنا منك حياء، وقلوبنا منك حبًّا وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا من خدمتك يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم.. وأقم الصلاة.

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» وابن ماجه في «سننه»، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٣٧).

الخطبة الحادية والستون

علاقة الرسول بجبريل عليه السلام

الحمد لله.. فاطر السموات والأرض، جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك له، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم.

أحمده حمدًا كثيرًا طيبًا على نعمه التي توالت وكثرت، وأسأله لي ولكم العافية وأن يختم لنا بخير إذا دنت الوفاة وحضرت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. العظيم الذي جلت عظمته وتقدست.. القدير الذي قهرت قدرته الجبابرة وقصمت.. العزيز الذي إذا غضب تلاطمت البحار وزفرت، وتساقطت النجوم لهيبته وانتثرت وخسفت الشمس والقمر، وكادت تنهد لولا كلمة من الله سبقت.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، الذي تمت ببعثته النبوة وختمت، لما تلا قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقوله على لسان عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨]. فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّـهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي». وَبَكَى، فَقَالَ اللَّـهُ عز وجل: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّـهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ». ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى: ٥].

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم

الدين، صلاة تفتح لنا يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولي، ونعم النصير..

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا اللقاء المبارك أن يجمعنا مع سيد الدعاة حبيبنا المصطفى ﷺ في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحبتي في الله...

نحن اليوم على موعد بلقاء، ولقاؤنا ما زال موصولاً مع عالم الطهر والصفاء والنقاء، مع الكرام الأتقياء، الذين يعبدون الله حق عبادته، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.. مع عالم الملائكة الأطهار.. وسوف يكون حديثنا عن هؤلاء الكرام بعنوان [علاقة الرسول العظيم بجبريل عليه السلام] فأعيروني القلوب والأسماع، فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان.

الملائكة الكرام كانوا سفراء الله تعالى إلى رسله وأنبيائه عليهم السلام، فكان سيدنا جبريل عليه السلام يأتي الأنبياء والرسل بالوحي من الله عز وجل.. فهو الذي نزل عليه في غار حراء لأول مرة، يذكر النبي ﷺ هذا الموقف، فيقول: «فَجَاءَنِي الْـمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**».

قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي (أي ضمني وعصرني) حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْـجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْـجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ **ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥** ﴾ [العلق: ١ – ٥].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْـخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، وَاللَّـهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّـهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْـكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْـمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْـحَقِّ»[(١)]. ثم أخذته إلى ورقة بن نوفل، وكان ابن عمها، وكان من أهل الكتاب، فلما سمع من الرسول ﷺ قال له: «هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّـهُ عَلَى مُوسَى عليه السلام».

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: المراد بالناموس هنا هو جبريل عليه السلام.

إذًا سيدنا جبريل عليه السلام كان أمين وحي السماء، ينزل على أمناء وحي الأرض، وهم الأنبياء، ومن بينهم حبيبنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

وأود أن أذكر أحبابي بأن القرآن الكريم الذي بلغه إلى الرسول جبريل عليه السلام لكن هناك من يبلغ الوحي عن الله سوى جبريل عليه السلام، وقد ثبت ذلك في بعض الأحاديث الصحيحة، روى مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا - أي صوتًا - مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْـيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ الْـيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ الْـيَوْمَ فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْـكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْـبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ»[(٢)]. فقد نزل الملك لأول مرة، ومع الرسول جبريل عليه السلام..

وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، فَقَعد جِبريل عن

(١) رواه البخاري في كتاب «الوحي».

(٢) رواه مسلم باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (٨٠٦).

يميني، وميكائيل عن يساري، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأ الْـقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ واحِدٍ. فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ. قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ. قَالَ: اسْتَزِدْهُ. حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، قَالَ: كُلٌّ شَافٍ كَافٍ»[١].

والشاهد هنا في الحديث: أن ميكائيل هنا مع جبريل عليهما السلام يبلغان وحي الله إلى أنبيائه.

وكان جبريل عليه السلام ينزل إلى النبي ﷺ في كل عام ليُقرأهُ القرآن وليدارسه إياه، وفي صحيح البخاري ومسلم - من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل عليه السلام، فكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن..»[٢].

وعلم سيدنا جبريل عليه السلام رسولنا وحبيبنا ﷺ كيفية الصلاة.

ففي البخاري أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أخر الصلاة يومًا، فدخل عليه عروة بن الزبير، فأخبره أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أخر الصلاة يومًا، وهو بالعراق فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه فقال: ما هذا يا مغيرة؟ أليس قد علمت أن جبريل عليه السلام نزل فصلى، فصلى رسول الله ﷺ ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ.. إلى آخر الحديث ثم قال: بهذا أمرت[٣].

وعلمه مواقيت الصلاة، وعلمه كيفية مناسك الحج، فلم تقتصر مهمة جبريل عليه السلام على تبليغ الآيات القرآنية فقط.. ألم يصحب جبريل عليه السلام رسولنا وحبيبنا ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، فكان رفيق رحلته، حتى سدرة المنتهى، فكان كلما شاهد مشهدًا عجيبًا استفسر منه قائلاً له: من هؤلاء يا جبريل؟ عن الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم، وعن خطباء الفتنة وغيرهم.. من

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٤٣).
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم (٦١٠).

هؤلاء يا أخي يا جبريل؟ فيعلمه جبريل عليه السلام.. ولما رأى نهر الكوثر.. سأله: ما هذا يا جبريل؟ وسأله عن أكلة الربا.

أحبتي في الله...

ألم يقم جبريل عليه السلام برقية الحبيب ﷺ كما روى مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أَنَّ جِبْرَائِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟** قَالَ: «**نَعَمْ**». **قَالَ: بِسْمِ اللَّـهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ، أَوْ حَاسِدٍ، اللَّـهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّـهِ أَرْقِيكَ**»[١].

ألم يأت جبريل عليه السلام ليبشر الحبيب محمدًا ﷺ ببشريات متعددة:

مرة يحمل البشرى لخديجة رضي الله عنها كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا رَسُولَ اللَّـهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْـجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ**»[٢].

وجاءه يومًا يبشر أمته، فعن عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رضي الله عنه - قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْـقَمَرِ فَالْـتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**». قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ جَعَلَنِي اللَّـهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَهْ**».

فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ: «**إِنَّ الْـمُكْثِرِينَ هُمُ الْـمُقِلُّونَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، إِلاَّ مَنْ أَعْطَاهُ اللَّـهُ خَيْرًا**». قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً فَقَالَ لِي: «**اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ**». فَانْطَلَقَ فِي الْـحَرَّةِ حَتَّى لاَ أَرَاهُ فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ اللُّبْثَ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهْوَ مُقْبِلٌ وَهْوَ يَقُولُ:«**وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى**». فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ: يَا نَبِيَّ

---

(١) رواه مسلم كتاب «السلام» باب: الطب والمرض والرقى رقم (٢١٨٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

اللَّـهِ جعَلَنِى اللَّـهُ فِدَاءَكَ مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الْـحَرَّةِ؟. قَالَ: «**ذَلِكَ جِبْرِيلُ** عليه السلام **عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْـحَرَّةِ، قَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّـهِ شَيْئًا دَخَلَ الْـجَنَّةَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى، قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الْـخَمْرَ**»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الإسراء قال ﷺ: «**فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ** عليه السلام **بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ** عليه السلام: **اخْتَرْتَ الْـفِطْرَةَ**»[٢].

ولما سحر النبي ﷺ اليهودي الذي يسمى «لبيد بن الأعصم» واشتكى النبي ﷺ لذلك أيامًا، قال: فجاء جبريل عليه السلام، فقال: إنَّ رجلاً من اليهود سحرك، عقد لك عُقدًا في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها.

فأرسل النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه فاستخرجها، فجاء بها فحلها.

قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال[٣].

وقد جاءه حين طلق حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فقال له جبريل عليه السلام: «**يا محمد، طلقت حفصة، وهي صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة، فراجعها**»[٤].

وأوصاه بالجار، والمحافظة عليه، فقال ﷺ: «**مَا زَالَ يُوصِينِى جِبْرِيلُ بِالْـجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٦٢) باب: المكثرون هم المقلون.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) صحيح: رواه أحمد والنسائي، وصححه الشيخ مقبل الوادعي في كتابه «الجامع الصحيح» مما ليس في الصحيحين (١/ ٣٥٢).

(٤) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك» وابن سعد في «الطبقات»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٥١).

(٥) رواه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤) وغيرهما.

أحبتي في الله...

وجبريل عليه السلام مولى رسول الله ﷺ فعندما اعتزل النبي ﷺ نساءه، دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرآه وإذا بالحصير قد أثر في جنبه، فبكى عمر، فقال له رسول الله ﷺ : ««**مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْـخَطَّابِ**».؟ فقال عمر: يا نبي الله، ومالي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته، وهذه خزانتك، فقال: «**يَا ابْنَ الْـخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَـهُمُ الدُّنْيَا؟**»»، فقال عمر: بلى يا رسول الله.

ثم قال: يا رسول الله ، ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن، فإن الله معك، وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر، والمؤمنون معك.. فأنزل الله قوله تعالى تصديقًا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : ﴿ **وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ** ﴾ [التحريم: ٤]»[1].

وهكذا أيها الإخوة الكرام كانت حياة النبي ﷺ وجبريل عليه السلام بل قد جاءه جبريل عليه السلام وهو غلام صغير يلعب مع الغلمان.. لماذا؟ اسمعوا إلى الإجابة من أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه[2] .

وكان جبريل عليه السلام يتابع الحبيب ﷺ في جميع عباداته، كما ذكرنا.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ

---

(١) رواه مسلم (١٤٧٩)، كتاب «الطلاق» باب: في الإيلاء.

(٢) رواه مسلم كتاب «الإيمان» باب: الإسراء رقم (٢٦١).

خلع نعليه، ووضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم، ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، قال: «**ما حملكم على إلقاء نعالكم؟**» قالوا: رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ جبريل أتاني، فأخبرني أنَّ فيها قذرًا**» أو قال: «**أذى**»[1].

فقد أخبره جبريل عليه السلام حتى بالأذى الذي لصق بنعله، وهو في الصلاة.

عباد الله...

يقول النبي ﷺ لسيدنا جبريل عليه السلام: «**أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟**»[2]، فنزل قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا** ﴾ [مريم: ٦٤]».

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي اصطفى محمدًا ﷺ فشرح صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وافترض طاعته على كافة الناس.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. شهادة تنفع صاحبها يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. آتاه ربه لواء الحمد، ووعده المقام المحمود والشفاعة العظمى في الأخرى.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

فسيدنا جبريل عليه السلام أعظم ملك في ملائكة الرحمن جل جلاله.. فما هي

---

(١) صحيح: صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) رواه البخاري كتاب «بدء الخلق» رقم (٣٢١٥).

مظاهر هذه العظمة، منها: جمال صورته، وحسن منظره، قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ٥، ٦]. قال ابن عباس ﵄: ذو منظر حسن.

وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن.

وقد جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود ﵁ أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل ﵇ له ستمائة جناح[(١)].

وقال ابن مسعود أيضًا في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝ ﴾ [النجم: ١٨]، أي رفرفًا أخضر، قد سد الأفق[(٢)].

وفي مسنده الإمام أحمد عنه أيضًا أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل من الدرر واليواقيت ما الله به عليم[(٣)].

ومنها: أن الله ﷻ وصفه بأوصاف متعددة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١].

والمراد بالرسول هنا سيدنا جبريل ﵇، وكل هذه الأوصاف فيه، وله، وأما ذي العرش فهو رب العزة والجلال سبحانه.. فهو كريم أي مكرم من الله ﷻ شريف حسن الخَلق، بهي المنظر.

ومن قوته أنه كما قال مجاهد: نزل جبريل ﵇، فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، فرفعها حتى سمع أهل السماء نبيح الكلاب، وأصوات الدجاج والديكة ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم اتبعوا بالحجارة[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٤٨٥٦).

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» وقال ابن كثير في «تفسيره»: إسناده جيد قوي (٧/ ٤٥١).

(٤) «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٩) ابن جرير، و«ذم اللواط» للآجري (ص ٣٥).

سبحان الله.. رفع جميع قرى قوم لوط على جناح واحد، ورفعها إلى السماء.. فسبحان من أعطاه هذه القوة الفائقة.

﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ أي له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى.

أحبتي في الله...

كيف كان يأتي جبريل عليه السلام رسولنا صلى الله عليه وسلم؟

لقد كان يأتيه في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ذكر فيه أنه سأله عن الإسلام، ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان؟ ثم عن أشراط الساعة، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**». قُلْتُ: اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1].

وفي صحيح مسلم وعند الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ** عليه السلام **فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةُ**». وَفِي رِوَايَةٍ: «**دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ**»[2]. وكثيرًا ما كان يتمثل جبريل عليه السلام في صورة هذا الصحابي الجليل «دحية الكلبي» وكان رضي الله عنه موصوفًا بالجمال.

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: «مَنْ هَذَا؟» قالت: هذا دحية، فلما قام، قالت: والله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يخبر فيها خبر جبريل عليه السلام[3].

ولمكانة هذا الملك الكريم الجليل جبريل عليه السلام، لما خلق الله عز وجل الجنة والنار

---

(١) رواه مسلم كتاب «الإيمان» رقم (٨).

(٢) رواه البخاري في «فضائل القرآن» (٩٨٠)، ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٥١).

(٣) رواه البخاري (٤٩٨٠)، ومسلم (٢٤٥١).

عرضها عليه.. قال ﷺ: «لَـمَّا خَلَقَ اللَّـهُ الْـجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْـجَنَّةِ، فَقَالَ:انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّـهُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْـمَكَارِهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْـمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ وجَلالِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا. فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا...»[1]. الحديث.

أحبتي في الله...

ولما أبطأ جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ في أول البعثة، قال المشركون: قد قلاه ربه، وودعه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ ﴾ [الضحى: ١ - ٣].

فهذا هو رسولنا ﷺ وهذا هو جبريل الأمين.

هذا أمين وحي السماء، وأمين وحي الأرض..

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. اللهمَّ رضنا وارض عنا، وأكرمنا ولا تهنا وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا يا رب العالمين.

---

(١) حسن صحيح: «صحيح سنن الترمذي» للألباني (٢٥٦٠)، و«صحيح سنن النسائي» (٣٧٦٣)، و«صحيح الترغيب» (٣٦٦٩).

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

وأقم الصلاة.



الخطبة الثانية والستون

علاقة الملائكة بالأبرار والفجار

الحمد لله.. المحمود بكل لسان.. المعبود في كل زمان.. الذي لا يخلو من علمه مكان.. ولا يشغله شأن عن شأن.. سبحانه.. سبحانه.. جل عن الأشباه والأنداد.. وتنزه عن الصاحبة والأولاد.. ونفذ حكمه في جميع العباد.. لا تمثله العقول بالتفكير.. ولا تتوهمه القلوب بالتصوير.. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.. شهادة تثبت قائلها في المعاد إذا زلت الأقدام.. وتقربه من الملك العلام.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله.. يأتي إليه أبو جهل يومًا، فيقول له: واللات والعزى، لئن رأيتك بعد اليوم تصلي بجوار الكعبة لأطأن على رقبتك، أو لأعفرن وجهك بالتراب.. فذهب رسول الله ﷺ وصلى، فأتاه أبو جهل وهو يصلي، لينفذ ما هدده به.. لكنه ما استطاع أن يصل إلى رسول الله ﷺ، بل نكص على عقبيه، وأخذ يتقي بيديه، فقال له: مالك؟ قالوا: أخف من محمد، وأنت فينا من فينا؟ قالَ: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وأجنحة وأهوالاً، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّى لاَخْتَطَفَتْهُ الْـمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»(١).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب «صفات المنافقين» باب: قوله «إن الإنسان ليطغى».

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم، وسلم تسليمًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أحبتي في الله...

في بداية هذا اللقاء الإيماني المبارك، أوصيكم ونفسي الأمارة بالسوء بتقوى الله ﷻ فتقوى الله تفرج الهم، وتكشف الغم، وتنجي من الكروب، وتحتُّ الخطايا والذنوب.

﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق:٢، ٣].

﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٤].

﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا** ﴾ [الطلاق: ٥].

فيا بشرى المتقين يوم الوعيد.. ﴿ **وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝** ﴾ [الزمر: ٦١].

ما زال اللقاء موصولاً من جامعة العقائد الإسلامية، مع عالم الملائكة الأطهار مع عالم الطهر والصفاء والنقاء.

وتحت عنوان (**علاقة الملائكة بالأبرار والفجار**) نعيش اليوم.

إنها علاقة طيبة، وأول هذه العلاقات: محبتهم لأهل الإيمان.

محبتهم.. نعم محبتهم محبة عظيم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّـهُ الْـعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْـقَبُولُ فِي الأَرْضِ**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الملائكة تؤمن على دعائهم، قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: **«إذا دعا الغائب لغائب قال الملك: ولك مثل ذلك»** [(١)].

وعن صفوان بن عبد الله بن صفوان، قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء في منزله، فلم أجده، ووجدت أم الدرداء، فقالت لي: أتريد الحج هذا العام؟

فقلت: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير، فإنّ النبي ﷺ كان يقول: **«دَعْوَةُ الْـمَرْءِ مُسْتَجَابَةٌ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْـغَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ، يُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ، كُلَّمَا دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، قَالَ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهِ»** [(٢)].

وإذا قال الملك ذلك، كان الدعاء أقرب إلى الإجابة من الله ﷻ لأجل ذلك نهى النبي ﷺ أن يدعو المؤمن على نفسه، فلربما استجيب الدعاء، فيكون قد أصابه إيذاء.. قال ﷺ: **«لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»** [(٣)].

أيها المسلمون.. أحباب المصطفى ﷺ..

ومن علاقة الملائكة الأبرار بأهل الإيمان الأطهار، أنها تصلي عليهم، ومعنى صلاتهم الدعاء والاستغفار.. قال الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ويصلون على المؤمنين.. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. والصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار.

وهناك أصناف من الناس تصلي عليهم الملائكة منهم:

١ - الذين يصلون على الحبيب المصطفى ﷺ حيث قال: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ**

---

(١) صحيح: رواه ابن عدي في «الكامل»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٥).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٣).

(٣) رواه مسلم (٩١٩).

صَلاَةً، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» [١]، قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلاَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْـمَلاَئِكَةُ**» [٢].

٢ - إنهم يصلون على معلم الناس الخير، قال الحبيب النبي ﷺ : «**إِنَّ اللَّـهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْـحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْـخَيْرَ**» [٣].

٣ - ويصلون على المتسحرين، الذين يأكلون أكلة السحور.. قال ﷺ : «**إِنَّ اللَّـهَ** ﷻ **وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ**» [٤].

٤ - ويصلون على أصحاب الصف الأول أو الصفوف الأولى.. قال ﷺ : «**إِنَّ اللَّـهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ**» [٥].

وعند أبي داود من حديث البراء: «**إِنَّ اللَّـهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ**». وعند النسائي: «**عَلَى الصُّفُوفِ الْـمُتَقَدِّمَةِ**» [٦].

٥ - ويصلون على أولئك الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، وهم الذين ينتظرون الصلاة بعد الصلاة، ليصلوها جماعة، كما في حديث مسلم: «**إِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، تَقُولُ: اللَّـهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّـهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ**» [٧].

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) حسن: «صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٩٠٧) للألباني، و«فضل الصلاة على النبي» رقم (٦) عن عامر بن ربيعة.

(٣) حسن: رواه الترمذي وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٨١).

(٤) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني وابن حبان عن أبي سعيد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٨٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٤٠)، و«صحيح الترغيب» (٤٩٢).

(٦) صحيح: «صحيح سنن النسائي» رقم (٨١١).

(٧) رواه مسلم.

٦ - وتصلي الملائكة كذلك على الذين يسدون الفرج بين الصفوف أي يصلون الصف قال ﷺ: **«إِنَّ اللَّـهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ، وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللَّـهُ بِهَا دَرَجَةً»**[1].

الملائكة الكرام، يبلغون رسولنا وحبيبنا ﷺ السلام، الصادر من أي فرد من أفراد الأمة لسيده وحبيبه محمد ﷺ قال ﷺ: **«إِنَّ لِلَّـهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِى الأَرْضِ، يُبَلِّغُونِى مِنْ أُمَّتِى السَّلاَمَ»**[2].

وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه مرفوعًا: **«أكثروا من الصلاة عليَّ، فإن الله وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلى عليَّ رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك: يا محمد، إنَّ فلانًا ابن فلان صلى عليك الساعة»**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ رقى المنبر، فقال: **«آمين، آمين، آمين»** قيل له: يا رسول الله، ما كنت تصنع هذا؟ فقال: **«قال لي جبريل عليه السلام: رغم أنف عبد، دخل عليه رمضان ولم يُغفر له، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصلِّ عليك، فقلت: آمين»**[4].

صلوا على خير الأنام ومن به ... تنجو العباد بموقف الأهوال
إن الصلاة على النبي حبيبنا ... من أفضل الأفعال والأعمال
فهو النبي المصطفى علم الهدى ... الطيب الأقوال والأفعال

الملائكة الكرام يقومون بتسجيل المسلمين الذين يبادرون إلى صلاة الجمعة،

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٥٣٢)، و«صحيح الجامع» (١٨٤٣).

(٢) صحيح: رواه النسائي وابن حبان في «صحيحه»، وأحمد وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٦٤)، و«صحيح الجامع» (٢١٧٤).

(٣) حسن: رواه الديلمي في «مسنده»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٠٧).

(٤) صحيح: صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٦٤٦).

فيكتبون الأول فالأول، ثم بعد صعود الإمام المنبر يجلسون ليستمعوا إلى الخطيب.. قال الحبيب النبي ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْـجُمُعَةِ، وَقَفَتِ الْـمَلائِكَةُ عَلَى بَابِ الْـمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، وَجَلَسُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**»[١].

ويسجلون ما يصدر عنه من أقوال طيبة، بل ويسارعون بكتابتها، كما في حديث رفاعة بن رافع الزرقي قال: «كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «**سَمِعَ اللَّـهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**».

فَقَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْـحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا، طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ الْـمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟**». فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّـهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكًا، يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلاً**»[٢].

أيها المسلمون...

والملائكة الكرام يؤمنون على فاتحة الكتاب مع الإمام، كما قال سيد الأنام ﷺ: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْـمَلائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٣].

وفي صحيح البخاري: «**إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ. وَقَالَتِ الْـمَلائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ: فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٤].

ومن علاقة الملائكة الكرام بالصالحين البررة، شهودهم جنائزهم، فقد شهدوا جنازة سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه روى النسائي وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْـعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وغيرهم.
(٢) رواه البخاري وأبو داود والنسائي ومالك.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري.

أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْـمَلاَئِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»(١).

وكما غسلت الملائكة حنظلة بن عامر رضي الله عنه فإنها غسلت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه كما رواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت الملائكة تغسِّل حمزة بن عبد المطلب، وحنظلة بن الراهب**»(٢).

وظللت بأجنحتها الصحابي الجليل «عبد الله بن حرام الأنصاري» رضي الله عنه قال ابنه جابر رضي الله عنه: لما قُتل أبي، جعلت أكشف الثوب عن وجهه أبكي، فينهوني، والنبي ﷺ لا ينهاني، فجعلت عمتي فاطمة تبكي، فقال النبي ﷺ: «**تَبْكِينَ أَوْ لاَ تَبْكِينَ، مَا زَالَتِ الْـمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ**»(٣). وكانوا يسلمون على الصحابي الجليل «عمران بن حصين» رضي الله عنه ويعودونه - وهو مريض ملازم للفراش، ويسلمون عليه.

قال ابن الجوزي رحمه الله في صفة الصفوة: قال قتادة: كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين، حتى اكتوى.. وكان قد مرض فبقى ثلاثين عامًا على سرير مثقوب.

وقال مطرف رحمه الله: أرسل إليَّ عمران بن حصين رضي الله عنه في مرضه، فقال: إنه كان يُسلم عليَّ - يعني الملائكة - فإن عشت، فاكتم عليَّ، وإن مت فحدث به إن شئت(٤).

والملائكة تشفع للمؤمنين الأبرار يوم القيامة، ألم يقل الله عز وجل: ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ**

---

(١) صحيح: رواه النسائي وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٨٧)، و«الصحيحة» (١٦٩٥).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٦٣)، و«الإرواء» (٧١٣).

(٣) رواه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١).

(٤) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٣٠٤).

إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْـمَلاَئِكَةُ وَالْـمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْـجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي...»(١).

وفي بعض أحاديث الشفاعة من حديث أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشفَعُوا، فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيمَانٍ»(٢).

أحبتي الكرام...

والملائكة تؤمن على دعاء من حضر عند المريض، أو الميت، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْـمَرِيضَ أَوِ الْـمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ...»(٣).

وعنها رضي الله عنها قالت: دَخَلَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْـبَصَرُ». فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»(٤).

أيها الموحدون...

إذا كان هذا هو حال الملائكة الكرام مع الأبرار الأتقياء، فكيف يكون حالهم مع الفجار الأشقياء؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٣).
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

إنها تلعنهم، وتدعوا عليهم بخلاف أهل الإيمان، فإنهم يستغفرون لهم.. فهم يلعنون الكفار، كما قال الله الواحد القهار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٦١، ١٦٢].

إنهم يلعنون من كفر بعد إسلامه، قال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦، ٨٧].

وهم يلعنون كذلك كاتم العلم، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

قال قتادة وغيره: اللاعنون: أي الملائكة والمؤمنون كما ثبت في السنة الصحيحة أن الملائكة تلعن المرأة التي تهجر فراش زوجها، قال ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْـمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»(١).

كما ثبت أنها تلعن من أشار إلى أخيه المؤمن بالسلاح، قال ﷺ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْـمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ**»(٢). وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إذا شهر المسلم على أخيه سلاحًا، فلا تزال ملائكة الله تلعنه، حتى يشيمه عنه**»(٣).

وثبت أنهم يلعنون من سب أصحاب النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حسن: رواه البزار، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٣٥).

أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّـهِ وَالْـمَلائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١).

ويلعنون من أخفر ذمة مسلم من المسلمين.. قال ﷺ: «**ذِمَّةُ الْـمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّـهِ وَالْـمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

وهناك أصناف كثيرة تلعنهم ملائكة الرحمن، وقد اكتفينا بذلك.. نسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يرحمنا برحمته الواسعة.

أقول ما تسمعوني، وأستغفر الله العظيم، لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي أسعد بجواره من خافه واتقاه، وأبعد من ناره من أطاعه وهداه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. شهادة معدة للشدائد يوم ألقاه.. وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبده ورسوله، أرسله ربه دليلاً على سبيل الرشاد، وكفيلاً بإنجاز الميعاد، ومذكرًا بيوم الميعاد.. اللهمَّ صل عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

وأخيرًا ما الذي يجب عليهم نحو الملائكة؟

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٨٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

أولاً: يجب أن نؤمن بهم، فالإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، لحديث جبريل عليه السلام، الذي رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه: قال: وما الإيمان؟ قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّـهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْـيَوْمِ الآخِرِ...**».

وقد نقل القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن بهم.. لكن ما كيفية الإيمان بهم؟

نقل السيوطي عن البيهقي في شعب الإيمان، أن الإيمان بالملائكة ينتظم في معان:

أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن، مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدًا بعيدًا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى الإشراك بالله، ولا يدعون أنهم آلهة كما دعتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأن منهم رسلاً يرسلهم الله إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون للحساب.

ثانيًا: يجب أن نوالي كل الملائكة، ولا نفرق بين ملك وملك.

ثالثًا: يجب على المؤمن أن يستحيي من ملائكة الله عز وجل إن خلا بنفسه، ليبارز الله بالمعصية، فليعلم العبد المؤمن أنهم ملازمون له، ويرون أفعاله، فإن زلت قدمك لأنك بشر، فأسرع واستغفر، وأسمعه - أي الملك - الاستغفار، ليكتب ذلك في صحيفتك يكتبون عليك كل حركاتك.. وهي تترك موطن المعصية ولا تأتيه.

ففي الصحيحين من حديث أبي طلحة أنه قال: «**لاَ تَصْحَبُ الْـمَلاَئِكَةُ رُفْقَةً**

فِيهَا كَلْبٌ وَلاَ جَرَسٌ»[١]. وعن بريدة: «ثَلاَثَةٌ لاَ تَقْرَبُهُمُ الْـمَلاَئِكَةُ: جِيفَةُ الْكَافِرِ، وَالْـمُتَضَمِّخُ بِالْـخَلُوقِ، وَالْـجُنُبُ»[٢].

رابعًا: عدم إيذاء الملائكة بالروائح الكريهة المنتنة: مثل الكراث، والثوم، والبصل، وما يقاس عليهم «مَنْ أَكَلَ الْـبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْـكُرَّاثَ - فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»[٣].

خامسًا: ألا يبصق المسلم عن يمينه، خاصة في الصلاة، لحديث: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّـهَ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَيَدْفِنُهَا»[٤].

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.. اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

اللهمَّ ارفع عنا وعن ديار المسلمين الغلاء والبلاء.. اللهمَّ أمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم اللهمَّ على الرشاد، وباعد بينهم وبين سبل أهل البغي والفساد يا أرحم الراحمين.. اللهمَّ اجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى يا أكرم الأكرمين.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]. ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١]. وأقم الصلاة.

---

(١) رواه مسلم (٢١١٣)، كتاب «اللباس» باب: كراهية الكلب والجرس في السفر.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي والبيهقي وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٦٠)، «الصحيحة» (١٨٠٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

الخطبة الثالثة والستون

تعرف على عالم الجن

الحمد لله.. اللهمَّ لك الحمد حتى ترضى.. ولك الحمد بعد الرضى، ولك الحمد في الأولى والآخرة.

اللهمَّ لك الحمد على كل نعمة أنعمت بها علينا.. في قديم أو حديث.. لك الحمد بالإسلام.. ولك الحمد بالإيمان.. ولك الحمد بالقرآن.. ولك الحمد بالمعافاة اللهمَّ إياك نعبد.. ولك نصلي ونسجد.. وإليك نسعى ونحفد.. نرجو رحمتك، ونخشى عذابك.. إن عذابك الجد بالكفار ملحق.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولا نعبده إلا إياه، ولا نرجو إلا إياه.. عظيم السلطان والجاه.. أفلح من دعاه، وسعد من رجاه وفاز من تولاه.. لا إله إلا الله.. عبد الله:

إذا دعوت، فقل: يا الله.. وإذا رجوت، فقل: يا الله... إذا أصابك كرب فقل: يا الله.. إذا أصابتك شدة، فقل: يا الله، وإذا أصابك ضرٌ فقل: يا الله.. وإذا أصابتك فاقة، فقل: يا الله.. يا الله.. يا الله.. قلها كلما ضج الفؤاد، وضاقت الأزمان.

وأشهد أن حبيبنا وعظيمنا وقائدنا محمدًا رسول الله ﷺ.. أشرح الناس صدرًا وأرفع الناس ذكرًا.. وأعظمهم قدرًا.. وأعلاهم شرفًا، وأكثرهم صلاة وصومًا..

إن البرية يوم مبعث أحمد ... نظر الإله لها فبدل حالها

بل كرَّم الإنسان حين اختار ... من خير البرية نجمها وهلالها

لبس المرقع وهو قائد أمة ... جبت الكنوز فكسرت أغلالها

صلى عليك الله يا علم الهدى.. ما اشتاق مشتاق إلى مثواكا.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

أما بعد...

أحبتي في الله...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا اللقاء الطيب المبارك، وفي هذا المسجد المبارك أن يجمع بيننا وبين حبيبنا محمد ﷺ في جنته ودار كرامته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أيها الأحبة الكرام...

وما زال لقاؤنا موصولاً مع جامعة العقائد الإسلامية، وبعد أن تعرفنا على عالم الملائكة، عالم الطهر والنقاء والصفاء.. تعالوا بنا لنتعرف على عالم آخر إنه عالم غيبي كعالم الملائكة الأطهار، لكنه يختلف عنهم.. إنه عالم الجن.. ذلكم العالم الغريب العجيب.

والمؤمن يجب عليه أن يؤمن بالغيب إيمانًا صادقًا، إيمان لا يعتريه شك، لأن من أجل صفات المؤمنين المتقين، أن يؤمنوا بالغيب، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: ١ - ٣].

والغيب ما غاب عنك واستتر.. والجن من الأمور الغيبية التي ينبغي للمؤمن أن يؤمن بوجودهم، وهم موجودين بأدلة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، فلا يجوز الإنكار، لأنه إنكار معلوم من الدين بالضرورة.

وإنكار وجودهم، إنكار لآيات القرآن الكريم، وتكذيب لها.. فمن هم الجن؟ وما أصل خلقتهم؟ وما صفة خلقهم؟ وما هي طبيعة هذا العالم؟ وأين يسكنون؟

كل هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الله ﷻ وحوله وطوله وفضله، فالله أسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه.

عالم الجن، عالم لا يراه الإنس.. ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وما سمى الجن جنًا إلا لأنه قد جُنّ أي اختفى.. الجن هو الخفاء.. عالم الجن كعالم الجنين في بطن أمه، وما سمي الجنين جنينًا إلا لأنه خفي داخل الرحم لا يُرى.. وما سمي المجنون مجنونًا إلا لأن عقله اختفى.. وما سميت الجنة جنة إلا لأن الأشجار تخفيها وتستر معالمها.

وقد سمي الله ﷻ سورة في القرآن الكريم باسم هذا العالم العجيب الغريب سورة الجن.. والأدلة على وجودهم كثيرة، أدلة نقلية من الكتاب والسنة وأخرى عقلية.. فمن أدلة وجودهم قوله تعالى مخاطبًا حبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٣]. والآيات في ذلك كثيرة.

ومن السنة المطهرة ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا، إذا هو جاء من قبل حراء، قلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك، فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: «أَتَانِي دَاعِي الْـجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْـقُرْآنَ».

قال ابن مسعود ﷺ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعَرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ، فَلاَ تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ**»(١).

فهذا دليل قاطع وواضح في بيان وجود هذا العالم، ويستدل منه على أن من الجن من هو مسلم يؤمن بالقرآن، ويؤمن بالرسول محمد ﷺ ومنهم على خلاف ذلك - أي الكافر.. منهم الصالح، ومنهم الطالح، منهم التقي، ومنهم الفاسق.. ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا** ﴾ [الجن: ١١]، ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** ﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

لكن ماذا عن أصل خلقهم؟

لقد أخبرنا العزيز الغفار أن الجن قد خلقوا من النار، قال تعالى: ﴿ **وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ** ﴾ [الحجر: ٢٧]، وقال: ﴿ **وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ** ﴾ [الرحمن: ١٥].

قال النووي رحمه الله: المارج، اللهب المختلط بسواد النار.

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(٢).

وهنا سؤال يتردد على ألسنة كثير من الناس، وهو إذا كانت الجن مخلوقة من النار، فكيف يعذب كافرهم بالنار؟

والجواب على ذلك ميسور إن شاء الله، فكلنا يعلم أن الإنسان خلق من طين،

---

(١) رواه مسلم (٦٨٢) وغيره.

(٢) رواه مسلم وغيره.

ولكنه الآن ليس طينًا، بل أصل فقط هو الطين، وتحول الطين إلى لحم وعظم ودم وعروق مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ ﴾ [السجدة: ٧ - ٩].

وكذلك الجن خلقت من النار، ولكنها الآن ليست على ناريتها بدليل ما رواه النسائي وغيره أن رسول الله ﷺ كان يصلي، فأتاه الشيطان، فأخذه، فصرعه، فخنقه، قال ﷺ: «حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدِى» (١).

وعند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «فَمَا زِلْتُ أَخْنُقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ أُصْبُعَيَّ هَاتَيْنِ - الإِبْهَامِ وَالَّتِى تَلِيهَا -»(٢).

فلو كان الجن نارًا عندما خنقه رسول الله ﷺ ما وجد رسول الله ﷺ للسان الشيطان بردًا.

والحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ عَدُوَّ اللَّـهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي» (٣). فلو كان إبليس باقيًا على ناريته ما احتاج إلى أن يأتي بشهاب من نار..

والنبي ﷺ قال في حديث آخر: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ» (٤). فلو كان باقيًا على ناريته، لأحرق الإنسان.. ويضاف إلى ذلك أن الإنسان خلق من طين ويمكن أن يعذب به، كما أنه خلق من ماء ويمكن أن يعذبه به.. والأفضل من هذا وذاك أن نقول: إن الله ﷻ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه على كل شيء قدير.. ولا يقال بأن عدم رؤية الجن دليل على عدم

---

(١) صحيح: رواه النسائي وغيره، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أحمد وهو في «الصحيحة» رقم (٣٢٥١).

(٣) رواه مسلم والنسائي.

(٤) رواه البخاري وغيره.

وجوده، لماذا؟ لأنه كم من شيء لا نراه، وهو موجود، مثل التيار الكهربائي، لا نراه وهو يسير في الأسلاك، ولكننا نستدل عليه بآثاره في المصباح والمحركات ونحو ذلك.. والهواء الذي نعيش به، وبدونه نموت ونختنق، ولكننا نحس به، وكذلك الروح التي هي قوام الحياة، لا نراها، ولا نعرف كنهها، ورغم ذلك نؤمن بوجودها.

أيها الأحبة الكرام...

والجن يأكلون ويشربون، ويتناكحون ويتناسلون، قال ﷺ: **«إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»**[١].

وقد روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّـهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّـهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْـمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّـهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْـمَبِيتَ وَالْـعَشَاءَ»**[٢].

فلو ظل الإنسان يأكل، ولم يسم الله عز وجل ناسيًا، ثم تذكر، فذكر اسم الله تعالى فماذا يحدث؟ إن صاحبه - أي الشيطان - الذي يأكل معه يستقيء كل ما أكله من طعام.. هل هناك دليل على ذلك؟ نعم حديث في مسند الإمام أحمد عن أمية بن مخشي قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يأكل ولم يسم، حتى إذا لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه، قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: **«مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّـهِ عز وجل اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ»**[٣].

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) حسن: رواه أحمد في «مسنده» وأبو داود.

لكن هل هناك نوع من الطعام يأكلونه، في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما طلب منه الحبيب المصطفى ﷺ أحجارًا يستنجي بها، ولا يأتيه بعظم ولا روثة، سأله عن سر ذلك، فقال له: «**هُمَا مِنْ طَعَامِ الْـجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْـجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّـهَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ إِلاَّ وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا**»[1].

لكن معظم الأحاديث تبين أن الجن يأكل من جميع أنواع الطعام كالتمر وغيره كما في حديث البخاري الذي كان يحرص تمر الصدقة، أو زكاة رمضان، يقول: فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فلما أصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْـبَارِحَةَ؟**». قال: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالاً فرحمته، وخليت سبيله، فقال: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**» فعرفت أنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقال: دعني، فإني محتاج، وعليَّ عيال ولا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً، فرحمته وخليت سبيله قال: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**».

فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - فقال له: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هن؟ قال: إذا آويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْـبَارِحَةَ ؟**» فقلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعي الله بها، فخليت

---

(١) رواه البخاري.

سبيله.. فذكر له.. فقال ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قال: لا.. قال: «**ذاك شيطان**»[(١)].

وفي حديث النسائي من حديث أبي بن كعب أنه كان له جُرنٌ فيه تمر، وأنه كان يتعاهده، فوجوده ينقص، فإذا هو بداية شبه الغلام المحتلم، فقال له: أجني أم إنسي؟ قال: بل جني.

فيستدل من هذين على أن الجن يأكلون التمر وغيره من الأطعمة، وأنهم قادرون على أن يتشكلوا بصور شتى.. كصورة إنسان كما تصور لأبي هريرة رضي الله عنه وكصورة الدابة كما تصور لسيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه وقد تشكل بصورة سراقة بن مالك سيد بني مدلج في يوم بدر، وقد تصور إبليس اللعين في صورة شيخ نجدي، عندما اجتمعت قريش في دار الندوة لكي يتشاوروا في شأن الحبيب المصطفى ﷺ.

والجن قد تتشكل في صورة الكلاب السوداء، كما روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**الْـكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**»[(٢)].

فالجن تتصور بصورته، وقال الحبيب النبي ﷺ: «**لَوْلاَ أَنَّ الْـكِلاَبَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ، لأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا، فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ**»[(٣)].

ويتشكلون بغير ذلك في أشكال قبيحة، وأخرى حسنة وقد يتشكلون في صورة حيات وثعابين، كما جاءت بذلك الأخبار الصحيحة.

وقد أعلمنا الله تبارك وتعالى في قرآنه بأنهم يتناكحون ويتناسلون ويكثرون كالإنس قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ

---

(١) رواه البخاري (٢٣١١) في كتاب «الوكالة» باب: إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٠٢)، و«صحيح الجامع» (٥٣٢٢).

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ [الكهف: ٥٠].

أحبتي في الله...

والجن مكلفون بالشرائع مثل الإنس سواء بسواء، والصالح منهم يدخل الجنة، قال الله ﷻ: ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ [الرحمن: ٤٦، ٤٧].

قال ابن كثير رحمه الله: وقد امتن الله على الثقلين - الإنس والجن - بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس، فقالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد، فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم.

وهو يشير إلى حديث جابر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «**مالي أراكم سكوتًا، للجن كانوا أحسن منكم ردًا، ما قرأت هذه الآية من مرة: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾** ﴾ [الرحمن: ٤٧]. **إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد**»[1] .

وبعد أن عرفتم هذا، فأين تسكن الجن؟

الجن يفضلون الأماكن الخالية من الإنس كالصحراء، ومنهم من يسكن المزابل والقمامات ومنهم من يسكن مع الإنسان، ولذلك كان رسول الله ﷺ يخرج إلى الصحراء ويدعوهم إلى الله ﷻ، ويقرأ عليهم القرآن، ويعلمهم أمور دينهم.

ويسكنون المزابل والقمامات، لأنهم يأكلون فضلات طعام الإنسان، كما ذكرنا والجن يسكنون الخلاء - دورات المياه.. قال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْـحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ،**

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢١٥٠)، و«المشكاة» (٨٦١).

فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: اللَّـهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـخُبُثِ وَالْـخَبَائِثِ»(١).

ومحتضرة أي يحضرها الجن.. والجن الكافر العاصي هو الذي يسكن دورات المياه، لكن الجن المسلم يسكن في غير هذه الأماكن، لأنه يحب الروائح الطيبة الذكية.. بخلاف الآخرين.

أما كبيرهم وهو إبليس اللعين فله عرش على الماء في البحر، لما رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْـمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»(٢).

وروى الإمام أحمد أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ لِابْنِ صَائِدٍ «**مَا تَرَى؟**». قَالَ: أَرَى عَرْشاً عَلَى الْـبَحْرِ حَوْلَهُ الْـحَيَّاتُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**ذَاكَ عَرْشُ إِبْلِيسَ** – اللعين –»(٣).

فلماذا اختار إبليس اللعين هذا المكان بالتحديد، ليكون مقرًا لعرشه؟

إنَّ اللعين يريد أن يحاكي رب العزة والجلال سبحانه كفرًا منه واستكبارًا، فإذا كان للرحمن جل جلاله عرشه، فأنا لي عرش.. سبحان الله – وإذا كان عرشه سبحانه وتعالى على الماء، فإني اتخذت عرشًا على الماء.. والبحر عند العرب إذا ذكر مطلقًا فهو البحر المحيط أي المحيط الهادي، فإبليس اللعين الطريد يتخذ المحيط الهادي مقرًا لعرشه، لأنه أكبر بحر في الأرض، ولأن البحر عمومًا هو الموطن الأصلي للجن.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وأحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٥٧)، و«صحيح الجامع» (٢٢٦٣).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد.

أيها الأحبة الكرام...

هل إبليس ينام؟ لقد سئل هذا السؤال الإمام الحسن البصري رحمه الله فقال له رجل: يا أبا سعيد، أينام إبليس؟ فقال: لو نام إبليس، لوجدنا شيئًا من الراحة.. لكنه يوسوس، ويعمل جاهدًا على إضلال بني آدم ليل نهار.. لكنه يخاف منه إذا ذكر الله عز وجل، وإذا سمع الشيطان الأذان، جرى بعيدًا وأحدث ضراطًا، حتى لا يسمع النداء.. لأنه لو سمعه، لشهد للمؤذن يوم القيامة وهو عدوٌ للمؤمن، فكيف يشهد لعدوه؟!

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْـمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا...**»(١).

أحبتي في الله...

البر لا يبلي، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»(٢). ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. حذرنا من إبليس اللعين، وأمرنا أن نستعيذ به من الشيطان الرجيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، حرم الجنة على كل كفّار أثيم.

وأشهد أن سيدًا محمدًا عبد الله ورسوله الأمين، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي والدارمي ومالك في «الموطأ».
(٢) سبق تخريجه.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

ينبغي أن نعلم جميعًا أن الله ﷻ جعل لكل إنسان في هذه الدنيا من أول آدم عليه السلام إلى قيام الساعة قرين من الجن، فقد روى مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلاً. قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟**». فَقُلْتُ: وَمَا لِي لاَ يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**لَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ**». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، أَوَمَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». فَقُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّى أَعَانَنِى عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ**»[1].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْـجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْـمَلاَئِكَةِ**». قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**وَإِيَّاىَ، لَكِنَّ اللَّـهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ**»[2].

فهذان الحديثان من الأدلة القاطعة على أن لكل إنسان قرين من الجن، لكن قرين النبي ﷺ أعانه عليه ربه ومولاه فأسلم، فلم يكن يأمره إلا بخير.. لكن هل يمكن أن يسلم لنا القرين؟

إن الصحيح أن ذلك من خصوصية النبي ﷺ فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رغم أن الشيطان كان يفر منه، قال له الحبيب المصطفى ﷺ يومًا: «**وَالَّذِى نَفْسِى، بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ، إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**»[3].

---

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرها.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) متفق عليه.

ورغم ذلك لم يثبت أنه أثر عليه فأسلم.. ولأنه لو أسلم، لانتفت حكمة الاختبار والابتلاء.. وقد أراد الخبيث أن يقطع الصلاة على رسول الله ﷺ ذات ليلة، فأمكنه الله منه، فربطه بسارية من سواري المسجد، قال ﷺ: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْـجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْـمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾** [ص: ٣٥]»[1].

اللهمَّ أعز الإسلام، وانصر المسلمين.. اللهمَّ يمن كتابنا.. ويسر حسابنا، وثقل موازيننا، وحقق إيماننا، وثبت على الصراط أقدامنا.. وأقر برؤيتك يوم القيامة عيوننا، واجعل خير أعمالنا آخرها، وخير أيامنا يوم لقائك.. اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحد سواك، واجعلنا أغنى خلقك بك وأفقر عبادك إليك.

اللهمَّ هب لنا غنى لا يطغينا، وصحة لا تلهينا، وأغننا اللهم عمن أغنيته عنا.. إنك على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.. إنك يا مولانا نعم المولى ونعم النصير.

عباد الله...

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم.. واشكروه يزدكم، وأقم الصلاة.

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

الخطبة الرابعة والستون

تعرف على: أسلحة إبليس اللعين

الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب، وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أرخي دونهم الحجاب، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب الحمد لله فبحمده يتألق البدء والختام، أحمده حمدًا يستدعي مزيد الإنعام وأشكره شكرًا يرقى بقائله إلى أسمى مقام.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، ذو الطول والإنعام، والجود والإكرام.. يا عظيم الشأن.. يا واضح البرهان.. يا من كل يوم هو في شأن.. يا كافي المتوكلين.. يا مؤوي المنقطعين.. انقطع الرجاء إلا منك.. وخابت الظنون إلا فيك.. وضعف الاعتماد إلا عليك.. أفلح من دعاك.. وسعد من رجاك.. وفاز من تولاك.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا محمدًا عبده ورسوله، وخليله المصطفى ﷺ الشافع المشفع في المحشر، نبي ما طلعت الشمس على أحد أزكى منه، وأتقى لربه وأطهر.. نبي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك قام على قدمه الشريف حتى تفطر.. نبي رجفت من هيبته قلوب الجبابرة، حتى خافه ملك بني الأصفر..

إن البرية يوم مبعث أحمد	نظر الإله لها فبدل حالها
بل كرَّم الإنسان حين اختار	من خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقع وهو قائد أمة	جبت الكنوز فحطم أغلالها
لما رآها الله تمشي نحوه	لا تبغي إلا رضاه سعى لها

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أمة القرآن وأحبة الحبيب المصطفى ﷺ...

في بداية هذا اللقاء المبارك أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب.. ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١ ﴾ [الزمر: ٦١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحشرنا مع المتقين، والأنبياء والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

أيها الأحبة الكرام...

نحن اليوم على موعد بلقاء، ذلكم اللقاء الإيماني، الذي يتجدد دائمًا بالإيمان، لقاؤنا في هذا اليوم المبارك بعنوان: «أسلحة إبليس اللعين».

إنَّ علاقة الشيطان ببني الإنسان علاقة كلها عداء، منذ أن وجد أبونا آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

العداوة قائمة منذ أن أمر الله ﷻ ملائكته الأطهار بالسجود لأبينا آدم عليه السلام، وكان إبليس من بين هؤلاء الملائكة، فشمله الأمر، لكنه تكبر على الله، وتكبر على آدم، ورفض السجود، قائلاً: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقد سجل القرآن ذلك كله في مواضع مختلفة، فقال: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤].

فطرده الله ﷻ من رحمته، وصار شيطانًا رجيمًا، فمن يومها أعلن العداوة والحرب على بني آدم، قائلاً: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

فمنذ هذا الوقت، وقد أخذ العهد والميثاق على نفسه بإغواء العباد وتضليلهم، وملايين البشر يتساقطون كالفراش في مصيدة ذلك اللعين، الذي لم يراع فيهم إلًّا ولا ذمة، فلم يرحم صغيرًا، ولم يوقر كبيرًا، ولم ييأس من تقي، ولم يزهد في عابد ومن هنا كان الحزم والفطنة يقتضيان الحذر من كيد ذلك اللعين، والتنبيه لخطورته ووساوسه، امتثالاً لأمر الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦]. لماذا؟

لأنه قعد لابن آدم بجميع طرقه محاولاً بل باذلاً وسعه وجهده وإضلاله في كل طريق ومرصد.. إنه حريص على أن يقذف سمومه في قلوب المسلمين كي يزعزع إيمانهم بالله العزيز الحميد، قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقَسَّمُ الْمَالُ؟ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»(١).

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي وابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٥٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولما عُلم أن آدم وبنيه قد بلوا بهذا العدو، وسلط عليهم، أمدهم الله عز وجل بعساكر وجند يلقونه بها، وأمد عدوهم أيضًا بجند وعساكر يلقاهم بها، وأقام في هذه الدار سوق الجهاد في هذه الدار - أي جهاد النفس - في مدة العمر التي هي بالإضافة إلى الآخرة كنفس واحد من أنفاسها.. واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝** ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

ولم يسلط هذا العدو على عبده المؤمن، الذي هو أحب المخلوقات إليه، إلا لأن الجهاد أحب شيء إليه، وأهله أرفع الخلق عنده درجات، وأقربهم إليه وسيلة.. فعقد سبحانه لواء هذه الحرب لخلاصة مخلوقاته، وهو القلب الذي هو محل معرفته، ومحبته وعبوديته، والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، فولاه أمر هذه الحرب.. وأيده بجند من الملائكة لا يفارقونه.. ﴿ **لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ** ﴾ [الرعد: ١١].

ثم أمده بجند آخر من وحيه وكلامه، فأرسل إليه رسوله، وأنزل إليه كتابه، فازداد قوة إلى قوته، ومددًا إلى مدده، وعدة إلى عدته.. وأيده مع ذلك بالعقل وزيرًا له ومدبرًا.. والمعرفة مشيرة عليه، وناصحة له.. والإيمان مثبتًا له ومؤيدًا وناصرًا، وباليقين كاشفًا له عن حقيقة الأمر.

أيها المسلمون.. أحباب رسول الله ﷺ...

ولما لم يجد الشيطان سبيلاً على المؤمنين الصادقين، لجأ إلى الوسوسة، فالشيطان يوسوس لابن آدم في كل شأن من شئونه.. حتى عند طعامه وشرابه، وغرضه الأكبر هو: أن يفسد عليه إيمانه.. فهو يسعى بخيله ورجله، ليطفئ نور العلم

والهداية في قلبه، ويوقعه في ظلمة الشك، فإذا شعر المسلم بشيء من ذلك، فعليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [فصلت: ٣٦].

والآن ليس إبليس وحده هو الذي يوسوس، وإنما إبليس له أعوانه من الإنس والجن.. من الجن هذا معقول، لكن من الإنس؟ نعم له أعوان من شيطان الإنس.

قال أحد السلف: رأيت الشيطان، فقال لي: كنت ألقى الناس، فأعلمهم طرق الإضلال، فصرت الآن أتعلم منهم.. وهؤلاء الأعوان يخلصون له العمل، ويخلصون إلى ما لا تخلص إليه الأباليس! ذلك لأن مردة الشياطين تربط وتصفد في شهر رمضان.. وأولئك لا يربطون.. ولا يقيدون.. فلا زاجر لهم من دين.. ولا ناهي لهم من عقل.

إنهم يدعون الناس إلى كل فاحشة ورذيلة.. يجاهرون بالمعاصي ويجاهرون بالفسوق.. يقول سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : إنَّ المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون. اتخذوا القينات لهم سلاحًا.. والمعازف وسيلة.. واللذة والنشوة غاية وهدفًا، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

غناء وغانية.. اختلاط وسفور.. واحتفالات ومهرجانات. وتلك - لعمر الله - أسلحة إبليس لإفساد وإضلال بني آدم.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الجاهلية الأولى فيما بين نوح وإدريس عليهما السلام، وكانت ألف سنة، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، فكان رجال الجبل صِبَاحًا، وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صِبَاحًا، وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام، فأجّر نفسه، فكان يخدمه، واتخذ إبليس شبابة - وهي

نوع من المزامير - مثل الذي يزمر فيه الرِّعاء، فجاء بصوت لم يسمع الناس بمثله، فبلغ ذلك من حوله، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيدًا يجتمعون إليه في السنة، فتبرّج النساء للرجال، وتبرّج الرجال لهن، وإنَّ رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصباحتهن، فأتى أصحابه، فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن، فنزلوا معهن، وظهرت الفاحشة فيهن، فهو قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فانظروا أيها الأحبة الكرام - بعين البصيرة - بمَ استعان إبليس على الفساد والإفساد؟ بأي وسيلة؟ أم بأي طريقة؟

وهذه الثلاث: (الغناء والطرب، والأعياد المحدثة المبتدعة، وإخراج النساء) هي أسلحة إبليس، وبها يلوح لأتباعه ونوّابه، فينادون بها، ويطالبون بوجودها.. وأولئك كما يقول ابن القيم رحمه الله: «نوّاب إبليس في الأرض، وهم الذين يثبطون الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين، فهؤلاء أضر عليهم من شياطين الجن، فإنهم يحولون بين القلوب، وبين هدي الله وطريقه.

وبين فترة وأخرى يصدح أولئك الورثة بمثل تلك الدعاوى، وإليها ينادون تارة تحت اسم الفن والذوق! وتارة خلف ستار الترفيه.. ولست أدري أترفيه أم تعرية؟ وتارة تحت شعار: الدين يسر، وأخرى تحت دعوى التشبث بالأصل وأن الأصل في الأشياء الإباحة، فتفتح المسارح ودور السينما بهذه الحجة وقديمًا احتج إبليس بالقدر! فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ ﴾ [الحجر: ٣٩]. ولن يُعدم مبطل حجة! ولن يُعدم محتال حيلة!

وقد عرف إبليس أن دعواه لا تروج، وأن الباطل لا يقبل إلا بدليل عقلي! وبتحسين القبيح.. لذا لما أراد إغواء آدم عليه السلام زين له الأكل من الشجرة تحت شعار: شجرة الخلد.. وبالدعوى إلى ملك لا يبلى ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ

ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠]، فكما كذب إبليس الخبيث في أول دعوى، فكذلك ورثته كاذبون.. ولذا قال الحبيب النبي ﷺ عن أحد أولاد إبليس: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**».

وسار على هذا النهج كل منافق معلوم النفاق، فقال أوائلهم وقد أقسموا اليمين: ﴿ **إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا** ﴾ [النساء: ٦٢]، وقد حلفوا ﴿ **إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ** ﴾ [التوبة: ١٠٧]. ﴿ **وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ** ﴾ [المنافقون: ١]. فنوّاب إبليس إن دعوا إلى العُريّ.. زعموا أنهم أرادوا الحسنى! وإن شجعوا على الاختلاط.. زعموا أنهم أرادوا الحسنى! وإن طالبوا بتدريس الموسيقى والغناء.. زعموا أنهم أرادوا الحسنى!

فالاختلاط والتعرّى صنوان، رضعا من ثدي الرذيلة! ولا يتأتى فساد مجتمع محافظ إلا عن طريق الاختلاط والتعري.

ولذا كانت - أيها الأحبة الكرام - المرأة وسيلة ناجحة، بل ورقة رابحة بأيدي دعاة الرذيلة.. حتى قال قائل أهل الصليب: كأس وغانية يفعلان في الأمة المحمدية ما لا يفعله ألف مدفع.

أيها المسلمون الموحدون...

وكذا المسرح وأمُّه الهاوية - السينما - من طرق ووسائل الأبالسة في إخراج المرأة فالمرأة تخرج بحجة الترفيه، وبدعوى الحرية الشخصية، لكي تشاهد عرضًا سينمائيًا ربما يعرض في آخر الليل، أو على الأقل في منتصف الليل.. والإنسان ابن بيئته يتأثر بما يشاهد وبما يعاشر.. والمرء على دين خليله.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: وقد ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر بأم الأفراح»[1]، ويسمونها في عصرنا

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ١١٢) لابن القيم.

بالمشروبات الروحية وهم الذين يسمون الربا بالربح، أو بالفائدة ويسمون الممثلة الخليعة بطلة، ويسمون المغنية الفاسقة الفاجرة: فنانة، ويسمون الاختلاط المستهتر بالتقدم ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والعصيان تحت اسم (الفن) كل هذا ليجذبوا قلوب الناس إلى فحشهم وخبثهم.

وسلاح الشيطان هو تقبيح صورة الحق، وتشويهها، وتسميته بأسماء منفرة فهو الذي أوحى إلى نوابه وأوليائه من الكفرة والجاحدين من قوم عاد أن يقولوا لنبيهم هود عليه السلام: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦].

وهو الذي أوحى إلى أوليائه من كفار مدين أن يقولوا للناس: ﴿ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٠].

وهو الذي أوحى إلى أوليائه من كفار قوم فرعون أن يسموا نبي الله موسى عليه السلام وهارون ساحرين.. ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣ ﴾ [طه: ٦٣].

وهو الذي أوحى إلى أوليائه من كفار قريش أن يسموا رسول الله محمدًا ﷺ بالساحر، والكاهن، والشاعر، والمسحور، والمجنون، وغير ذلك من الأسماء المنفرة: ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨].

وما زال الشيطان يسير بنفس الخطة، وبتلك الوسائل في عصرنا الحاضر، فهو الذي أوحى إلى أتباعه وأوليائه أن يسموا المجاهدين في سبيل الله بالإرهابيين، ويسمون المسلم الذي يبتعد عن دور الفسق والفجور بالمغلق - أو مقفول - ويسمون الحجاب الشرعي خيمة وتزمت، ويسمون المرأة التي جلست في بيتها رجعية ومتخلفة.

كل ذلك من وحي الشيطان يقول النبي المصطفى ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة، قَالَ: «**مَنْ**

أَطَاعَنِى دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى»(١).

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»(٢). ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى.. وسلام على عباده الذين اصطفى، هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. السماء سماؤه، والأرض أرضه، والكون كونه.. يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، البشير النذير.. والسراج المنير.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

ومن أسلحة إبليس اللعين، أنه يدخل إلى النفس من أحب الأبواب إليها، لأنه بذلك يحقق مراده وهواه، فيجد للشيطان من النفس عونًا، ومن الهوى مددًا.. فهو يدخل إلى نفس العابد من جهة العبادة، فيزيد فيها، ويحدث فيها من جنسها وهذا ما يسمى بالبدعة.. وهي أحب إلى الشيطان من المعصية، لأن العاصي يعترف بخطئه، فيتوب، أما المبتدع، فيرى أنه على صواب فلا يتوب.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سبق تخريجه.

فالشيطان يزين لهؤلاء مخالفتهم حتى يحسبوا الضلال هدى، والباطل حقًا، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

قال الحسن رحمه الله: لا يقبل الله لصاحب بدعة صومًا ولا صلاة ولا حجًا ولا عمرة.

ويوضح هذا الإمام ابن القيم رحمه الله فيقول: وهذا باب كيده الأعظم - أي دخوله على النفس من أحب الأبواب إليها - الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم، حتى يصادف نفسه ويخالطها، ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علم إخوانه وأولياءه من الإنس، إن أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضًا، أو يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره، فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مسدود»[1].

ومن أسلحته: التدرج في فعل المعاصي، فهو لا يقول للإنسان: افعل هذه المعصية أو ارتكب هذه الفاحشة، وإنما يقربه منها خطوة خطوة، وقديمًا قالوا: «نظرة فابتسامة فموعد فلقاء» وهنا يقع المحظور، ولذلك حذرنا الله تعالى من اتباع خطواته، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١].

اللهمَّ إنا نعوذ بك من شياطين الإنس والجن.. اللهمَّ قنا شرهم يا ذا الجلال والإكرام اللهمَّ اجعلنا من عبادك المقبولين، الذين رضيت عنهم، ورضوا عنك.. اللهمَّ بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه.

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ١١٢) لابن القيم.

اللهمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير.. اللهمَّ اجعلنا ممن تعرف عليك في حال الرخاء، فتعرفت عليهم في حال الشدة.

اللهمَّ إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر.. ونسألك النظر إلى وجهك الكريم.. والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.. يا أرحم الراحمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه يزدكم، واستغفروه يغفر لكم.. وأقم الصلاة.



الخطبة الخامسة والستون

أسلحة الإنسان ضد الشيطان

الحمد لله رب العالمين.. اللهمَّ لك الحمد، خلقتنا من عدم، وكبرتنا من صغر، وقويتنا من ضعف.. وبصرتنا من عمى، وأسمعتنا من صمم وأغنيتنا من فقر، وعلمتنا من جهل، وهديتنا من ضلالة لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة كبت عدونا، وأظهرت أمننا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد ملأ السموات والأرض وما بينهما أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد.. لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. ذي العزة التي لا تضام، والملك الذي لا يرام.. سبحانه سبحانه لا ند له ولا شبيه له.. ولا مثيل له.. ولا صاحبة له.. ولا ولد له.. هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فلا شيء بعده، وهو الظاهر فلا شيء فوقه، وهو الباطن فلا شيء دونه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد..

يا خير من طلعت على الأكوان أجمعها	بدرًا منيرًا أنار الكون أزمانًا
وصرت تدعو لدين الله في وسط	كانت ديانته شركًا وأوثانا
لولاك ما شاع شرع الله في بلد	ولا قرأنا عن الإسلام قرآنا
لازلت شمسًا على الأيام نيرة	تهدي البرية أشياخًا وفتيانًا

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الأحبة في الله...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا المسجد المبارك على طاعته، أن يجمعنا مع حبيبنا محمد ﷺ يوم القيامة في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.. وفي بداية هذا اللقاء المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنه من اتقاه وقاه، ومن توكل عليه كفاه.. وتقوى الله ﷻ هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهي جذوة تضيء القلوب والأفهام، وهي خير زاد يبلغ إلى دار السلام.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

لقاؤنا اليوم بعنوان: «**أسلحة الإنسان ضد الشيطان**».

لقد اتفقنا في لقاء سابق أن الشيطان الرجيم اللعين هو عدوٌّ لدود من أعداء الإنسان، لقول الرحيم الرحمن: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

ورحم الله القائل:

إني ابتليت بأربع ما سلطوا ... إلا لشدة شقوتي وعنائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهن أعدائي

وعداوته قديمة كما عرفنا، ومن أول لحظة ينزل فيها على هذا الكوكب الأرضي إلا والشيطان الرجيم يعلن الحرب عليه من أول لحظات وجوده في هذه الدنيا، قال ﷺ: «**مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلاَّ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا**»(١).

وفي حديث آخر: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**»(٢). وقد عرفنا أسلحة اللعين في لقاء سابق.

فما هي أسلحة الإنسان ضد الشيطان؟

وقبل أن نتعرف على هذه الأسلحة لا بد أن نتعرف على حقيقة من أهم الحقائق.. وهي أن الشيطان ضعيف كل الضعيف، وكيده ضعيف.. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٧٦]، والجني يخاف الإنسي كما ذكره صاحب كتاب آكام المرجان عن مجاهد رحمه الله قال: بينما أنا ذات ليلة أصلي، إذ قام مثل الغلام بين يدي، قال: فشددت عليه لآخذه، فقام فوثب فوقع خلف الحائط، حتى سمعت وقعته فما عاد إليَّ بعد ذلك.

وقال رحمه الله: إنَّ الشيطان أشد فرقًا من أحدكم منه، فإذا تعرض لكم فلا تفرقوا منه - أي لا تخافوا منه - فيركبكم، ولكن شدوا عليه فإنه يذهب.

وقد ذكر ابن الجوزي في تلبيس إبليس والقزويني في عجائب المخلوقات: أنّ عابدًا سمع قومًا يعبدون شجرة من دون الله، فحمل فأسًا، وذهب ليقطع تلك

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

الشجرة، فلقيه إبليس في صورة شيخ، فقال له: إلى أين وأي شيء تريد؟ فقال: أريد قطع هذه الشجرة التي يعبدها الناس من دون الله، فقال له: ما أنت وذاك؟ تركت عبادتك وتفرغت لهذا، فالقوم إن قطعتها يعبدون غيرها.

فقال العابد: لا بد لي من قطعها فقال إبليس - الذي جاءه في صورة الشيخ -: أنا أمنعك من قطعها، فصارعه، فغلبه العابد، وأوقعه على الأرض، وقعد على صدره، فقال له إبليس أطلقني حتى أكلمك، فأطلقه، فقال له: يا هذا، إن الله قد أسقط عنك هذا، وإن له عباد في الأرض، لو شاء أمرهم بقطعها، فقال له العابد: لابد لي من قطعها، فدعاه للمصارعة مرة ثانية، فصرعه العابد.

فقال له إبليس: هل لك أن تجعل بيني وبينك أمرًا آخر هو خير لك من هذا الذي تريد؟ فقال له: وما هو؟ فقال له: أنت رجل فقير، فلعلك تريد أن تتفضل على إخوانك وجيرانك وتستغني عن الناس فقال: نعم.

فقال له إبليس: ارجع عن ذلك، ولك عليَّ أن أجعل تحت رأسك كل ليلة دينارين تأخذهما تنفقهما على عيالك، وتتصدق منهما فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة، فتفكر العابد، وقال: صدقت، فعاهده إبليس وحلف له.

فلما أصبح العابد رأى الدينارين تحت رأسه، فأخذهما، وكذلك في اليوم الثاني، فلما كان في اليوم الثالث وما بعده، لم يجد العابد شيئًا، فغضب وأخذ الفأس، وذهب نحو الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليس في صورة ذلك الشيخ الذي لقيه أول مرة، وقال له: أين تريد؟ فقال له العابد: إلى قطع هذه الشجرة فقال له إبليس ليس لك إليها سبيل، فتناوله العابد ليغلبه كما غلبه من قبل فقال له إبليس: هيهات هيهات. وأخذ العابد وضربه على الأرض كالعصفور فقال العابد: خل عني وأخبرني كيف غلبتني؟

فقال له إبليس: لما غضبت لله تعالى، سخرني الله لك وهزمني أمامك، أما الآن في هذه المرة، غضبت من أجل الدينارين، ولنفسك فغلبتك [1].

أحبتي في الله...

وتلك القصة نستفيد منها أن الدينار والدرهم، والدنيا من أسلحة الشيطان، وأن المؤمن سلاحه الإيمان والإخلاص لله الواحد الديان، لأن العابد لما كان مخلصًا لله ﷻ في نية قطع الشجرة لأنها تعبد من دون الله، غلب الشيطان.. ودل ذلك على أن الشيطان ضعيف، والآدمي قوي بربه ، قري بإيمانه ، قوي بعقيدته.. والإخلاص سلاح من أعظم الأسلحة الإيمانية للمسلم الموحد، والإخلاص هو صدق النية مع الله ﷻ في جميع الأعمال التي أمرنا الله ورسوله بها.. قال ﷺ: «**إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْـعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»[2].

وقال الجنيد رحمه الله: إن لله عبادًا عقلوا، فلما عقلوا علموا، فلما علموا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع.. ولما كان الإخلاص حصنًا حصينًا يعصم الإنسان من كيد الشيطان، فقد عمل الشيطان بكل قواه، وبجميع حيله، ليخرج الإنسان من حصن الإخلاص.

السلاح الثاني: الذي يحارب به المسلم الشيطان هو توحيد الله ﷻ، لأن الشيطان كل هدفه، وأمنيته أن يزحزح عقيدة المؤمن من التوحيد إلى الكفر والشرك بالله ﷻ ﴿ **كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴾ [الحشر: ١٦]. يوقعه في الشرك والكفر والضلالة ثم يتبرأ منه.. يتبرأ منه في الدنيا ويتبرأ منه في الآخرة.. يقف في أهل النار، فيخطب خطبته الجامعة التي سجلها القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ **وَقَالَ**

---

(١) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي.

(٢) حسن: رواه أبو داود والنسائي عن أبي أمامة ﷺ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٥٦)، و«صحيح الترغيب» (١٣٣١)، و«الصحيحة» رقم (٥٢).

ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

إنه يخدعك ويمكر بك، ويوسوس لك، كي تزل قدمك، لكن تيقظ وأشهر في وجهه سلاح التوحيد والإخلاص.. ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أشهر سلاح التوحيد، واخلطه بدمك ولحمك، فمن أجله خلقت، وداوم عليه حتى تنتهي حياتك، تمسك به ولو كان في ذلك هلاكك، فهي سعادتك.

تأملوا أيها الأحبة الكرام...

يقول النبي الكريم ﷺ: «**دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل رجل النار في ذباب**» قالوا: كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: «**مرّ رجلان على قوم لهم صنم، لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب، فقال: ليس عندي شيء أقربه، قالوا: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقال للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله، فضربوا عنقه، فدخل الجنة**»(١).

٣ - السلاح الثالث: الاستعانة بالله الذي خلق الإنسان، وخلق الجان، وخلق كل الوجود قال النبي ﷺ موصيًا حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...**»(٢)، لا تستعن بملك، ولا نبي، ولا كبير ولا صغير وإنما استعن به وحده على عدوك، يخلصك من شره وكيده وخبثه.

فقد روى عن بعض السلف، أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول

(١) صحيح موقوف: رواه أحمد في «الزهد» وأبو نعيم في «الحلية».

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأحمد في «مسنده» وصححه الألباني.

لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: هذا يطول، أرأيت إن مررت بغنم، فنبحك كلبها، أو منعك من العبور ما تصنع؟! قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم، يكفه عنك.. ولله المثل الأعلى.

ودائمًا ردد الاستعاذة وقل: «أَعُوذُ بِاللَّـهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، فأنت بذلك تلتجئ إلى الله، وتستجير بجنابه.. قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

٤ - والاستعاذة هي السلاح الرابع من أسلحة المؤمن ضد هذا اللعين، فإنها تدحره وتهلكه.. اشهر هذا السلاح إذا وسوس لك في الصلاة، فإنه ينزجر عنك ويبتعد فهذا عثمان بن أبي العاص يقول لمعلمه وأستاذه شاكيًا من وسوسة اللعين: يا رسول الله إنَّ الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها عليَّ، فقال ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خِنْزِبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّـهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا»[1]. ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني.

أشهر في وجه الشيطان سلاح الاستعاذة إذا حلَّ بك غضب، فقد استب رجلان عند الحبيب النبي ﷺ حتى إنَّ أحدهما ليتمرغ أنفه من شدة الغضب، فقال النبي ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ»، فقالوا: ما هي يا رسول الله؟ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّـهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[2].

إذا أردت أن تدخل الخلاء، لتقضي حاجتك، فأشهر في وجهه سلاح الاستعاذة وقل قبل أن تدخل برجلك اليسرى: «اللَّـهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـخُبُثِ وَالْـخَبَائِثِ»[3]. والخبث والخبائث إناث الجن وذكورها.

إذا سمعت نباح الكلب أو نهيق حمار، فاخرج سلاحك، فإنها رأت شيطانًا

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٣).

(٢) رواه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠)، وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥)، وأحمد وأبو داود وغيرهم.

من شياطين الجن، فاستعذ بالله من شرها، قال معلم الإنسانية، وفقيه البشرية ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْـحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّـهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا» [١].
وفي رواية: «فَتَعَوَّذُوا بِاللَّـهِ، فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لاَ تَرَوْنَ».

٥ - والسلاح الخامس: هو سلاح البسملة، أشهرها في وجه عدوك، إذا قمت بأي عمل من الأعمال، سم الله عند الطعام.. وعند الشراب.. سم الله عند النوم، وعند الاستيقاظ سم الله إذا جلست، وإذا وقفت.. سم الله إذا وضعت شيئًا أو رفعته.. فإن الشيطان يتصاغر.. فقد كان أحد أصحاب النبي ﷺ رديفه على حمار فعثر الحمار، فقال: تعس الشيطان، فعلمه النبي ﷺ أن يقول غير هذا قال النبي ﷺ: «لاَ تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ تَعِسَ الشَّيْطَانُ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّـهِ تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ» [٢].

وعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّـهِ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّـهِ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّـهِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ» [٣].

٦ - وهذا السلاح من أشد الأسلحة فتكًا بالشيطان، وأعوانه، إنه سلاح الذكر:

قال ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس.

وقال: ما من مولود يولد إلا على قلبه الوسواس، فإذا ذكر الله خنس، وإذا

---

(١) رواه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).
(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» وأبو داود والحاكم ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٠١).
(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والدارمي والنسائي في «عمل اليوم والليلة» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٠).

غفل وسوس.. وفي حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام في حديث الكلمات الخمس التي منها: «وآمركم بذكر الله كثيرًا، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في إثره، حتى أتى حصنًا فأحرز نفسه منه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله»(١) . فالذي يداوم على ذكر الله تعالى يحرز نفسه من الشيطان اللعين، لكن الذي يتغافل عن الذكر، يدع نفسه للشياطين تلعب به وتغويه، وتوسوس له، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وكما أن ذكر الله ﷻ يضعف شياطين الجن، فإنه يضعف شياطين الإنس، وهل للإنس شياطين؟ نعم.. لقد سأل هذا السؤال الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عندما قال له رسولنا ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ بِاللَّـهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْـجِنِّ وَالإِنْسِ». قُلْتُ: أَوَلِلإِنْسِ شَيَاطِينُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»(٢).

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا يموت، والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان.

أو كما قال: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْـخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(٣). أو كما قال: ادعوا الله.



(١) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه ابن حبان في «صحيحه» ، والطبراني، وصححه الألباني .

(٢) ضعيف: رواه أحمد والنسائي، وضعف الألباني في «ضعيف سنن النسائي».

(٣) حسن: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والدارمي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥١٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله.. على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، تعظيمًا لشأنه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، النبي المصطفى، والرسول المجتبى، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

٧ - ومن أسلحة الإنسان ضد الشيطان: قراءة سورة البقرة، قال ﷺ «**إنَّ الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِى يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لاَ يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ**»(٢).

وقال: «**اقرءوا سورة البقرة في بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتًا يقرأ فيه سورة البقرة**»(٣).

وآخر آيتين في سورة البقرة سلاح وقائي من شر شياطين الجن، قال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِى لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(٤). قيل: كفتاه من الشيطان، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَىْ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ، خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلاَ يُقْرَآنِ فِى**

---

(١) حسن: «السلسلة الصحيحة» رقم (٥٨٨).

(٢) رواه مسلم والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح، وأحمد في «مسنده».

(٣) صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٦٣)، و«صحيح الجامع» (١١٧٠).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ»[1].

٨ - وسلاح آخر من كتاب الله ﷻ مضاد للشياطين، وهو سلاح المعوذتين قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس.

يقول سيد الناس ﷺ لعقبة بن عامر رضي الله عنه: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

وفي رواية: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْـمُتَعَوِّذُونَ؟** قال عقبة رضي الله عنه: بلى يا رسول الله ، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

٩ - وآخر سلاح مضاد لجميع أنواع الشياطين، وهو سلاح آية الكرسي، أشهر هذا السلاح عند نومك في وجه الشيطان، وعند قيامك من النوم، وبعد صلواتك، تحفظ من كل الشياطين.. كما في حديث أسير الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه الذي كان يسرق من صدقة رمضان، فعندما أمسك به في المرة الثالثة قال له: ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقال له: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت له: ما هن؟ قال: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي حتى تختمها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلي سبيله.

فلما أخبر النبي ﷺ بذلك، قال له: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قال: لا، قال: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»[2].

اللهمَّ منك الفرج، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، ولا حول ولا قوة إلا

---

(١) صحيح: رواه الترمذي والنسائي وابن حبان ، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٦٧).

(٢) سبق تخريجه.

بك يا رب العالمين.. اللهمَّ يا سامع كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا رافع كل بلوى، يا أمان الخائفين، وملاذ الهاربين.. يا ناصر المستضعفين.. اشف مرضنا ومرضى المسلمين اللهمَّ اشف أمراضنا وأمراض المسلمين.. وارحم موتانا وموتى المسلمين.. واغفر لنا ذنوبنا يا رب العالمين.. اللهمَّ اهدّ شبابنا وشباب المسلمين.. اللهمَّ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا.. وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



الخطبة السادسة والستون

تفكر وتعرف على (عالم الحيوان)

الحمد لله.. المتفرد بكمال الصفات، المتنزه عن العيوب والآفات خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في لحظات.. سبحانه سبحانه.. خلق فقدر، ودبر فيسر.. لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.. له الملك، وله الحمد، وله الخلق، وله الأمر، فسبحانه من إله عظيم، وملك رب رحيم، ولطيف بالعباد عليم أحمده حمدًا يتردد، وأشكره شكرًا يتزايد، وأثني عليه ثناء يتجدد تجدد الأنفاس.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له في سلطانه، ولا مناوئ له في علو شأنه.. أشهد أنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.. هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.. هو الأول فلا شيء قبله، وهو الآخر فلا شيء بعده، وهو الظاهر فلا شيء فوقه، وهو الباطن فلا شيء دونه، علا فقهر، وملك فعدل وبطن فخبر.. لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا.. عبده ورسوله.. وصفيه من خلقه وحبيبه.. هو الشافع المشفع.. أعظم الناس قدرًا.. وأرفعهم ذكرًا.. وأعلاهم شرفًا.. وأكثرهم صلاة وصومًا.. حتى تفطرت قدماهُ نبي رجفت من هيبته قلوب الجبابرة، نبي ما طلعت الشمس على أحد أزكى منه، وأتقى لربه وأطهر.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه ما تعاقب الليل والنهار، وأورقت الأشجار، وأينعت الثمار، ونزلت الأمطار.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأبشركم بحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْـمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّـهُ لَهُ فِي الْـجَنَّةِ، نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»(١).

وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يجمعنا على حوض نبينا وحبيبنا محمد ﷺ لنشرب من يده الشريفة المباركة، شربة هنيئة مريئة، لا نظمأ بعدها أبدًا، حتى ندخل جنة ربنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الطيب المبارك أوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية، فإنها أنفع الوسائل والذخائر، ولا تكونوا كالذين بدلوا نعمة الله كفرًا، ولم يلتفتوا إلى ما أمامهم من الموارد والمصادر.

﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

وما زال اللقاء موصولاً مع سلسلتنا المباركة (**تفكَّر وتعرَّف**) فمعرفة الله ﷻ تتفجر من خلالها ينابيع الخيرات، وعنها تصدر أحسن العبادات، وأكمل المقامات لذا لما كان النبي ﷺ أكمل الأمة معرفة بالله ﷻ كان أتقاهم له، وأخشاهم، قال ﷺ: «**أَمَا وَاللَّـهِ إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّـهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»(٢).

فمعرفة الله ﷻ بها تحيا القلوب، وتزكو الأرواح، وتجعل المسلم يقبل على ربه وينشغل به، وليس عند أولي العقول والنهى أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أنعم

---

(١) رواه مسلم والبخاري وغيرهما.

(٢) رواه مسلم.

من معرفة الله ﷻ وهذا اللقاء نتعرف فيه على بديع صنع الله ﷻ في هذا الكون، ولقاؤنا هذا نتعرف فيه على (عالم الحيوان).

وعالم الحيوان عالم عجيب، وقد ذكر القرآن الكريم حيوانات عديدة في مواضع متعددة إما تبيانًا لتحريم (كالخنزير) أو لوصف خلق ذميم لبعض البشر (كالحمار والكلب) أو للتفكر في آيات الخلق كالإبل، أو لتشريف هذه الحيوانات كالخيل، وهناك سور سميت باسم بعض الحيوانات، التي ذكرت فيها مثل: سورة البقرة، والفيل، والأنعام وقد ذكر في القرآن الكريم البغل، والضأن، وهي الكبش: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصافات: ١٠٧].

والنعجة، والماعز، وذكر القرآن الكريم العجل، ويشمل عجل إبراهيم عليه السلام السمين والعجل الذي كان له خوار، الذي اتخذه بنو إسرائيل إلهًا.. وقد ذكر الذئب في سورة يوسف عليه السلام.. وذكر الأسد بلفظ قسورة، أو السبع، وذكر القرد.

لكن مع أي الحيوانات نتحدث اليوم، إن في جميعها دلالة على قدرة الله ﷻ، وتذكير بآياته، وعظمته، وبيان لما عليه الواحد الأحد من قدرة عظيمة.. لكننا سوف نتوقف مع بعض عجائب هذا العالم، الذي يوحد الله ﷻ ويقدسه، ويسبحه، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لكلمة (أممٌ أمثالكم) أي يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني، ويحمدونني.

وقال مجاهد: أمم أمثالكم، أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها.

وقال ابن قتيبة: أمم أمثالكم في طلب الغذاء، وابتغاء الرزق، وتوقي المهالك.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم، فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم من يعدو عدو الذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلاب ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقي إليها بطعام طيب عافته، فإذا

قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه، فلذلك تجد من الآدميين ما لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، وإن أخطأ رجل ترواه وحفظه.

قال الخطابي رحمه الله: ما أحسن ما تأول سفيان هذه الآية.

وأول العجائب تلك البقرة، التي أخبرنا النبي المصطفى ﷺ أنها تعلم العلة التي خلقها العلي العظيم، والقادر المقتدر لأجلها، قال ﷺ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ أَعْيَا فَرَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِحِرَاثَةِ الأَرْضِ**». فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّـهِ بَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»[1].

وما أعظم ما امتن الله ﷻ به على عباده مما يخرج من بطونها ومن بطون غيرها من الأنعام.. قال الله ﷻ: ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ** ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل: ٦٦].

وإشارة القرآن الكريم إلى خروج اللبن سائغًا، طيب الطعم، وخالصًا نقيًا من اللون والطعم والرائحة غير المرغوبة، هذه الإشارة تدل على نعمة الخالق جل جلاله وقدرته، فتأملوا كيف تقوم الغدد اللبنية في الضرع بعملية التصفية والتمييز بين المواد النافعة، والمغذية من الدم، والابتعاد عن المواد الضارة مثل حمض البوليك وغير ذلك.

بل سائل اللبن المصفّى كان بين دم ... وفـــرث مـــن الـــذي صـــفاكا؟

بل البقرة ومعها الجاموس، والإبل، وغيرها فيها عبرة بكثرة منتجاتها، التي لا يستطيع الإنسان بحال أن يستغني عنها.. ﴿ **وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ** ﴿٨٠﴾ ﴾ [النحل: ٨٠].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

أيها الموحدون...

وهذا حيوان آخر أمره عجيب، إنه الذئب، قال ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمٍ لَهُ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ مِنْهَا فَأَخذَهَا، فَأَدْرَكَهَا صَاحِبُهَا فَاسْتَنْقَذَهَا، فَقَالَ الذِّئْبُ: فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي**». فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّـهِ! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ؟. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ذئب إلى راعي غنم، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تل، فأقعى، واستذفر، فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل أخذته ثم انتزعته مني، فقال الرجل: تالله ما رأيت كاليوم، ذئبًا يتكلم، فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات - يقصد رسول الله ﷺ - بين الحرتين، يخبركم بما مضى، وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديًا، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فأسلم، وخبّره، فصدقه رسول الله ﷺ ثم قال له: «**إنها أمارة من الأمارات بين يدي الساعة..**»(٢).

من الذين علم هذا الذئب إذا نام أن يناوب بين عينيه، فينام بإحداهما، حتى إذا نعست الأخرى، نام وفتح بها الثانية

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

وروى البيهقي أن امرأة وجدت جرو ذئب، كاد أن يقتله البرد، فأخذته، وأرضعته شاة لها، فكان لها رضيعًا، حتى كبر، فجاءت يومًا فوجدته قد بقر بطنها، فأنشدت:

بقرت شويهتي وفجعت قلبي ... وكنت لها ابنًا ربيب

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» برقم (٥٩٢٧)، و«صحيح سنن الترمذي» برقم (٣٦٩٥).

غـذيت بلبـنها وعـشت معهـا فمـن أدراك أن أبـاك ذيـب
إذا كانـت الطـباع طـباع ذئـب فـلا أدب يفـيد ولا أديـب[١]

أيها الأحبة الكرام...

ومن الحيوانات التي فيها مكر ودهاء (الثعلب) وهو يدل على قدرة وعظمة من علمه وهداه.. قيل لرجل: من علمك هذا التحيل في طلب الرزق ووجوه تحصيله؟

قال: من عَلَّم الثعلب تلك الحيل التي يعجز العقلاء عن علمها وعملها، وهي أكثر من أن تذكر.

يقول ابن القيم رحمه الله: ومن عجيب هداية الثعلب أنه إذا امتلأ من البراغيث أخذ صوفة بفمه، ثم عمد إلى ماء رقيق، فنزل فيه قليلاً، حتى ترتفع البراغيث إلى الصوفة فيلقيها في الماء، ثم يخرج[٢].

ومن عجيب أمره أنه إذا اشتد به الجوع انتفخ، ورمى نفسه في الصحراء كأنه جيفة فتأتي إليه الطير، فلا يظهر حركة ولا نفسًا، فلا تشك أنه ميت، حتى إذا نقر الطائر بمنقاره، وثب عليها، فضمها ضمة الموت.

يقول: ومن عجيب أمره أنه إذا أصاب القنفذ، قلبه لظهره، لأجل شوكه، فيجتمع القنفذ حتى يصير كبة شوك، فيبول الثعلب على بطنه، فإذا أصابه البول انبسط فيسلخه الثعلب من بطنه ويأكل مسلوخه[٣].

فمن علم الثعلب ذلك؟ ومن الذي أعطاه الذكاء الذي يصنع به هذه الحيل؟

إنه الله القادر، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

---

(١) «حياة الحيوان» للدميري.
(٢) «شفاء العليل» (ص ١٦٢) لابن القيم.
(٣) المصدر السابق.

يقول الدميري في حياة الحيوان: ومما يروى من حيل الثعلب ما ذكره الشافعي رحمه الله قال: كنّا في سفر في أرض اليمن، فوضعنا سفرتنا لنتعشى، فحضرت صلاة المغرب، فقمنا نصلي، ثم نتعشى، فتركنا السفرة كما هي، وقمنا إلى الصلاة، وكان بين الطعام دجاجتان فجاء الثعلب، فأخذ إحداهما، فلما قضينا الصلاة، أسفنا عليها - أي حزنا - وقلنا: حرمنا طعامنا، فبينما نحن كذلك، إذ جاء الثعلب وفي فمه شيء، كأنه دجاجة، فوضعه، فبادرنا إليه لنأخذه، ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها، فلما قمنا، جاء إلى الأخرى وأخذها من السفرة، فوجدنا الذي قمنا لأجله، ليف قد هيأه مثل الدجاجة[1] .

يا سبحان الله.. من علم الثعلب هذا؟ إنها قدرة القدير المقتدر، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

أحبتي في الله...

وهذه هرة - قطة - اعتادت أن تجد طعامها كل يوم أمام بيت أحد المهتمين بها، فتأكله، وفي أحد الأيام لاحظ رب البيت أن الهرة لم تعد تكتفي بالطعام الذي يضعه أمامها فأصبحت تسرق غير هذا الطعام، فرصدها وراقبها، فوجدها تذهب بالطعام إلى هرة أخرى عمياء، فتضع الطعام أمامها، فتبارك القائل في محكم كتابه: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [هود: ٦]، وقال: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦].

سبحان الله! عجبت لمن أيقن بالرزق، ثم هو ينصب ويتعب.

يقول مالك بن دينار رحمه الله: كنت أتناول طعامي ذات مرة، فدخل عليَّ قط، فخطف قطعة لحم، ثم جاء ليأخذ قطعة أخرى، فأعطيته، ثم تتبعته إلى أين يذهب

---

(١) «حياة الحيوان» للدميري (١/ ٢٥٤) وبنحوه في «شفاء العليل».

بها؟ وإذا به - أي القط - يرمي به أمام جحر، فنظرت لأرى ما بداخله، فرأيت ثعبانًا أعمى فاقد البصر.. تأملوا..

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل ... الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل

فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا ... لكنه خلق الإنسان من عجل

قط يسعى لأجل ثعبان أعمى، وبين القط والثعبان ما بينهما من العداوة، فمن الذي نزع العداوة من قلبيهما؟ من الذي أوحى إلى القط أن يخطف قطعة اللحم لهذا الثعبان؟ إذا كان ربنا ﷻ لا ينسى ثعبانًا يلدغ، فكيف ينسى أن يرزق من يقول: لا إله إلا الله رب العزة والجلال يقول: يا موسى، ما خافني من خاف الخلق، وما توكل عليّ من خاف فوات الرزق.

أحبتي في الله...

ومن الحيوانات من عالم الحيوان (الكلب) وهو معروف بوفائه للإنسان، ووفاؤه دال على عظمة الخالق جل في علاه وقدرته، فعن ابن شداد قال: رأيت رجلاً له كلب يُقربه ويغطيه بديباج (نوع من الحرير) فسألته عن السبب، فقال: كان لي رفيق يعاشرني فخرجنا في سفر، وكان في وسطي هميان (حزام) فيه جملة دنانير، ومعي متاع كثير، فنزلنا فعمد إليَّ فأوثقني لص، ورمى بي في واد، وأخذ ما كان معي وذهب، وقعد هذا الكلب معي، ثم تركني ومضى، فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف، فطرحه بين يدي، فأكلته وحبوت إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معي ليلتي، ثم نمت ففقدته، فما كان بأسرع أن وافاني ومعه رغيف، فأكلته، فلما كان في اليوم الثالث غاب عني، فقلت يمضي، ويجيئني بالرغيف، فجاء ومعه الرغيف، فرمى به، فلم أستتم أكله، إلا وابني يبكي على رأسي، وقال: ما تصنع ههنا؟ وما قصتك؟ ونزل وحل كتافي وأخرجني فقلت له: من أين علمت بمكاني؟ ومن دلك عليّ؟ فقال: كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح له الرغيف على اسمه، فلا يأكله، فأنكرنا رجوعه، لأنه كان معك،

فيرجع دونك، وكان يحمل الرغيف بفمه دون أن يأكله، ولا يذوقه، فتتبعناه حتى أتيت إليك[1].

فمن الذي علم هذا الحيوان أن يكون وفيًا لصاحبه هكذا؟ إنه الله رب العالمين.

ويذكر صاحب كتاب (من الثوابت العلمية في القرآن) بعض التصرفات الذكية الألمعية عند الحيوان، ما يدل على معنى قول الله ﷻ: ﴿ **رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ [طه: ٥٠]. يذكر أنَّ طبيبًا وجد في طريقه كلبًا، كسرت إحدى قوائمه، فأخذه إلى عيادته، واهتم بها وقومها، وجبرها، واعتنى به، حتى شفي تمامًا، ثم أطلق سراحه، وبعد ذلك بزمن، سمع الطبيب قرعًا لطيفًا رقيقًا على باب عيادته، فوجد الكلب نفسه مصطحبًا معه كلب آخر مكسور الرجل، جاء به إلى الطبيب ليعالجه.. سبحان الله، ولا إله إلا الله.. من علم الكلب ذلك؟ من أودع في عقله وذكائه أن هذا هو الطبيب المعالج.. إنه حيوان أعجم، نجس، لا يجوز تربيته في بيت إلا للضرورة القصوى، ومع ذلك له هذه الأفعال التي تدل على قدرة الخالق العظيم، وتدل على وحدانيته جل في علاه.

قال ابن خلف: حدثني بعض أصدقائي قال: دخلت بستانًا، ومعي كلبان لي قدر بينهما، فنمت، فإذا هما ينبحان، فانتبهت، فلم أر شيئًا أنكره، فعادوا النبح، فضربتهما ونمت، فإذا بهما يحركانني بأيديهما وأرجلهما، كما يوقظ النائم، فوثبت، فإذا ثعبان أسود كبير، قد اقترب مني، ووثبت، فقتلته، فكانا سبب سلامتي[2].

أحبتي في الله...

ومن كتاب عجائب الأحياء أنَّ فرسًا صغيرًا ماتت أمه عنه - ومعروف بأن

---

(١) «الأذكياء» لابن الجوزي (ص ٢٩٨).
(٢) «الأذكياء» لابن الجوزي (ص ٢٩٨).

اليتيم من الحيوانات من ماتت أمه - فقام صاحبها الأعرابي واسمه (الزعتري) الذي يسكن مدينة مرسى مطروح بمصر يقوم برعاية الفرس اليتيم رعاية، بلغت حد التدليل، فكان يقدم له الشعير مخلوطًا بالسكر، وإذا مرض، استدعى له الطبيب البيطري، لفحصه، ولا غرابة أحبتي في الله في هذا الاهتمام إذا علمتم ما رواه النسائي من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَا مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلاَّ يُؤْذَنُ لَهُ عِنْدَ كُلِّ سَحَرٍ بِدَعْوَتَيْنِ: اللَّـهُمَّ خَوَّلْتَنِى مَنْ خَوَّلْتَنِى مِنْ بَنِى آدَمَ، وَجَعَلْتَنِى لَهُ، فَاجْعَلْنِى أَحَبَّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ، أَوْ مِنْ أَحَبِّ مَالِهِ وَأَهْلِهِ إِلَيْهِ»**[(١)].

فالفرس يتوجه بالدعاء لمولاه.. ويمرض الزعتري، فيفقد الفرس شهيته، ويترك حظيرته، ليرابط أمام خيمة صاحبه، وظل كذلك أيامًا حتى مات الرجل، وحمل المشيعون جنازته، فسار الفرس خلفهم حزينًا، فنكس الرأس، حتى دفن صاحبه العزيز عليه في التراب، ولما همَّ المشيعون بالرجوع، انطلق الفرس المفجوع كالبرق، وظل منطلقًا، حتى وصل إلى تل عال، فصعده، ثم ألقى بنفسه من قمته، ليلقي حتفه وسط جموع الناس، وكان الجميع مندهشًا.

فمن الذي رزق هذا الحيوان الأعجم هذه الأحاسيس، وتلك المشاعر؟ إنه الله رب العالمين.

أحبتي في الله...

يقول النبي ﷺ: **«تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذات الله»**[(٢)]

وفي رواية: **«تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله»** أو كما قال: **«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»**[(٣)] . ادعوا الله.

---

(١) صحيح: «صحيح سنن النسائي» للألباني رقم (٣٥٧٩).

(٢) حسن: رواه ابن حبان، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٧٦)

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٧٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.. عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا ومعلمنا محمدًا عبد الله ورسوله، النبي المصطفى، والرسول المجتبى، اللهمَّ صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الطاهرين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ...

إنَّ عالم الحيوان عالم عجيب، فيه كل العجائب، التي تجعل المسلم يذعن لربه، ويشهد له بالقدرة والسلطان والعظمة.. هل سمعتم أن القرود يقيمون حدًّا من حدود الله ﷻ فقد روى البخاري عن عيسى بن حطان قال: دخلت مسجد الكوفة، فإذا عمرو بن ميمون الأودي رحمه الله جالس وعنده ناس، فقال له رجل: حدثنا بأعجب شيء رأيته في الجاهلية، قال: كنت في حرث لأهل اليمن، فرأيت قرودًا كثيرة قد اجتمعن، قال: فرأيت قردًا وقردة، اضطجعا، ثم أدخلت القردة يدها تحت عنق القرد، واعتنقتها، ثم ناما، فجاء قردٌ فغمزها من تحت رأسها، فاستلت يديها من تحت رأس القرد، ثم انطلقت معه غير بعيد، فنكحها وأنا أنظر، ثم رجعت إلى مضجعها، فذهب - أي أرادت - أن تدخل يدها تحت رأس القرد، كما كانت، فانتبه القرد، فقام إليها، فشم دبرها، فصاح، فاجتمعت القردة، فجعل يشير إليها، فتفرقت القردة، فلم ألبث أن جيء بذلك القرد بعينه، أعرفه، فانطلقوا بها وبالقرد إلى موضع كثير الرمل، فحفروا لهما حفيرة، فجعلوهما فيها ثم

رجموهما حتى قتلوهما، والله لقد رأيت الرجم قبل أن يبعث الله محمدًا ﷺ[١].
وفي رواية البخاري أن عمرو بن ميمون رجمهما معهم.

فمن الذين علم القردة حد الرجم؟! سبحان الله العظيم.

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَبِيعُ الْـخَمْرَ فِي سَفِينَةٍ، وَمَعَهُ فِي السَّفِينَةِ قِرْدٌ، فَكَانَ يَشُوبُ الْـخَمْرَ بِالْـمَاءِ. فَأَخَذَ الْـقِرْدُ الْـكِيسَ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ فَوْقَ الدُّورِ، وَفَتَحَ الْـكِيسَ فَجَعَلَ يَأْخُذُ دِينَاراً فَيُلْقِيهِ فِي السَّفِينَةِ، وَدِينَارًا فِي الْـبَحْرِ، حَتَّى جَعَلَهُ نِصْفَيْنِ**»[٢].

فمن الذين ألهم القرد أنَّ هذا المال حرام، لأن الرجل يغش في بيعه الخمر، ويخلطها بالماء.. إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

قال الدميري رحمه الله: وهذا الحيوان شبيه بالإنسان في غالب حالاته، ويقبل التلقين والتعليم، ويأنس بالناس، وإذا سقط في الماء غرق مثل الآدمي، الذي لا يحسن السباحة.. وقد ذكر بعضهم لمؤلف كتاب (عجائب الهند) أنه رأى قردًا بقرية من القرى في منزل أحد التجار يخدمه، يكنس منزله، ويفتح الباب لمن دخل ويغلقه، ويوقد النار تحت القدر، وينفخ فيه حتى يُوقد، ويزوده بالحطب، وينشى الذباب عن المائدة، ويروح على مولاه بالمروحة. فسبحان الخلاق العظيم[٣].

أحبتي الكرام...

والفأر من الحيوانات وهي التي سماها الرسول بالفويسقة، ومن الحيوانات التي تقتل في الحل والحرم.

---

(١) رواه البخاري مختصرًا في «مناقب الأنصار» (٣٨٤٩)، وهو في «التاريخ الكبير» ترجمة رقم (٢٦٥٩)، وهو في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٢٦٥) للمزي.
(٢) صحيح: رواه أحمد والبيهقي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٨٤٤)، و«صحيح الترغيب» (١٧٧٠).
(٣) «عجائب الهند» (ص ٨٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن عجيب أمرها أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلى الجرة فنقص، وعزَّ عليها الوصول إليه، ذهبت، وحملت في أفواهها ماء وصبته في الجرة حتى يرتفع الزيت، فتشربه من الذي علم الفأر أن كثافة الزيت أعلى من كثافة الماء؟ إنه الله.. الذي خلق فسوى.. وقدر فهدى..

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات اللهمَّ زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.. اللهمَّ تول أمرنا، وأحسن ختامنا يا أكرم الأكرمين..

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.

الخطبة السابعة والستون

تفكر وتعرف على (عالم الحشرات)

الحمد لله.. ذي العزة والجبروت، والملك والملكوت، الدائم فلا يزول، والباقي فلا يفنى.

سبحان من آياته على وجوده شاهدة، ودلائل قدرته وعظمته بتنزيهه ناطقة، فهو الواحد في ذاته.. الواحد في صفاته، الواحد في أفعاله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير..

الشَّمس والبدر من أنوار حكمته ... والبر والبحر فيض من عطاياه

الطير سبحه والوحش مجده ... والموج كبره والحوت ناجاه

والنمل تحت الصخور الصم قدسه ... والحوت يهتف حمدًا في خلاياه

والناس يعصونه جهرًا فيسترهم ... والعبد ينسى وربي ليس ينساه

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. خلق كل شيء فقدره تقديرًا ووسع كل شيء رحمة وعلمًا وتدبيرًا، أحق من ذكر، وأحق من عبد وأولى من شكر، وأجود من سئل، وأرأف من ملك، وأعدل من انتقم، هو الملك لا شريك له، ولا ند له، ولا صاحبة له، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله.. أرسله بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، اللهمَّ صل وسلم وبارك على عبدك وخليلك محمد بن عبد الله، ما ذكره الذاكرون الأبرار.. وصل عليه ما تعاقب الليل والنهار، وصلِّ على محمد ما لاحت الأنوار وغردت الأطيار، وأورقت الأشجار، وأينعت الثمار، واختلفت الأمصار، وتتابعت الأعصار.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

طبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم كما جمعنا في هذه الدنيا على طاعته أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته وفي بداية هذا اللقاء الطيب المبارك أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ.

فتقوى الله جماع الخيرات، وحصون البركات.. ما من خير عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن، إلا وتقوى الله ﷻ موصلة إليه، ووسيلة له، ودليل عليه، وما من شر عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن، إلا والتقوى حرز منه حصين، ودرع منه مكين فهي دعوة الأنبياء، وشعار الأولياء، فكل نبي يقول لقومه: ﴿ **أَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [الشعراء: ١٠٦].

أحبتي في الله...

وما زال حديثًا موصولاً في سلسلتنا الطيبة (تفكر وتعرف) واليوم تتعرف على عالم دقيق عجيب، عالم رقيق.. إنه عالم الحشرات.

وإنه من المستقر في العقول السليمة أنه لا بد لهذا العالم كله من صانع دلت آيات إحكامه لصنعته، وما أظهر فيه من عجائب قدرته، وأن وراء كل مخلوق من المخلوقات التي خلقها الله ﷻ غاية وهدف.. فكل دابة من الدواب، وكل صنف من حيوان أو نبات أو حشرات خلق لحكمة بالغة، فلم يخلق الله ﷻ شيئًا من هذا الكون عبثًا.. ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾** ﴾ [ص: ٢٧].

ومن آياته الدالة على كمال قدرته، وجمال صنعته، هذا العالم العجيب، عالم الحشرات تعالوا بنا لنتعرف على هذا العالم.. الذي ذكره الله ﷻ في القرآن الكريم، وذكره النبي الأمين، والرسول العظيم ﷺ نحن اليوم على موعد مع علماء الاقتصاد وهندسة المباني، وهؤلاء ليسوا من الإنس.. ولا من الجن.. ولا من الملائكة.. إذن فمن يكونون هم؟

اسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

لما أراد رب العزة والجلال أن يخاطبهم خاطبهم بما خاطب به الأنبياء فقال: وأوحى ربك إلى النحل.. والوحي معناه الإلهام الفطري أو الغريزي.

وقد توقفنا مع النحلة قبل ذلك، لكني هنا أود أن أشير إلى قدرة القادر في هذا العالم العجيب، الذي يدل على قدرة الرب العظيم تبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره.. فهل تأملنا النحل وأحواله وأعماله، وما فيها من العبر، والآيات الباهرات ألم تروا إلى أقراص شمعها السداسية، في إتقان بنائها، وإحكام صنعها، الذي أدهش، وما زال يدهش علماء النحل والحساب، والمقاييس التي سمحت لهذا المخلوق بالوصول إلى هذا العمل الهندسي الدقيق.. هل هذا بواسطة قرني الاستشعار والفكين الذين يدعى علماء الأحياء أن الطبيعة زودتها بهما؟!

سبحان الله.. وتبارك الله.. عجيب وغريب منطق هؤلاء.. إنهم يتسترون وراء كلمات جوفاء مثل (الطبيعة، والصدفة، والتطور) ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

النحل مأمور بالأكل من كل الثمرات، خلافًا لكثير من الحشرات، التي تعيش على نوع معين من الغذاء.. وتعجبون أنها لا تقف على نبات التبغ الذي يصنع منه الدخان فهي لا تأكل إلا الطيب، ولا تقف إلا على الطيب، قال النبي ﷺ: «**مثل المؤمن مثل النحلة، إن أكلت أكلت طيبًا، وإن وضعت وضعت طيبًا، وإن وقعت على عود نخر لم تكسره**»[(١)].

(١) حسن: رواه الطبراني وابن حبان وغيرهما، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٤٦).

وقد زودها الله ﷻ بقرني استشعار وجعل فيهما شعيرات عصبية دقيقة يصل عددها إلى ثلاثين ألفًا تشكل حاسة الشم والسمع واللمس، وتعمل كالكشاف في ظلام الخلية.. فسبحان من وهبها ذلك، وبه زودها وللنحلة عيون كثيرة: عينان في حافتي الرأس، وعينان في أعلى الرأس، وتحتهما عين ثالثة، مما جعل لها سعة أفق في النظر، ولذلك فهي ترى أقصى اليمين، وأقصى الشمال وترى البعيد والقريب في وقت واحد، مع العلم بأن عيونها لا تتحرك، ولذلك من الممكن أن يعيش النحل في أماكن فيها سحب معظم شهور السنة، مع أن رؤية الشمس ضرورية لمعرفة مكان الحقول التي فيها غذاء للنحل، ولذلك مكنها الله ﷻ من رؤية الشمس من وراء تلك السحب، وذلك لئلا تموت جوعًا في حالة اختفاء الشمس خلف الغمام، كما هو في بعض البلدان.. إنها حقيقة مذهلة.. تدل على حكمة الله ﷻ وقدرته ووحدانيته، وكمال تدبيره.. فتبارك الله أحسن الخالقين.

أما فم النحلة فعجيب من أعاجيب قدرة الله ﷻ، لأن الله تعالى زوده بما يمكنه من أداء جميع الوظائف الحيوية، فهو يقضم ويلحس، ويمضغ ويمتص، ومع هذا شديد الحساسية لما هو حلو الطعم.. فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

أما سمع النحل فدقيق جدًا، يتأثر بأصوات وذبذبات لا تستطيع أن تنقلها أذن الإنسان فسبحان الخلاق العظيم.

أحبتي في الله...

إنَّ النحلة تستطيع الرجوع إلى خليتها والتعرف عليها من بين عشرات الخلايا، بلا عناء ولا تعب، ولو ابتعدت عنها آلاف الأميال، إنَّ لها ذبذبات مع الخلية، أو كأنها تحمل لاسلكيًا يربطها بالخلية.. ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

ولن أطيل النفس أكثر من ذلك في عالم النحل، لأن فيه عجائب وغرائب تدل

على قدرة القادر جل في علاه..

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت   شـهدًا وقـل للـشهد مـن حـلاّكَ؟

والكـون مـشحون بـأسرار إذا   حاولـت تفـسيرًا لهـا أعـياك

﴿ **هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ** ﴾ [لقمان: ١١].

وهذه حشرة أخرى، سمي الله ﷻ سورة في القرآن الكريم باسمها، سورة النمل ولها مع نبي الله سليمان عليه السلام وقفة، قصها علينا رب العزة والجلال، فقال: ﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا** ﴾ [النمل: ١٧ - ١٩].

إنَّ عالم النمل عالم عجيب.. عالم يعرف ربه ويسبحه ويقدسه، ويشكر بحمده.. وقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ بذلك كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِبَيْتِهَا فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ، فَأَوْحَى اللَّـهُ إِلَيْهِ فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً؟!**»(١).

ورب العزة والجلال سجل ذلك في كتابه الحكيم الخالد، فقال سبحانه: ﴿ **وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فسبحان من سبحت بحمده كل الكائنات إنها تعرف أنَّ لها خالقًا تعبده وتوحده، وتدعوه، وتتوكل عليه.

فقد أخرج أحمد في الزهد وابن عساكر وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: خرج نبي الله سليمان بن داود عليه السلام بالناس، ليصلون صلاة الاستسقاء - فإذا هم بنملة رافعة قوائمها إلى السماء، تدعوه، مستلقية على ظهرها، فقال

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

للقوم: ارجعوا فقد كفيتم أو سقيتم بغيركم» وفي رواية أنها كانت تقول: «اللهمَّ إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن سقياك ورزقك، فإما أن تسقينا وترزقنا، وإمَّا أن تهلكنا».

والنملة من صفاتها الصبر والجلد، وصبرها عجيب.. ذكر المؤرخون أن (تيمورلنك) القائد المعروف في إحدى المعارك، عندما دخل المعركة هو وجنوده، وبدأت المعركة فهزموا، وعندما هزموا تفرقوا، فما كان من تيمورلنك، هذا القائد، إلا أن هام على وجهه حزينًا كئيبًا لهذه الهزيمة النكراء.. أين ذهب؟ هل ذهب إلى بلده؟ لا إنه ذهب إلى جبل، إلى مغارة، وجلس يتأمل في الحالة التي وصل إليها، وجيشه قد تفرق، وبعضهم ذهب إلى بلده، فبينما هو مستغرق في تفكيره، فإذا نملة تريد أن تصعد على صفاة - أي حجر أملس - لكنها سقطت، فحاولت للمرة الثانية، فسقطت، والثالثة وسقطت، فشدته، وانقطع تفكيره، وبدأ يراقب هذا المخلوق الصغير، تابعها تيمورلنك في هذه المرة، وكانت السابعة، حتى وصلت في المرة السابعة عشرة.

فقال: والله عجيب، نملة تكرر المحاولة قرابة عشرين مرة، وأنا لأول مرة أنهزم وجيشي، ما أضعفنا، وما أحقرنا، فنزل من المغارة، وقد صمم على أن يجمع فلول جيشه، وأن يدخل المعركة، وأن لا ينهزم ما دام فيهم حيٌّ، والنملة تعيش في رأسه، فدخلوا المعركة، وانتصروا.. فسبحان من علمها! وسبحان من خلقها!

أرأيتم إخوة الإسلام.. إذا تكاسلتم، فتذكروا النملة، وجهدها وصبرها.

أيها الموحدون...

ومن حشرات القرآن الكريم (البعوضة) وقد ذكرها الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾ [البقرة: ٢٦].

قال بعض أهل العلم: إنَّ الله ﷻ لما ضرب بعض الأمثلة في القرآن، قالوا: ما

هذه الأمثلة؟ القرآن وهو الكتاب المعجز، تضرب فيه الأمثلة، فرد الله عليهم بهذه الآية.

فالبعوضة هو ما يسميه العامة بالناموس.

والبعوضة حشرة صغيرة ضعيفة لكنها غنية بأسرار علمية كبيرة.

فهي أخطر حشرة في العالم، لأنها تنقل مرض الملاريا إلى الملايين من الناس، وهي مصاصة الدماء من الطراز الأول، وتتفوق على جميع الحشرات الأخرى في هذا الجانب، فقد زود الله ﷻ البعوضة بأنبوب حاد يثقب الجلد بسهولة، ومن خلال مضختين صغيرتين يقوم بمص الدم، ولكي لا يتجلط الدم، فإن البعوضة ترش عليه بعض اللعاب ليبقى سائلاً وسهل الامتصاص، وأثناء رش اللعاب تدخل إلى الجسم طفيليات الملاريا التي تحملها، وكل نقطة تحمل خمسين ألف طفيلي، ولو التقط دم الإنسان طفيلي واحد كان ذلك كافيًا في قتله.. لأنه ينتقل بعد عدة دقائق إلى الكبد، ويختبئ داخل خلية من خلايا الكبد، ولا يشعر الإنسان بأي شيء لمدة أسبوع أو أسبوعين، ثم يظهر الخطر بشكل مفاجئ.

ومرض الملاريا يمكن أن يهدد نصف سكان العالم، ويقتل هذا المرض كل عام مليون إنسان معظمهم من أطفال أفريقيا.

وحشرة البعوض يمكن أن تعيش في أي بيئة، وفي أقسى الظروف، بل وتنتقل إلى أبعد مكان في العالم، بواسطة الطائرات، ومع المسافرين.

وقد احتار العلماء أمام مرض الملاريا التي تسببه البعوضة، ووقفوا عاجزين، لأن أعدادها كبيرة جدًا، ومنتشرة في كل مكان تقريبًا.

أيها الأحبة الكرام...

أبعد كل هذه الحقائق عن حشرة هي الأخطر من نوعها، ألا يستحق هذا المخلوق، الذي نحسبه تافهًا وضعيفًا، ولا قيمة له، ألا يستحق هذا الجندي المطيع لخالقه أن يذكره الله في كتابه المجيد؟ في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن

﴿يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

إنّا جندٌ من جنود الله ﷻ، وصدق إذ يقول سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]. فهي جند من جنود الله، يسلطها الله على من يشاء من عباده، فهي مسخرة بأمر ربها.

ألم يرسل الله ﷻ إلى النمرود اللعين المتكبر، المتغطرس الذي قال: ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، أرسل الله ﷻ إليه بعوضة، دخلت في أذنه، فكانت تطن في رأسه، فكان لا يهدأ باله، ولا يستقر ضميره إلا إذا ضرب بالنعال على أم رأسه.. فسبحان الخلاق العظيم.. سبحانك يا خالق.. يا قادر..

يا من يرى مد البعوض جناحها	في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها	والمخ في تلك العظام النّحل
امنن علينا بتوبة تمحو بها	ما كان منا في الزمان الأول

أيها المسلمون.. أحباب المصطفى ﷺ...

وما زال العلماء يكتشفون حقائق علمية كثيرة عن عالم الحشرات، يكشفون أسرار عنها شيئًا فشيئًا، ففي زمن التنزيل كانوا يعتقدون أن الحشرات لا تشبه البشر، وهي مجرد مخلوقات غير عاقلة، لكن تبين من كلام ربنا عكس ذلك.. ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. فهذه الآية تقرر أن كل الكائنات الحية سواء كانت طيورًا أم حشرات أم دواب، تشبه البشرية.

وقد كشفت الدراسات العلمية الجديدة أن معظم الحشرات تشبه البشر في تجمعاتها وحياتها، حتى مرضها.. فالصراصير كالبشر تصاب بالوهن والضعف، عندما يتقدم بها العمر، وأوضح باحثون أمريكيون أن مفاصل الصراصير العجوزة تتوقف عن الحركة بشكل طبيعي، ومن ثم تتعسر في المشي كغيرها من الحشرات الزاحفة التي يطول عمرها ليصل إلى ٦٠ أسبوعًا.

تقول (أنجلا ريدجبيل) وهي التي أشرفت على الدراسة بجامعة (كيس ويسترن) لمجلة العلوم الجديدة: إنَّ الصراصير العجوزة تتعثر في كل خطوة تخطوها، وهذا مما يبطء حركتها، كما تبينت أن الصراصير العجوزة تنخفض حركتها في الأوقات التي تقضيها بنسبة ٤٠٪.

فسبحان من قال لرسوله وحبيبه ﷺ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

والحق ما شهدت به الأعداء.. ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.. وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين.. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغرِّ الميامين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ...

إن هذه المخلوقات دليل واضح على أنَّ الله ﷻ لم يخلق شيئًا عبثًا، بل كل مخلوق له عمل وهو مسخر لخدمتنا، فهو القائل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٣].

وإنَّ من أعجب الحشرات الدالة على قدرة رب الأرض والسموات حشرة العنكبوت، والتي سمي الله ﷻ سورة في القرآن الكريم كاملة باسمها، لقوله - جل في علاه -: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

فالآية الكريمة نصت على التأنيث حين تحدثت عن العنكبوت في قوله: ﴿ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا ﴾ وقد كشف العلم مؤخرًا أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر، والحقيقة الثانية أن الآية وصفت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ولم يقل خيط العنكبوت، أو نسيج العنكبوت، وهي مسألة لها دلالة، ولها سبب والعلم اكتشف أن خيوط العنكبوت أقوى من مثيله، أقوى من خيط الحرير وأكثر منه مرونة، وهو أقوى من خيوط الفولاذ، لكن لماذا كان بيته أوهن البيوت؟ لأن بيت العنكبوت ليس فيه الأمان، ولا السكينة، ولا الطمأنينة، لأن العنكبوت الأنثى تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله.. والأبناء يأكلون بعضهم بعضًا بعد الخروج من البيض، ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده بعد أن يلقح أنثاه.

وتغزل أنثى العنكبوت بيتها، ليكون فخًا وكمينًا ومقتلاً لكل حشرة صغيرة تفكر في أن تقترب منه، وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يقتل ويلتهم، إنه ليس بيتًا، بل مذبحة يخيم عليها الخوف والتربص.

يقول العلماء: إنَّ العنكبوت يخلق، وفي خلايا دماغه برامج معقدة تمكنه من صنع بيته بنظام هندسي عجيب، وهذه البرامج لا يمكن أن تكون من صنع الطبيعة، أو بسبب التطور، ولذلك لابد من وجود قوة خارقة منظمة هذه البرامج، ونحن نقول: إن الله ﷻ هو من خلق هذا العنكبوت وغيره من المخلوقات، وهو من علمها وهداها.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣].

وقد فكر بعض العلماء في صنع كميات كبيرة من نسيج العنكبوت لاستخدامها كدروع واقية أو في صناعة الطائرات والصواريخ، لكنهم فشلوا،

لأن العملية تتطلب جمع كميات كبيرة جدًا من العناكب في مكان واحد، لإنتاج هذا الكم الكبير من الخيوط، ولكن عندما نضع عدة عناكب في مكان واحد، تبدأ بأكل بعضها البعض، فهي لا تحب التعاون ولا تحب التضحية.

أيها الموحدون الكرام...

هذه قدرة الله ﷻ في خلقه.. وهذا خبر من ألمانيا: يسعى فريق من الباحثين في جامعة (بون) إلى ابتكار مجسات تحاكي أجهزة الاستشعار الخاصة بالخنافس السوداء التي تستطيع أن «تسمع النيران» عن بعد عشرات الكيلومترات، ويأمل العلماء أن تساعدهم هذه المجسات في تفادي حرائق الغابات.

يقول الباحث (سابيش كلوكه) من معهد علم الحيوان في جامعة (بون): إنني أحاول أن أدرس أجهزة تلك الحشرة، لأعرف كيف تعمل حواسها، وكيف يمكنها أن تتفادى النيران، وكيف يمكنها أن تستشعر الأشعة تحت الحمراء التي تصدر عن النيران.

وبالفعل قاموا بدراسة عن هذه الحشرة التي نتقزز منها، فاكتشفوا أن الخنافس تتميز بحساسية شديدة رغم صغر حجمها، وهي أسرع بخمس مرات من أي مجس تم ابتكاره حتى الآن، كما أن لها ميزة خاصة، فهي تستطيع أن تسمع الحريق، فجهاز الاستشعار الخاص بها يتلقى الأشعة تحت الحمراء الصادرة عن النيران، وتتسبب تلك الأشعة في تسخين السوائل التي تملأ خلايا الاستشعار لدى الخنفساء، فيرتفع بها الضغط، وتسجل الحشرة ذلك التغيير، وتتخذ رد فعل بسرعة كبيرة.

إنَّ هؤلاء الذين تمكنوا من هذا الاكتشاف لدى هذه الحشرة، يجهلون القرآن الكريم، فهل سيغفر الله لنا، ونحن العارفون به عن جهلنا الفادح بآياته؟

إن علماء الغرب يكتشفون هذه الأشياء وتبهرهم ويقفون مذهولين أمامها، فماذا عنا نحن المسلمين، الذين ندعي الإيمان بالله؟ أليس الأجدر بنا أن نكون

أشد خشوعًا لله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦].

حكى القزويني أن رجلاً رأى خنفساء، فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلق هذه؟ ألحسن شكلها؟ أو لطيب ريحها؟ فابتلاه الله ﷻ بقرحة في بدنه، عجز عنها الأطباء، حتى ترك علاجها، فسمع يومًا طبيبًا يسير في الشارع، فقال: هاتوه، حتى ينظر في أمري فقالوا: وما تصنع به، وقد عجز عنك حذاق الأطباء؟! فقال: لابد لي منه، فلما أحضروه ورأى القرحة، طلب أن يحضروا له خنفساء، فضحك الحاضرون منه، فتذكر العليل قوله الذي قاله، فقال: احضروا له ما طلب، فإن الرجل على بصيرة من أمره، فأحضروها له، فأحرقها، وذر رمادها على قرحته، فبرئ بإذن الله تعالى.

فقال للحاضرين: إنَّ الله تبارك وتعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية.. يا سبحان الله.. أرأيتم قدرة العلي العظيم.. القوي القادر في خلقه.

أحبتي في الله...

وقد ذكر الله ﷻ حشرة الذباب في معرض ضرب المثل لمن يعبدون الأصنام والتي لا تقدر على خلق الذباب رغم صغر حجمه، حتى لو اجتمعوا لخلقه، ثم بين غاية جهلهم بأن هذه التماثيل لا تقدر على خلق أقل الأحياء، ولا تقوى على مقاومته، أو استنقاذ ما يختطفه منها، فقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

وفي الذباب آية من آيات الله وقدرته وعظمته، فقد تعددت أنواعه التي زادت عن ٨٠ ألف نوع، كما أن الذباب لديه قدرة عالية في الطيران، فسرعته المدهشة تصل إلى ١٣٢٠ كيلو متر في الساعة الواحدة، وللذبابة زوجان من

الأجنحة، أحدهما للمساعدة في الطيران، والثاني للمحافظة على التوازن، وقد ذكره النبي ﷺ في قوله: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، فَإِنَّ أَحَدَ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالآخَرَ دَوَاءٌ**»(١).

وقد سئل أحد الصالحين: لماذا خلق الله الذباب؟ فقال له: ليذل به الجبابرة.. اللهمَّ إنا نسألك إيمانًا يباشر قلوبنا، ويقينًا صادقًا، وتوبة قبل الموت، وراحة بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.. اللهمَّ زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، بالمعروف آمرين، وعن المنكر ناهين.. يا رب العالمين.

اللهمَّ ادفع عنا الغلاء والوباء والبلاء، والهم والحزن، وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن برحمتك يا أرحم الراحمين.. اللهمَّ واجعلنا ممن إذا عوفي شكر، وإذا ابتلى صبر، واجعل جزاءنا في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اللهمَّ اغفر ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.. اللهم صلِّ وسلم على إمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجلين، وعلى آله وصحابته أجمعين، وارض اللهمَّ عن الخلفاء الراشدين يا رب العالمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وأقم الصلاة.. إن الصلة تنهي عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) صحيح: رواه البخاري وابن ماجه، واللفظ له وأبو داود وغيرهم.

الخطبة الثامنة والستون

تفكر وتعرف على (عالم النبات)

الحمد لله رب العالمين.. ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ ﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له لو سألت العالم كله من سمائه إلى أرضه، ومن عرشه إلى فرشه، فقلت له: من الذي خلقك؟ سيجيبك بلسان حاله قائلاً: أنا مخلوق لله الواحد الديان..

سل الواحة الخضراء والماء جاريًا ... وهذي الصحاري والجبال الرواسيا

سل الروض مزدانا سل الزهر والندى ... سل الليل والإصباح والطير شاديا

سل هذه الأنسام والأرض والسما ... سل كل شيء تسمع الحمد ساريا

فلو حق هذا الليل وامتد سرمدًا ... فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيًا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله.. النبي المصطفى، والرسول المجتبى.. أرسله ربه بالإيمان مناديًا وإلى الجنة داعيًا، وإلى كل معروف آمرًا، وعن

كل منكر ناهيًا، فشرح الله له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

حياكم الله جميعًا أيها الإخوة الفضلاء، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله الواحد الأحد، الذي جمعنا في هذا اليوم الطيب المبارك أن يجمعنا مع حبيب قلوبنا، وشفيعنا يوم الدين، سيدنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

أحبتي في الله...

في بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فبتقوى الله يكون الفرقان بين الحق والباطل، وبها العرفان الذي تنجلي به الأمور، والنور الذي ينشرح به الصدور.. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

وأهلها هم الناجون من السعير.. ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧٢].

وما زال لقاؤنا موصولاً مع «تفكر وتعرف» ولقاؤنا اليوم مع عالم عجيب، عالم دليل على قدرة الخالق العظيم جل في علاه.. عالم يشهد بوحدانيته يشهد بربوبيته.. عالم يشهد بمجده وعظمته..

سبحانك اللهمَّ أنت الواحد	**كل الوجود على وجودك شاهد**
يا حي يا قيوم أنت المرتجى	**وإلى علاك علا الجبين الساجد**
يا من له عنت الوجوه بأسرها	**رهبًا وكل الكائنات توحد**
أنت الإله الواحد الحق الذي	**كل القلوب له تقر وتشهد**

إنه عالم النبات.. عالم عجيب.. لما سئل الإمام الشافعي رحمه الله عن الدليل على وجود الإله الخالق، القادر المقتدر، فبم استدل؟ لقد استدل بشيء من النبات، فقال: ورقة التوت.. قالوا: كيف ذلك يا إمام؟

فقال: تأكلها الدودة فتخرجها حريرًا طريًا، وتأكلها الشاة فتخرجها لبنًا صفيًا، وتأكلها النحلة، فتخرجها عسلاً شهيًا، وتأكلها الغزالة، فتخرجها مسكًا ذكيًا.. حريرًا طريًا، ولبنًا صفيًا، وعسلاً شهيًا، ومسكًا ذكيًا، المادة واحدة، والصنعة مختلفة، فمن الصانع؟ إنه الله رب العالمين.. الشاعر أبو نواس لما مات، رآه بعض أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غُفر لي بأبيات قلتها في النرجس:

تفكر في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأبصار هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك[1]

وعالم النبات مذكور في القرآن الكريم، في آيات كثيرة، وسور متعددة:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

قال قتادة والسدي وغيرهما: فكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حطبًا، صار عنبًا ورطبًا، وغير ذلك.

وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٥٥) لابن كثير.

وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد: ٤].

وهذا من فضل الله على الناس، أن جعل البقعة الواحدة من الأرض تنبت الأنواع المتعددة متاعًا للناس وللأنعام.. فمن الذي جعل النباتات ترد موردًا واحدًا من الماء، ثم تصدر مصادر شتى في الثمار وما يجني منها، فذلك حلو، وآخر حامض، وثالث مرٌّ، ورابع نافع، وخامس ضار.. فمن الذي نوعه؟ تأكل برتقالاً سكرًا، وآخر مالحًا.. وتأكل ليمونة بجانب شجرة التين فمن الذي جعل هذا مخالفًا لهذا في اللون والطعم.. إنه الله القوي القادر

قل للمريد من الثمار من الذي	بالمر من دون الثمار غذاكا؟
قل للنبات يجف بعد عناية	ورعاية من بالجفاف رماكا؟
واسأل النبت في الصحراء يربو	وحده فاسأله من أرباكا؟

سبحان من هذا صنعته؟! ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان: ١١].

أخي الحبيب...

هل جلست يومًا على مائدة طعامك ثم تأملت كما قال لك مولاك في سورة عبس: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢].

هل تأملت كيف كان طعامك؟ ثم ماذا سيكون بعد أن أكلته؟ وكم يدٌ سخرها الله لك حتى وصلك الطعام بهذا الشكل، وبتلك الحالة؟ كان حبًا فاشتراه الفلاح، ثم بذره في الأرض بعد أن شقها وجهزها، ووضع فيها ما تحتاج إليه من الأسمدة، ثم قام بسقيها بالماء، حتى كبر النبات، واستوى على ساقه،

فأحضر من يحصده، ثم قام بدرسه، فخرج الحب من السنابل، ثم جمعه ثم باعه، فاشتراه الخباز، ثم طحنه الطحان، ثم عجنه، ثم قام بخبزه في النار فخرج لك خبزًا، فأتيت به إلى بيتك سهلاً ميسورًا، فوضعته على سفرة الطعام ثم أكلته هنيئًا مرئيًا.

فمن الذي أنبته؟

ومن الذي سواه هكذا؟

إنه من يقول في كتابه مخاطبًا: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٧].

نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا، وأبقيناه لكم رحمة بكم، ولو نشاء لأيبسناه قبل استوائه.

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٤].

أيها الإخوة الأعزاء...

ونحن مثل عالم النبات سواء بسواء.. وطورًا بعد طور.. ألم يقل مولانا ﷻ في كتابه الحكيم: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١٧ - ٢٠].

ألستم يا بني آدم كنبات هذه الأرض؟ ألست يا ابن آدم تضع الحبة في ظلمات الأرض فتنمو، كما تضع النطفة في ظلمات الرحم، فتنتقل من طور إلى طور.. من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى جنين إلى طفل يأخذ طريقه إلى الحياة؟

ألستم يا بني آدم تحصدون النبات، إذ أخرج شطأه فآزره، فاستغلط فاستوى على سوقه تحصدونه بمناجلكم؟ أليس ملك الموت يحصدكم بمنجله إذا بلغ الكتاب أجله؟!

ألستم يا بني آدم تذهبون بالنبات بعد حصده محمولاً على ظهور الدواب إلى الأجران؟

أليس يذهب بكم إلى موتكم محمولين على خشبة حدباء إلى أجران المقابر؟

ألستم يا بني آدم، كنتم تأتون في الزمن الماضي بالنوارج لتدوسون النبات ليندرس؟

أليس يدرسكم الدود في أجران المقابر؟

ألستم تأخذون الحب الحصيد، فتبذرونه في الأرض، فيخرج نباتًا مرة أخرى.

أليست هذه حقيقة ملموسة لا ينكرها من كان له أدنى تفكير؟!

ألم ينبت النبات بعد أن درسته النوارج؟ فلماذا يا عبد الله تستبعد بعثك بعد موتك، وأنت تسير مع النبات طورًا بعد طور، وحالة بعد حالة، ومرحلة عقب مرحلة؟ إنه لا ينكر هذه الحقيقة إلا من سلب عقله.

أيها الموحدون الكرام . . .

وقد أثبت العلماء أن النبات يشعر ويتألم، بل ويخاطب النباتات من حوله.

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة، أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا، قال: «إِنْ شِئْتُمْ»، فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، فنزل النبي ﷺ فضمه إليه، يئن أنين الصبي الذي يُسكَّن[1].

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

وفي رواية عند البخاري أيضًا من حديث جابر، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه، فسكنت(١).

وقد شكك أعداء الإسلام في ذلك، رغم أنَّ الحديث مروي في صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد، قالوا: هل يعقل أن النبات يشعر ويحن ويتألم؟

ولكن والحمد لله جاء الجواب من باحثين أمريكيين (غير مسلمين) ليُؤكدوا أن النبات لديه إحساس بالألم، بل ويفرز مادة مسكنة لألمه، بل ويحذر بقية النباتات من الأخطار بواسطة مادة يفرزها.

وهناك إثباتات علمية بأنَّ النبات يدمع، وأن للدموع قنوات دمعية، وأجهزة خاصة بها تسمى بالأجهزة الدمعية.. وقد أثبتوا أن نبات القلقاس الهندي عريض الأوراق يدمع في الليلة مائة سنتيمتر مكعب من الدموع المحملة بالأملاح والأحماض الأمينية وغيرها.

أحبتي في الله...

منذ وقت قريب كان العلماء يستبعدون تمامًا احتمالية أن يكون للنبات تفكر وتعقل، حتى اكتشفوا نوعًا من مراكز التحكم داخل الجذور، يعمل بطريقة مشابهة للجهاز العصبي الحيواني، وينقل البيانات عبر إشارات كهربائية تتحرك بين الجذور والسيقان والأوراق.. وفوجئ العلماء مجددًا عندما اكتشفوا منذ عشرات السنين أن للنباتات جهاز مناعة يحميها ويمكنها من مقاومة الأمراض، ليتأكدوا بذلك أن النباتات في الواقع كائنات حية، تمتلك الكثير من القدرات.

كما تمكن مجموعة من الباحثين من جامعتي (بون وفلورنسا) من اكتشاف ما يمكن وصفه بالدماغ النباتي في تركيبة جذر نبات (الذرة) حيث يؤكد الباحث

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

الغربي (فرانتيسك بالوسكا) من جامعة (بون) أنهم تمكنوا من اكتشاف أنشطة كهربائية في جذور النبات، كما وجدوا أن التركيبة البيولوجية للخلايا شبيهة بتركيبة الدماغ الحيواني، وسموا ذلك باسم (مركز التحكم).

فهذا لا يمكن أبدًا أن يكون على سبيل العشوائية أو المصادفة، لكن لابد من وجود برامج خاصة أودعها الله ﷻ في طبقات الأرض، وفي النباتات.

فسبحان من قال: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾** ﴾ [الإسراء: ٤٤].

من الذي دبرها؟ ومن الذي صنعها؟ ﴿ **صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل: ٨٨]، ولو قرأت هذا الخبر لزال عنك العجب والدهشة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟ قال: إلى أهلي قال: هل لك إلى خير؟ قال: ما هو؟ قال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني محمد عبده ورسوله**» قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: «**هذه الشجرة**» فعداها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي، فأقبلت تخدُّ الأرض خدًّا - أي تشقها - فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا، فشهدت أنه كما قال - أي أنه رسول الله ﷺ، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، فقال: إن يتبعوني أتيت بهم، وإلا رجعت إليك، وكنت معك[1].

وفي رواية أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: بمَ أعرف أنك رسول الله؟ قال: «**إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ**». فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٦٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٥)، وقال ابن كثير: إسناده جيد.

«ارْجِعْ». فرجع، فأسلم الأعرابي وقال: أشهد أنك رسول الله»[١].

فمن علم هذا الغصن وهو من النبات أن هذا رسول من عند الله ﷻ؟! إذًا النباتات تشعر، وتحس، وتعرف وتفكر.. وتسمع وتجيب، وتستجيب.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئًا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّـهِ». فانقادت معه كالبعير المخشوش، الذي يُصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها، وقال: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّـهِ». فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف لأم بينهما أي جمعها وقال: «الْـتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّـهِ». فالتأمتا.. فلما قضى حاجته.. أمرهما بالرجوع فرجعت كل واحدة إلى مكانها[٢].

فمن الذي جعل النبات يستجيب لرسول الله ﷺ إنه الله رب العالمين.

عباد الله...

قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَزْرَعُ زَرْعاً، أَوْ يَغْرِسُ غَرْساً، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»[٣].

وقال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»[٤]. ادعوا الله.



(١) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».
(٢) رواه مسلم (٥٣٢٨).
(٣) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.
(٤) سبق تخريجه.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. لا معبود بحق سواه، ولا معين للخلق عداه، نحمده ونشكره على نعمه العظمى وما أسداه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. كم أقال من عثرة، وأنزل القرآن موعظة وذكرى.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المهاجرين والأنصار، الذين اتبعوه في ساعة العسرة، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب رسول الله ﷺ. .

عالم النبات، عالم عجيب، يدل على قدرة الله ﷻ وعظمته، ومن عجائب النبات ما ذكره صاحب كتاب (نوادر الكتب) أن شجرة غريبة في جنوب الصين، تكون أوراقها في الأحوال الجوية العادية خضراء، كأوراق الأشجار، وقبل حدوث الفيضانات أو هطول الأمطار تتغير، فتصبح حمراء، فأصبحت عند سكان تلك المنطقة كمراقبة للأحوال الجوية، وبلا تعليق، إنها بلسان حالها تقول: ﴿ **ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

سبحان الله.. كل الكون بكائناته يوحد ويسلم، ويستسلم لله رب العالمين.. وهذه عجائب.

قال الإمام أبو داود في كتابه (السنن) في باب زكاة الزروع: شبرت قثاءة

بمصر ثلاثة عشر شبرًا، ورأيت أترجة على بعير بقطعتين، قطعت، وصيرت على مثل عدلين.. ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

وقال عبد الرزاق الصنعاني: سمعت معمر بن راشد البصري يقول: رأيت باليمن عنقود عنب وقر - أي حمل - بغل تام.

وقال صاحب كتاب (الطالع السعيد الجامع نجباء أنباء الصعيد): «رأيت قطف عنب، جاءت زنته ثمانية أرطال بالليثي، ووزنت حبة عنب، جاءت زنتها عشرة دراهم، وذلك بأدفو بلدنا».

وجاء في مجلة الفصيل عدد (٦٢) لسنة ١٤٠٢ ص ١١٢ أن ثمرة بندورة (طماطم) واحدة بلغ محيطها أكثر من ٦٠ سم.. سبحان الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى.

أسمعتم عن نباتات تأكل اللحوم والحشرات.. يوجد نباتات مفترسة تأكل الضفادع والحشرات والطيور الصغيرة والفئران، هذا النبات يقوم بإغراء الفريسة بالألوان والروائح والسكر التي تفرزها غدد خاصة، وقد زوده الله ﷻ بإنزيمات خاصة يفرزها لتساعده على هضم فريسته، التي يستغرق هضمها عدة أيام.

وهذا النبات مزود بوسائل تضمن له صيد الحشرات والحيوانات الصغيرة بسهولة.

سبحان الله.. هل هي الطبيعة التي صنعت هذا الكائن أم هي المصادفة؟ أم هو الله خالق كل شيء، وهو القائل: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

أحبتي في الله...

استغرب بعض الملحدين عندما سمع أو قرأ قول الله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقالوا: كيف لمخلوق

مثل النبات ينطق ويسبح؟ لذلك فقد سخر الله ﷻ علماء من الغرب لدراسة النباتات لمدة طويلة، وكانت النتائج مذهلة! ومنها:

١ - أن النباتات تصدر ترددات صوتية، وهذه نتيجة جديدة وجدها العلماء حيث أثبتوا أن مادة (d.n.a) داخل كل خلية تهتز وتصدر صوتًا لا نفهمه، ولكن يمكن قياسه وتسجيله بالأجهزة الدقيقة.. وقد يكون هذا الصوت تسبيح لله تعالى، فنحن نسمع، ولكن لا نفهم، ولا نفقه ﴿ **وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ** ﴾ [الإسراء: ٤٤].

٢ - اكتشفوا أن هناك نباتات تدافع عن نفسها من قبل الحشرات التي تأكلها، وذلك بإفراز مادة عطرية رائحتها تجذب الحشرات الكبيرة.. المذهل في هذا الأمر أن هذه الرائحة عندما تجذب الحشرات الكبيرة لكي تأكل الحشرات الصغيرة، وتنقذ النبات منها. فمن الذي علم هذه النباتات وهداها للدفاع عن نفسها، ومن الذي سخر لها هذه الوسائل؟ إنه الله ﴿ **ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ [طه: ٥٠].

٣ - ولاحظ العلماء أن حرارة الجو عندما تنخفض إلى ما دون الصفر، فإن هناك نباتات تكون درجة حرارتها من °03 إلى °63 درجة مئوية، ولولا هذه الخاصية لما استطاعت هذه النباتات العيش على الإطلاق.. إنها نباتات تذيب الثلج بحرارتها.. فمن الذي زودها؟ إنه الله رب العالمين.. إنه القادر المقتدر.

اللهمَّ أعنا على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك.. اللهمَّ اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

اللهمَّ لا تؤاخذنا بذنوبنا.. ولا بما فعل السفهاء منا. اللهمَّ أصلح قلوبنا.. وسخر جوارحنا في مرضاتك يا رب العالمين.. اللهمَّ أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات.. والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

اللهم أمنا في أوطاننا، وأصلح ولاة أمورنا.. ووفقهم لما تحب وترضى.

اللهمَّ ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وألحقنا بالصالحين.

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الممتحنة: ٥].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم.. وأقم الصلاة.

الخطبة التاسعة والستون

تفكر وتعرف على (عالم الطير)

الحمد لله.. خلق الخلق، فأحكم ما خلق، وأتقن الصنعة.. سبحانه وبحمده، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لا منع، وما قدر من مقدور لا يستطيع أحد دفعه.

لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الرحمن على العرش استوى، الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.. أحمده سبحانه وتعالى حمدًا يتردد، وأشكره شكرًا يتزايد، وأثني عليه ثناء يتجدد تجدد الأنفاس.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، شهادة مستقرة في القلب ثابتة الأساس، سقاها الوحي من معينه، فلم تحتج مع النص إلى قياس شهادة خالصة مخلصة تنفعنا يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه، تنفعنا يوم نضع الموازين القسط ليوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئًا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، المبعوث بأكمل دين وأفضل شرعة، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغرِّ الميامين، الذين آمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه، ومن سلك طريقهم، وسار على دربهم إلى يوم الدين..

أما بعد...

حياكم الله جميعًا أيها الإخوة الفضلاء، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم، الذي جمعنا في الدنيا على

طاعته أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته مع حبيبنا محمد ﷺ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

لقاؤنا اليوم في سلسلتنا المباركة (تفكر وتعرف) هيا بنا لنتعرف على عالم يسبح الله ﷻ ويمجده، ويقدسه ويعظمه، إنه عالم الطير.. اسمع إلى قول الله مولانا في كتابه الخالد: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١].

تسبحه نغمات الطيور ... يسبحه الظل تحت الشجر
يسبحه النبع بين المروج ... يسبح دوما أريج الزهر
يسبحه النور بين الغصون ... وسحر المساء وضوء القمر

ونحن مأمورون بأن نتفكر في هذا العالم في كتاب ربنا ﷻ.. قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النحل: ٧٩].

فقد نبه الله ﷻ عباده إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض، كيف جعله الله ﷻ يطير بجناحيه بين السماء والأرض في جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى، الذي خلق لها الأجنحة والأذناب وجعل الأجنحة قابلة للبسط، وخلق عظامها أخف من عظام الدواب بحيث إذا بسطت أجنحتها وأذنابها، ونهضت بأعصابها، خفت خفة شديدة، فسبحت في الهواء.. فهي تحوم في الهواء كيف شاءت، ولولا أن الله تعالى خلقها على تلك الحالة لما استمسكت. وهذا دليل على كمال حكمته، وعلمه الواسع، وعنايته الربانية بجميع مخلوقاته، وكمال اقتداره، فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين.

وقد خصت الآية أهل الإيمان، لأنهم بإيمانهم بربهم قد ألفوا التفكير في الاستدلال على حقائق الأشياء التي تجدد هذا الإيمان، بل ويزداد إيمانهم بربهم، بخلاف أهل الكفر، فقد طبع على قلوبهم.

فسبحان من سبحت بحمده كل الكائنات، وسجد له الشجر والنبات، وتدكدكت من خشيته الجبال الراسيات.

أحبتي في الله...

واليوم نريد أن نتحدث عن بعض عالم الطير.. لأننا لا نستطيع أن نتحدث عن كل شيء في هذا العالم الكبير.. فعن أي شيء نتناوله من عالم الطير؟

أول هذه الطيور طائر (الديك) وقد جاء ذكره في السنة المطهرة، قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ**»[1]. أي يجعل صاحبه يستيقظ لقيام الليل بصياحه فيه، ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم والسب.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن حبان والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٧)، و«صحيح الجامع» (٧٣١٤).

قال المناوي: جرت العادة بأنه يصرخ صرخات متتابعة إذا قرب الفجر، وعند الزوال.. فطرة الله التي فطره عليها[١].

وعن مسروق رحمه الله قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ - أي في الليل - فقلت لها: أيُّ حينٍ كان يصلي؟

قالت: كان إذا سمع الصُّراخ[٢]. وفي رواية البخاري ومسلم: «إذا سمع الصارخ» أي الديك، لأنه كثير الصياح أو الصراخ في الليل، وجرت العادة في الغالب أنه يصيح عند نصف الليل.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ ديكًا صرخ عند رسول الله ﷺ فسبه رجل فنهاه عن سبه.. وعند الطبراني أنه قال له: **«لا تَلْعَنْهُ، وَلا تَسُبَّهُ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلاةِ»**[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّـهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا»**[٤].

وسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام، وقد علمه ربه ومولاه منطق الطير يقول: الديك يقول - أي عند صياحه -: اذكروا الله يا غافلين.

قال الطيبي: لعل السر فيه أن الديك أقرب الحيوانات صوتًا إلى الذاكرين الله ولأنها تحفظ غالبًا أوقات الصلوات.

فالله عز وجل خلق للديكة إدراكًا تدرك به النفوس القديسة، كما خلق للكلاب والحمير إدراكًا تدرك به النفوس الشريرة الخبيثة.

---

(١) «فيض القدير» للمناوي.
(٢) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (١٣١٧).
(٣) صحيح: رواه البزار والطبراني.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

فالديك فيه آية تدل على قدرة الخالق العظيم - جل في علاه - قال أهل العلم:

والعجيب أنّ الديك إذا وضع أمامه حب نادى بصوته، وفرق الحب بأرجله، ليأتي الدجاج فيأكله معه.

بل إنه ربما وجد الحبة وهو في حاجة إليها فيحملها في فمه، فإذا رأى دجاجة ألقاها أمامها، لتأكلها وهو سعيد ومسرور.

ولذلك قيل لرجل: من علمك حسن الإيثار، والسماحة والبذل؟

قال: الذي علم الديك يصادف الحبة في الأرض، وهو محتاج إليها فلا يأكلها، بل يستدعي الدجاج لها، وإذا وضع له الحب، فرقه هاهنا، وهاهنا، وإن لم يكن هناك دجاج، لأنه قد تعود على البذل والجود.

وقيل لآخر: من علمك البكور في حوائجك أول النهار، لا تخلُّ به؟

قال: من علم الطير تغدو خماصًا كل بكرة في طلب أقواتها، لا تسأم ذلك.

أحبتي في الله...

أما الطائر الثاني، الذي نتحدث عنه في عالم الطير، هو طائر من أذكى الطيور، طائر اختلف الناس حوله، فمنهم من تعجب من ذكائه وتعاون أفراد جماعته.. ومنهم من اتهمه بأنه طائر مشئوم.. إنه (الغراب).

هذا الطائر الذي قام بدور المعلم للإنسان، وعلمه أول درس في حياته.. إنه درس لم ولن ينساه قابيل عندما طوعت له نفسه قتل أخيه هابيل، بسبب الحقد والغيرة منه، لأن الله تقبل منه قربانه، ولم يتقبله من قابيل، فقتله، وظل يحمله على ظهره، ويطوف في الأرض بحثًا عن مكان يخفي فيه جثة أخيه، فإذا به يرى غرابًا يثير الأتربة في الأرض، ليخفي غرابًا آخر ميت.. وهنا أراد الله ﷻ أن يعطي درسًا لقابيل وكل بني البشر، وهو: أن الحقد والكراهية، اللتان تؤديان إلى القتل،

لا تكون نهايتها سوى الخلود في نار جهنم - والعياذ بالله - وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف، لهذا الطائر الذكي، فقال تعالى شأنه، وجل جلاله: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝ ﴾ [المائدة: ٣٠، ٣١].

والناس يتشاءمون من الغراب، وهذا منهي عنه من قبل الحبيب المصطفى ﷺ فقد قال الحبيب النبي ﷺ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ**»[1]. وهذا صوته الذي جعله الله ﷻ له، وجمله به، والغربان أنواع مختلفة وتقوم بإصدار أصوات عالية ذات ترددات مختلفة، فهي لغة التعارف فيما بينها، وكل نوع له صوت بتردد معين، بمثابة شفرات استخبارية للمجموعة الواحدة، فسماع أحد الغربان لصوت غراب آخر غريب عن نوعه، أو غريب عن قبيلته، نجده يصدر أصواتًا مستمرة عن طريقها تتجمع جميع قبيلته وتحشد جموعها، وتتصدى لهذا الغراب الغريب عنهم، وتبدأ في قتاله.. وهو بصوته هذا يسبح الله ﷻ كسائر الطيور، أو كسائر ما خلق الله ﷻ.

فقد صاح طاووس عند نبي الله سليمان عليه السلام، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال إنه يقول: كما تدين تدان.

وصاح عنده هدهد، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا.

قال: فإنه يقول: من لا يرحم لا يُرحم.

وصاح صرد - نوع من الطير - فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا.

قال: إنه يقول: استغفروا الله يا مذنبين - لذا نهى النبي ﷺ عن قتله وهدرت حمامة عند سليمان عليه السلام فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا.

(١) صحيح: رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه وغيرهم.

قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى عدد ما في سمواته وأرضه.

ومر على غراب يزعق، فقال: إنه يقول: اللهمَّ العن العشار.. والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا وجهه. والببغاء يقول: ويل لمن كانت الدنيا همه.

والنسر إذا صاح فإنه يقول: يابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت(١).

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ..

وهكذا كل طائر على فطرة الله التي فطره عليها.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: ذكر صاحب كتاب (العروس) أن نبي الله نوح عليه السلام لما أراد أن يبعث من يأتيه بالخبر عن الأرض، بعث الغراب، فأصاب جيفة، فوقع عليها فلم يرجع، فلعنه، ولذلك يقتل في الحل والحرم، ودعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت(٢).

قال ﷺ: «**خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ يُقْتَلْنَ فِى الْـحِلِّ وَالْـحَرَمِ الْـكَلْبُ الْـعَقُورُ وَالْـغُرَابُ وَالْـحِدَأَةُ وَالْـعَقْرَبُ وَالْـفَأْرَةُ**»(٣).

وفي صحيح مسلم أربعًا: «**الحِدَأَةُ، وَالْـغُرَابُ، وَالْـفَأْرَةُ، وَالْـكَلْبُ الْـعَقُورُ**»(٤).

قال ابن قتيبة: سمى فاسقًا، لتخلفه عن نوح عليه السلام حين أرسله ليأتيه بخبر الأرض فترك أمره، وسقط على جيفة.

ومن عجيب أمر الغراب أنه إذا فقس بيضه عن فراخه، فخرجت هذه الفراخ الصغار من غير ريش، فتكون كأنها قطعة لحم أحمر، فيفر الغراب منه، ولا يقوم على تربيته، ثم إن البعوض يجتمع عليه، لأنه يشبه قطعة لحم ميت، فإذا وصلت

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ١٦٦).

(٢) «تفسير القرطبي» (٩/ ٤٤).

(٣) رواه البخاري والنسائي وابن ماجه.

(٤) رواه مسلم.

البعوض إليه التقم تلك البعوض، وتغذى عليه، ولا يزال على هذه الحال إلى أن يقوى، وينبت ريشه، ويخفى لحمه تحت ريشه، فتعود إليه أمه، ولهذا جاء عن مكحول أنه قال: كان من دعاء داود النبي عليه السلام: يا رازق النعاب في عشه[١].

وهذا يدل على أن فضل الله عز وجل عام، وإحسانه شامل، ورحمته بخلقه واسعة.

يقول مالك بن دينار رحمه الله: خرجت إلى الحج، وبينما أنا سائر في البادية، صوب مكة، إذ رأيت غرابًا في فمه رغيف، فقلت: هذا غراب يطير وفي فمه رغيف، إنَّ له والله لشأنًا، فتبعته حتى نزل عند غار، فذهبت إليه، فإذا بي أرى رجلاً مشدودًا، لا يستطيع فكاكًا، والرغيف بين يديه، فقلت للرجل: من تكون؟ ومن أي البلاد أنت؟ فقال: أنا من الحجاج، أخذ اللصوص مالي ومتاعي، وشدوني، وألقوني في هذا الموضع، كما ترى، فصبرت على الجوع أيامًا، ثم توجهت إلى ربي بقلبي، وقلت: يا من قال في كتابه العزيز: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢]، أنا مضطر فارحمني، فأرسل الله إليَّ هذا الغراب بطعام.

قال مالك: فحللت وثاقه، ثم مضينا وليس معنا ماء، فنظرنا في البادية، فرأينا بئرًا عليه ظباء، فدنونا منه، فهربت الظباء، وأقامت غير بعيد، فلما وصلنا إلى البئر، كان الماء في أسفله، فاحتلنا حتى شربنا، وعزمت أن لا نبرح حتى نسقى الظباء، فحفرت حفرة وصاحبي حفرة، وقمنا بملئها بالماء، ثم تنحينا عنها، فأقبلت الظباء فشربت حتى رويت، وسمعت هاتفًا يهتف بي، ويقول لي: يا مالك، دعانا صاحبك، وتوجهه إلينا بقلبه ونفسه، فأجبناه وأطعمناه، وحللنا وثاقه، وسقيناه، وتوكلت علينا الظباء فسقيناها.

---

(١) «تفسير الفخر الرازي» (١/ ٢١٢)، و«العقد الفريد» (٢/ ٤٨٢) لابن عبد ربه.

أحبتي في الله...

ومن عجيب أمر الغراب أن الذكر لا يتزوج مطلقًا بأنثى طيلة حياته، والتي تصل في بعض الأنواع إلى ٢١ سنة، ولكن هناك حالتان لزواجه من أخرى، وهي عندما ينتظر فقس البيض الذي وضعته الأنثى، فإذا لم يفقس البيض، فيترك كلا منهما الآخر، فيبدأ عن وليف آخر، وقد يلجأ أيضًا للزواج من أخرى عند موت وليفته.. يا الله إنَّ هذا الغراب ذلك المخلوق الضعيف يعلمنا هذا الدرس، درسًا في المحبة والمودة والإخلاص بين الزوجين، فإنه إذا بحث عن أخرى يكون لسبب قوي وقهري، وهو إما للحفاظ على نوعه وذريته، أو لوحدته بعد موت وليفته.. وليس عن جمال أنثى أخرى أجمل من أنثاه، أو أصغر منها سنًا، أو، أو.

قام أحد العلماء المهتمون بدراسة سلوك الطيور بتتبع أحد الغربان التي تسمى (ولد هود يدكرو) وهو نوع منتشر في إسرائيل، وفجأة وجد أحد الغربان تقوم بتجميع فتات الخبز وتشبيكها بمساعدة أصابع رجلها في فرع من فروع الأشجار، ثم تسقطها في البحيرة أو الترعة فيجتمع عليها السمك، فينقض الغراب على الأسماك بمنقارها، ثم تطير بالسمك إلى عشها فتعجب هذا العالم من هذا المشهد، وكاد يجن، ويقول: من وضع هذا الذكاء، وهذه الحكمة في عقل هذا الغراب؟! نقول له: إنه الله ﷻ.. الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

أيها الأحبة الكرام...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».



الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى سبحانه خلق فسوى، وقدر فهدى.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبد الله ورسوله، النبي المصطفى، والرسول المجتبى.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

ونختم حديثنا عن عالم الطير بالحديث عن (الحمام) يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتاب الماتع (شفاء العليل): وهذا الحمام من أعجب الحيوان هداية، حتى قال الشافعي: «أعقل الطير الحمام» ويقول: والحمام موصوف باليمن والإلف للناس ويحبونه، ويألف المكان، ويثبت على العهد والوفاء لصاحبه، وإن أساء إليه، ويعود إليه من مسافات بعيدة، وربما صدَّ فترك وطنه عشر حجج - أي سنوات - وهو ثابت على الوفاء، حتى إذا وجد فرصة واستطاعة، عاد إليه.

يقول ابن القيم رحمه الله: والحمام إذا أراد السفاد يلطف للأنثى غاية اللطف، فينشر ذيله، ويرخي جناحه، ثم يدنو من الأنثى ويقبلها ويزفها وينتفش.

وإذا علم الذكر أنه أودع رحم الأنثى ما يكون منه الولد، يقوم هو والأنثى بطلب القصب والحشيش، وصغار العيدان، فينسجان العش نسجًا، ثم يتعودان

المكان يسخنانه ويطيبانه، ويحدثان فيه طبعًا مشتقًا من طباع أبدانهما ورائحتهما، لكي تقع البيضة في مكان هو أشبه بأرحام الحمام[١] .

فإذا خرج فراخه يبدآن أولاً بنفخ الريح في حلقه، حتى تتسع الحويصلة، ثم بعد ذلك يزقانه بلعابهما المختلط بالغذاء، وفيه قوى الطعم، ثم يلتقطان من الغيطان، الحب اللين، الرخو، حويصلته على الطعام، ثم يزقان الحب الشديد القوي والماء على التدريج، ثم يمنعانه بعض المنع، حتى يتعود على الالتقاط بنفسه.. فمن الذي علمهما؟

ذكر الجاحظ أن رجلاً كان عنده زوج حمام مقصوص، وزوج طيار، وللطيار فرخان، ففتح لهما في أعلى الغرفة للدخول والخروج.

قال: فحبسني السلطان فجأة، فاهتممت بشأن المقصوص غاية الاهتمام، ولم أشك في موتهما، لأنه لا يقدران على الخروج، ولا الطيران، وليس عندهما ما يأكلان أو يشربان.

قال: فلما خُلي سبيلي، لم يكن لي همٌّ غيرهما، ففتحت البيت، فوجدت الفراخ قد كبرت، ووجدت المقصوص على أحسن حال، فعجبت، فلم ألبث إلا قليلاً حتى جاء الطيار فدنا من المقصوص إلى أفواههما يستطعمانه، فأطعمهما كما يطعمان أولادهما.

فمن الذي علمه ذلك؟ إنه الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

أحبتي في الله...

اعلموا - رحمكم الله - أن من أفضل أعمالكم اليوم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، صلاتكم وسلامكم على سيد الأولين والآخرين قال الله

---

(١) «شفاء العليل» لابن قيم الجوزية.

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والتابعين لهم إلى يوم الدين، وارض عنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أرحم الراحمين.. اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين.. وارفع بفضلك كلمتي الحق والدين، ونكس رايات الكفرة والملحدين.

اللهم عليك بأعداء الدين، فإنهم لا يعجزونك أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تغادر منهم أحدًا.. أرنا فيهم عجائب قدرتك، وعظيم سطوتك يا قوي يا عزيز يا متين.. اللهمَّ اجعل لنا من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا ومن كل بلاء عافية يا رب العالمين.

اللهمَّ إنا نسألك الفوز يوم القضاء وعيش السعداء، ومنزلة الشهداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء وأستغفر الله لي ولكم.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، وأقم الصلاة.



الخطبة السبعون

آية الله في الشمس

الحمد لله رب العالمين.. سبحانه فالق الإصباح.. أنعم على المؤمنين بالتقى والصلاح، وجعل الدنيا دولاً، فجمعت بين الهموم والأفراح وجعل الآخرة دارين: دار مقيل بارد ومستراح، ودار عويل وصياح.

خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته.. وقهرها بجبروته، وذللها بعزته.. فذلت له الرقاب.

نحمده حمد الأولين والآخرين، ونشكره شكر المقرين بنعمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.. مد الأرض بقدرته.. وأجرى فيها أنهارها بصنعته.. سالت الجوامد لهيبته.. وذلت الصعاب لسطوته.. هو رب الأرباب، ومجرى السحاب.. لا يحصي عدد نعمته العادون.. ولا يؤدي حق شكره الحامدون ولا يبلغ مدى عظمته الواصفون.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧].

ونشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا محمدًا.. عبد الله ورسوله.. إمام الأنبياء، وسيد الكرماء.. الذي أرسله ربه دليلاً على سبل الرشاد، ومذكّرا بيوم التناد.. فدل على التجارة الرابحة.. وشرع مناهج السبل الواضحة، وألزم الحجة بالدلائل اللائحة.. حتى رفل الدين في أذياله.. واعتدل الحق في جميع أحواله.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على خاتم الأنبياء، وإمام الصالحين، وقدوة المفلحين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين.

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

حياكم الله جميعًا، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته.

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ وخشيته وطاعته، وطاعة رسوله ﷺ ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ** ﴾ [النور: ٥٢].

من اتقى الله كفاه، عليكم بتقوى الله التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها.. الواعظون بها كثير، والعاملون بها قليل، جعلنا الله وإياكم من المتقين.

وما زال لقاؤنا موصولاً مع هذه السلسلة العلمية المباركة **(تفكَّر وتعرَّف)** لنتوصل بها إلى تجديد إيماننا بالله الخالق جل وعلا.

قال النبي ﷺ: «**إنَّ الإيمان ليخلق في جوف أحدكم، كما يخلق الثوب**». أي كما يبلى الثوب «**فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»[١].

ونحن في أمس الحاجة إلى أن نجدد إيماننا ومعرفتنا بالذي خلقنا فسوانا جل في علاه.

ولقاؤنا اليوم مع **(الشمس)** وهي آية من الآيات التي تستنطق الفطرة السليمة النقية بوحدانية الله - جل وعلا - إنها علامة بارزة على قدرة الله جل في علاه.

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن، قاله الهيثمي في «المجمع» (١/ ٥٢)، ورواه الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي عن ابن عمرو، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٩٠)، و«الصحيحة» (١٥٨٥).

ولذلك نرى نبيًا من أنبياء الله ﷻ وهو خليل الرحمن (إبراهيم عليه السلام) قد تحدى بهذه الآية طاغوتًا من طواغيت أهل الأرض، وقد سجل الله ﷻ ذلك في كتابه الحكيم، فقال جل ثناؤه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

انظروا أيها الأحبة الكرام كيف تحدى الخليل عليه السلام هذا الطاغية المتكبر المتغطرس (النمرود بن كنعان) إذ يقول إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت.. فيرد الطاغية الجاهل المتعجرف: أنا أحيي وأميت.

ولكن أين يذهب هذا الغر الجاهل، أمام نور النبوة الباهر، إذ قال له الخليل بذكاء النبوة، ونورها الباهر: فإن الله الذي أعبده يأتي بالشمس من المشرق كل يوم، فأت بها أنت من جهة المغرب.. فبهت الذي كفر.

فالشمس منذ خلقها الله ﷻ وهي تشرق من جهة الشرق في الصباح، وتغرب في جهة الغرب عند المساء - وبصورة منتظمة متكررة، لا تكاد تتخلف أو تتأخر في يوم من الأيام، حتى يأتي الوعد الموعود أن تشرق من الشرق، فلا يأذن الله تعالى لها ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومًا، والشمس تغرب: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**».

قَالُوا: اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ تَجْرِى حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْـعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِى ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِى حَتَّى تَنْتَهِىَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْـعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِى ارْجِعِى مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ**

مَطْلِعِهَا - أي المشرق - **ثُمَّ تَجْرِي لاَ يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»**(١).

لا تتعجبوا فقد قلنا قبل ذلك: إن كل شيء في هذا الكون يسجد لله ﷻ **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾** [الحج: ١٨].

فكل شيء في الكون يسجد لرب الأرض والسموات، إلا كفرة الجن والإنس، انظروا إلى الكون كله من سمائه إلى أرضه، لتتعرف على وحدانية الله، وعظمة الخالق جل في علاه.. انظروا إلى السماء وارتفاعها، والأرض وأقطارها، والجبال وأثقالها والأفلاك ودورانها، والبحار وأمواجها.. انظروا إلى كل متحرك وساكن، الكل يشهد بجلال الله ﷻ، ويقر بتوحيده، ويعلن السجود لله وحده، ولا يغفل عن ذكرك.. سبحانك يا خالق.. يا ذا الجلال والإكرام..

وانظر إلى الشمس التي جذوتها مستعرة
بها ضياء وبها حرارة منتشرة
من ذا الذي أوجدها في الجو مثل الشررة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة

إنَّ الله ﷻ أبدع هذا الكون وخلقه وصنعه قبل أن يوجد هذا الإنسان، الشمس أقرب نجم إلى الأرض التي نعيش عليها، وهي أكبر جسم في النظام الشمسي على الإطلاق، والشمس تدور حول نفسها مرة كل حوالي ٢٥ يومًا عند خط الاستواء و ٣٦ يومًا عند القطبين، وهذا يدل على أن الشمس ليست كتلة

(١) رواه البخاري وأحمد في «مسنده»، ومسلم والترمذي وغيرهم.

صلبة، ولكنها كتلة غازية متكونة من الهيدروجين والهليوم، وتبلغ درجة حرارتها عند المركز ١٤ مليون درجة مئوية، وعند سطح الشمس ويدعى (فوتوسفير) Photospher تصل درجة الحرارة إلى ما يقارب ٦٠٠٠ درجة.

الشمس أكبر من الأرض التي نعيش عليها أكثر من مليون وثلاث مئة مرة، لكن الشمس تبدو لنا صغيرة من على الأرض، لأنها بعيدة جدًا بحوالي ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كم، وهذه مسافة كبيرة جدًا لدرجة أن فوتونات الضوء والتي تتحرك بسرعة ٣٠٠٠,٠٠٠ كم في الثانية لا تصل من الشمس إلا بعد ٨ دقائق و ١٩ ثانية.

وقدر العلماء بعد بحوثهم واكتشافاتهم أن كتلة الشمس تقدر بنحو ١٩٩٠ تريليون تريليون طن، والتريليون يساوي مليون مليون.. وتفقد الشمس بالإشعاع حوالي عشرة ملايين طن كل ثانية من مادتها.

فسبحان من خلقها وسيرها هكذا في الفلك.. وسبحان من أمسكها وسيرها الشمس آية من آيات قدرة الله ﷻ في هذا الكون ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقد استنكر الهدهد السليماني عبادة قوم سبأ وسيدتهم بلقيس للشمس من دون الله تعالى، فقال لنبي الله سليمان عليه السلام: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: ٢٣، ٢٤].

فمع أنَّ الشمس دليل على عظمة الله وقدرته، مع أنه قد وجد أناس على مر العصور قد جعلوا الشمس إلهًا من دون الله وعبدوها، مع أنَّ الله ﷻ سخرها لهذا الإنسان قال الله ﷻ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة.

عباد الله...

إنَّ لكل نجم أو كوكب فلك أو مدار لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه، والمسافات بين النجوم والكواكب هائلة.. فالشمس لها سير.. والأرض لها سير.. والقمر له سير، ولا يمر أحدهما بطرق الآخر ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠].

فما يتراءى للناس من تقارب نجوم بروج الشمس، ونجوم منازل القمر، إن هو إلا من تخيلات الأبصار، وتفاوت المقادير بين الأجرام والأبعاد.

فكرة الشمس العظيمة تبدو مقاربة لكرة القمر في المرأى، وإنما ذلك من تباعد الأبعاد.. فأبعاد فلك الشمس تزيد على أبعاد فلك القمر بمئات الملايين من الأميال، حتى يلوح لنا أن حجم الشمس مقارب لحجم القمر، فبين الله ﷻ أنه نظم سير الشمس وحده، والقمر وحده، على نظام يستحيل معه اتصال إحداهما بالآخر.. لشدة البعد بين مداريها.. وكل في فلك يسبحون.. إن حركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة سفن في الخضم الفسيح من المحيط فهي مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطًا سابحة في ذلك الفضاء الرهيب.

وإن الإنسان ليتضاءل ويتضاءل، وهو ينظر إلى هذه الملايين التي لا تحصي من النجوم الدوارة، والكواكب السيارة، متناثرة في ذلك الفضاء، سابحة في ذلك الخضم، والفضاء من حولها فسيح فسيح، وأحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح.

أيها المسلمون عباد الله...

إنَّ الشمس آية من آيات الله القادر الدالة على كمال قدرته، وكمال خلقه ورحمته وكلما تأملنا عظمتها ونفعها، وانتظام سيرها، عرفنا وأيقنا بقدرة الخالق وعظمته.

فالمسافة التي بين الشمس وكوكب الأرض، لو كانت أبعد من ذلك قليلاً، ماذا كان سوف يحدث؟ لو كان ذلك كذلك لأصيبت الأرض وما عليها بالتجمد والشلل، فلا ينبت فيها نبات، ولا يعيش عليها حيوان، ولا يتكون بداخلها معادن، ولم يتحقق فيها قوانين، ولا نواميس، مثل قانون الجاذبية، والأثير، والمجال المغناطيسي، كما أن الشمس لو اقتربت من الأرض أكثر مما هي عليه الآن، ماذا سيحدث؟ لم يكن عليها إنسان ولا حيوان، ولا نبات، لأن كل ما فيها ومن فيها سيصيبه التسوس والاحتراق وحينها ستختل الدورة المنتظمة بين البحار والسحاب من تبخير البحار بنسبة معينة وجريان السحاب، وإرسال الرياح، لتكوين الأرزاق والأقوات.

فمن صاحب هذا النظام الدقيق؟ ومن صاحب هذه الدقة المتقنة؟ هل هي الصدفة كما يقول الجاهلون الأغبياء؟ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

أيها الأحبة الكرام...

ومن حكمة الحكيم الخبير ما يحدث للشمس من ذهاب ضوئها كله أو بعضه، وهو ما يسمى بظاهرة الكسوف أو الخسوف، فهذا إنما يحدث بأمر الملك العلام جل في علاه، ليخوف الله به عباده، ليتوبوا إليه ويستغفروه ويعظموه.

وقد كسفت الشمس في عهد النبي ﷺ فخرج فزعًا يجر رداءه حتى أتى المسجد، ثم نودي: الصلاة جامعة.. فاجتمع الناس، فصلى بهم صلاة طويلة، ثم سلم، وقد انجلت الشمس، ثم خطب بالناس، ووعظهم موعظة بليغة، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْـقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّـهِ تَعَالَى، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّـهَ ﷻ يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ**».

وفي رواية: «**فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلاَةِ**».

وفي أخرى: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَادْعُوا اللَّـهَ وَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ**»(١).

وفي رواية: «**فاذكروا الله.. افزعوا إلى الصلاة**».. افزعوا إلى المساجد.. افزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره.

إن كسوف الشمس رسالة تحذيرية من الله ﷻ يخوف بها عباده، ليرجعوا إليه تخيلوا لو أن أحدكم أتته رسالة من مسئول، كوزير أو محافظ، أو مدير.. يقول له فيها: إنَّ لديك أخطاء، فراجع نفسك، وإلا عرضت نفسك للعقوبة، وأنت توقن تمامًا بأن هذا المدير، أو الوزير يستطيع أن يفعل بك الأفاعيل.. يستطيع أن يسجنك لسنوات طويلة.. أو يجلدك على مرأى من الناس، أنه سيفرض عليك غرامة مالية أو يصادر ممتلكاتك، فقل لي بربك: هل تستقبل هذه الرسالة بكل برود، أم تأخذها على محمل الجد، وتبدأ بمحاسبة نفسك، وتتعرف على أخطائك، وفؤادك يرتجف مخافة أن تنزل العقوبة بك؟

عباد الله...

أعمارنا بيد من؟ رزقنا بيد من؟ أمننا بيد من؟ صحتنا بيد من؟ كل أمورنا صغيرها وكبيرها بيد من؟ بيد الجبار العظيم، قرر ذلك ربنا في كتابه بقوله: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ** ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣]، فلا غنى لنا عن مولانا طرفة عين، ولا أقل من ذلك.. فإذا جاءتنا رسالة تحذيرية من ربنا العظيم، أيحسن بنا أن نهتم للأمر، ونخاف ونفزع، أم نأخذ الأمر بتساهل وعدم اهتمام؟!

كم من الرسائل التحذيرية قد جاءتنا؟

مرة (أنفلونزا الطيور).

---

(١) صحيح: رواه البيهقي والنسائي عن أبي موسى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٦٠).

مرة (أنفلونزا الخنازير) وحمى البقر.

وغيرها من الرسائل.. فخسوف الشمس أو كسوفها آية ورسالة تحذيرية من الله ﷻ لعباده، يخوفهم بها.

فمن الناس من يرى أنها ظاهرة وحدث كوني طبيعي لا يدعو للقلق، ومنهم من يعيش في غفلة مع بيعه وشرائه، أو أمام القنوات الفضائية يتابع المسلسلات والرقص والغناء تفكروا في غفلة هذه الفئة وحالها مع قول الله ﷻ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥].

إنه من الحسرة والألم أن يكون من بين أمة محمد ﷺ من بلغت به الغفلة هذا المبلغ.

الله ﷻ يخوفنا بهذه الآيات وتلك الرسائل التحذيرية، فمن يدري ما وراء هذا التخويف من عقوبات عاجلة أو آجلة في الأنفس والأموال والأولاد.

يا من تظن أن هذه الآية لا علاقة لها بذنوب العباد، وأنها أمور طبيعية سببها حيلولة القمر بين الأرض والشمس، وتستدل على ذلك بمعرفة الفلكيين له قبل حدوثه، وتحديدهم له بالساعة والدقيقة.

فلتعلم أن الذي قدر الأسباب هو الله.

فمن الذي جعل القمر يحول دون ضوء الشمس؟ من يقدر على هذا إلا الله؟ من الذي يسير هذه الأفلاك؟ من الذي يحفظ توازن هذه الكواكب، ويقدر على انتظام سيرها إلا الله.

عباد الله...

اتقوا الله، واغتنموا أعماركم بالطاعات، وبادروا بالتوبة، واستغفروه يغفر لكم، و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. خالق الشمس والقمر، لا يخرج عن طاعته كائن في الأرض ولا في السماء إذا أمر، أحمده وأشكره، وقد تأذن بالزيادة لمن شكر.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، بث لذوي البصائر والقلوب آيات وجعلها عبرة لمن اعتبر.

وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، خير البشر، وإمام من تفكر واعتبر.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ما اتصلت أذن بخبر، وما ازدانت عين ببصر.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

وتذكرنا ظلمة كسوف الشمس بظلمة القبر، لأجل ذلك أرشد النبي ﷺ أصحابه في خطبة الكسوف أن يستعيذوا بالله من عذاب القبر.. فظلمة النهار بالكسوف تذكر بظلمة النهار بالقبر - نسأل الله العظيم - أن ينور قلوبنا في الدنيا، وقبورنا بعد الموت واعلموا - رحمكم الله - أن حقيقة الاتعاظ والادكار هو في التمسك بما ينجي يوم القيامة ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝** ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

لهذا لما سئل النبي ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ للسائل: «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» (١).

فينبغي أن تكون همة المؤمن دائمًا متعلقة بالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلى ذكر الآخرة.. وكل من شغله شيء فهمه في شغله، ألا ترى أنه لو دخل أرباب

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.

الصنائع إلى دار معمورة.. رأيت النجار ينظر إلى الأبواب والنوافذ والدواليب، والبناء إلى الحيطان، والخياط إلى النسيج والستائر والفرش.. وهكذا المؤمن إذا رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر.. وإذا رأى شيئًا مؤلمًا، ذكر العذاب والعقاب.. وإذا سمع صوتًا فظيعًا، ذكر نفخة الصور، وإذا رأى الناس نيامًا، ذكر الموتى في القبور وإذا ذكر لذة، تذكر الجنة وما فيها من الحور والقصور.. واللذات والسرور.

وقد كان الحبيب النبي ﷺ إذا حزبه أمر - أي اشتد عليه وأهمه - صلى.

وهكذا المسلم دائمًا يرجع إلى مولاه في حال الشدة، فإن لم يفعل فحتمًا لن يرجع إلى الله في حال الرخاء.. ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

نعم يخاف ويرجع، ويتذكر يوم القيامة حيث تكور الشمس، ويذهب ضؤوها وتبقى حرارتها.. ويكون الناس في المحشر، تدنو الشمس من الرؤوس، ويتصبب العرق من الناس.. ويتمنون أن ينصرفوا ولو إلى النار.. والعياذ بالله.

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ إلى أن قال: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [التكوير: ١ - ١٤].

فاتقوا الله عباد الله... ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]. وأكثروا من الدعاء، وأكثروا من الصلاة والسلام على رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين،

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين وعن الصحابة أجمعين.

اللهمَّ إنا نسألك حبك، وحب رسولك وحب من يحبك، وكل عمل يقربنا إلى حبك.. اللهمَّ انصر دينك وكتابك ونبيك اللهمَّ انصر كل من نصر الدين.. اللهمَّ أصلح الأبناء والأزواج.

اللهمَّ أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، ثبت قلوبهم على حبك وحب نبيك.. اللهمَّ يا من له العزة والجلال.. ويا من له القدرة والكمال.. ويا من هو الكبير المتعال.. اللهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم.

وأقم الصلاة.



الخطبة الحادية والسبعون

آية الله في الريح

الحمد لله رب العالمين.. أرسل بلطفه وكرمه السحاب، فروى الأودية والهضاب، وأنبت الحدائق، وأخرج الأعناب، وألبس الأرض نباتًا أحسن من الثياب.

سبحانه سبحانه.. صرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، وأعز الإسلام بنصره.. ومذل الكفر بقهره.. القوي فوق عباده فلا يدافع.. ومصرف الأمور بأمره فلا يراجع.

أحمده حمدًا يليق بكرمه وإفضاله وإنعامه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. شهادة أدخرها ليوم كان شره مستطيرًا.. شهادة تنفع قائلها.. ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝ ﴾ [الحج: ٢].

شهادة تنفع قائلها يوم.... ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا وعظيمنا محمدًا عبد الله ورسوله.. اصطفاه ربه من بين الخلائق لحمل رسالته، وبعثه إلى الثقلين بالهدى ودين الحق، فوضع به الأغلال والآصار.. ورفع به الغشاوة عن الأبصار، واستنقذ الخلائق من عذاب النار.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار، ما تعاقب الليل والنهار، وأورقت الأشجار، وأينعت الثمار، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها الأحبة في الله...

اتقوا الله حق تقاته، وتدبروا ما أنزل إليكم من حكمه وآياته، فإن الله ﷻ لم يخلقكم عبثًا، ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل خلقكم لمعرفته وعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته، وأوجب ذلك عليكم في خاصة أنفسكم.. جاهدوا في الله حق جهاده، والزموا سنة نبيكم، تهتدوا، وأخلصوا لله نياتكم تربحوا، واستبقوا الخيرات، وابتعدوا عن المنكرات.. وتوبوا إلى ربكم من قريب عما أسلفتم من السيئات، تفوزوا بمغفرة من ربكم وجنة عرضها الأرض والسموات.

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ...

وما زال اللقاء موصولاً مع آيات الله ﷻ في كونه، الدالة على كمال قدرته وتمام عظمته.. وآية اليوم هي (الريح).

إنَّ سنة الله ﷻ جرت في عباده أن يعاملهم حسب أعمالهم، فإذا هم راقبوا ربهم واتقوه، أنزل عليهم البركات من السموات، وأخرج لهم الخيرات من الأرض.. قال سبحانه: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال: ﴿ **وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾** ﴾ [الجن: ١٦].

لكنهم إذا أعرضوا وتمردوا على شرع الله تعالى، وفسقوا عن أمره، أتاهم العذاب والنكال من الكبير المتعال.

إذا كان العباد مطيعين لله ﷻ معظمين لشرعه، أغدق عليهم النعم، وأزاح عنهم النقم، لكن إذا تغير حالهم، وتبدل من الطاعة إلى المعصية، ومن الشكر إلى الكفر، حلت بهم النقم، وزالت عنهم النعم.

فكل ما يحصل للعباد من محن وكوارث ومصائب، فبما كسبت أيديهم، ويعفو عن كثير، كما قال مولانا جل شأنه: ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠].

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ...

إنَّ الريح جند من جنود الله ﷻ يسلطها على من يشاء من عباده، فقد سلطها على قوم صالح، لما طغوا وعتوا عن أمر ربهم، ولم يؤمنوا بالآيات الظاهرة والبراهين الساطعة التي جاءتهم ليؤمنوا، سلط الله عليهم الريح، فأهلكتهم ودمرتهم.

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ** ﴿٢٤﴾ **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥].

كانت تدمر كل شيء تمر عليه من شدتها ونحسها، سلطها الله ﷻ عليهم ثمانية أيام كما في سورة الحاقة: ﴿ **سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ** ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض، فيخر ميتًا على أم رأسه، فينشدخ رأسه، وتبقى جثته هامدة، كأنها قائمة النخلة، إذا خرت بلا أغصان.

وفي سورة الذاريات: ﴿ **وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ** ﴿٤١﴾ **مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ** ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢]. أي كالشيء الهالك البالي.

أتلفت الريح مواشيهم وأموالهم وأنفسهم، ودمرت دورهم ومساكنهم.

كذلك سلطها الله ﷻ على كفار قريش يوم غزوة الخندق في العام الخامس من الهجرة.

قال ابن القيم رحمه الله: وأرسل الله ﷻ على المشركين جندًا من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدرًا إلا كفأتها، ولا طنبًا إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار».

وقال ابن تيمية رحمه الله: وكان عام الخندق برد شديد، وريح شديدة منكرة، بها صرف الله ﷻ الأحزاب عن المدينة - وهم قريش وغطفان، ويهود بني النضير.

وقد امتن الله ﷻ بذلك على رسوله، وعلى المؤمنين، وسجل القرآن الكريم ذلك. فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [الأحزاب: ٩].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: وكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ والمسلمين، كانوا قريبًا منها، لم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها، ولا خبرهم عندهم بها»[١].

وقد ثبت في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»[٢].

قال أهل العلم: الصبا: هي الريح التي تجيء من ظهرك، إذا استقبلت القبلة، والدبور هي التي تجيء من قبل وجهك، إذا استقبلت القبلة.

فالريح التي أرسلها الله ﷻ إلى الأحزاب يوم الخندق، كانت خفيفة بخلاف التي دمرت قوم عاد.. لماذا؟

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٤٤).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.

قال الحافظ ابن حجر: لما علم الله رأفة نبيه ﷺ بقومه، رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا، فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين، لما أصابهم بسببها من الشدة ومع ذلك لم تهلك منهم أحدًا، ولم تستأصلهم(١).

لذا أحبتي في الله...

كان النبي ﷺ إذا رأى غيمًا، خاف أن يكون عذابًا أرسله الله إلى عباده فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ، مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم، قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا، عرف ذلك في وجهه، فقالت: يا رسول الله أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته، عرفت في وجهك الكراهية، فقال ﷺ: **«يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾** [الأحقاف: ٢٤]»(٢).

وفي رواية مسلم من حديث عائشة أيضًا رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يوم الريح والغيم، عرف ذلك في وجهه، فأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سُرَّ به، وذهب عنه ذلك، فسألته، فقال: **«إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي»**(٣). وكان ﷺ إذا عصفت الريح، قال: **«اللَّـهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»**(٤).

وقد نقل الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره، عن عبد الله بن عمرو قال: الرياح ثمانية: أربعة منها رحمة، وأربعة منها عذاب، فأما الرحمة، فالناشرات، والمبشرات،

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٤٧٨) حديث رقم (٩٧٧).

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٣) رواه مسلم وغيره.

(٤) رواه مسلم وغيره.

والمرسلات، والذاريات، وأما العذاب، فالعقيم، والصرصر، وهما في البر، والعاصف والقاصف، وهما في البحر، فإذا شاء سبحانه وتعالى حركه بحركة الرحمة، فجعله رخاء ورحمة، وبشرى بين يدي رحمته، ولاقحًا للسحاب، تلقحه بحمله الماء كما يلقح الذكر الأنثى بالحمل، وإن شاء حركه بحركة العذاب، فجعله عقيمًا، وأودعه عذابًا أليمًا، وجعله نقمة على من يشاء من عباده، فيجعله صرصرًا وعاتيًا ومفسدًا لما يمر عليه»[1].

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

وكما أنَّ الرياح جند من جنود الله ﷻ يسلطها نقمة على من يشاء لهلاكه وتدميره، فهي أيضًا خلق من خلق الله ﷻ يسخرها لمن يشاء من عباده، فقد سخرها لنبي الله سليمان بن داود عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾** ﴾ [الأنبياء: ٨١].

وقال سبحانه: ﴿ **وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ** ﴾ [سبأ: ١٢].

قال قتادة: تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين.

وقد جاء أن نبي الله سليمان عليه السلام يومًا ركب بساطه فحملته الريح، فبينما هو كذلك الطير تظله، والجن عن يمينه وشماله، إذ برجل يحرث الأرض يقول: والله لقد أعطاك الله يا ابن داود ملكًا عظيمًا.. فأمر نبي الله سليمان عليه السلام الريح أن تهبطه إلى ذلك الرجل، فسأله: ماذا قلت؟

قال: والله يا نبي الله ما قلت شيئًا، غير كلمة واحدة.

قال: ما هي؟

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٢٣) عند «تفسيره» لقوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا** ﴾ [الروم: ٥١].

قال: قلت: والله يا ابن داود لقد أعطاك الله ملكًا عظيمًا.

فقال سليمان عليه السلام: والذي نفسي بيده، لتسبيحة واحدة خير مما أعطى ابن داود، فالتسبيحة تبقى، وما أوتي ابن داود يفنى.

فقال الحراث: أذهب الله همك، كما أذهبت همي[1].

عباد الله...

إنَّ الهواء الذي نتنفسه لهو أعظم نعمة من الله ﷻ على عباده، ولشدة حاجة الناس إليه، جعله الله تبارك وتعالى مبذولاً متاحًا لجميع مخلوقاته في كل مكان وبلا ثمن أو مال، ولكن عندما يتلوث هذا الهواء بالقدر الذي لا يمكن الاستفادة منه، فإن حال الناس تصبح صعبة وحرجة، ربما تصل إلى حالات الإغماء أو الاختناق.

ولقد كان في جميع الحضارات والأمم السابقة خرافات ومعتقدات خرافية عن الرياح، فكان يسود الظن بأن هناك آلهة مختلفة للرياح والعواصف، فجاء القرآن الكريم ليوضح لنا، وليبين مباشرة بأن الرياح بيد الله الواحد الأحد وأنها مسخرة بإذنه، متناسقة ومتلائمة مع باقي المسخرات، والكل يسير بنظام ثابت في هذا الكون، لينتفع بها الإنسان.. ﴿ **وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ** ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر: ٢٢].

فالرياح تلقح السحاب بالماء بتوجيه عمل الحرارة والبرودة متعاقبين، فينشأ عن ذلك البخار الذي يصير ماء في الجو، ثم ينزل مطرًا على الأرض، وأنها تلقح الشجر ذي الثمرة، بأن تنقل إلى نَوره غبرة دقيقة من نور الشجر الذكر، فتصلح ثمرته أو تثبت، وبدون ذلك لا تثبت أو لا تصلح، وهذا هو الإبّار، وبعضه

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ٩٨) لأبي نعيم.

لا يحصل إلا بتعليق الطلع الذكر على الشجرة المثمرة، وبعضه يكتفي منه بغرس شجرة ذكر في خلال شجر الثمر[1].

والرياح هي التي تسير المراكب في البحار، ولولا أن الله سخرها ما سارت، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الشورى: ٣٢ - ٣٤].

عباد الله...

الرياح هي الهواء المتحرك عبر سطح الأرض، وقد تهب ببطء ولطف شديدين لدرجة تجعل من الصعوبة الإحساس بها.

قل للهواء تحسه الأيدي ... ويخفى عن عيون الناس من أخفاكا؟

وقد تهب الرياح بعنف وشدة وسرعة كبيرة جدًا لدرجة تجعلها تدمر المباني وتقتلع الأشجار الكبيرة من جذورها، والرياح القوية يمكنها أن تضرب أمواج المحيط العاتية التي من شأنها أنها تحطم السفن، وأن تغمر الأرض، وبإمكان الرياح إزالة التربة من الأراضي الزراعية، ومن ثم تتوقف المحاصيل عن النمو، وتستطيع ذرات التربة الناعمة التي تحملها الرياح أن تبلي الصخر، وتغير ملامح الأرض.

والرياح أيضًا جزء من الطقس، فاليوم الحار الرطب قد يتحول فجأة إلى بارد إذا ما هبت الرياح من منطقة باردة، والسحب المحملة بالمطر، والبرق والرعد قد يتكون حين يلتقي الهواء البارد، بالهواء الحار الرطب، وقد تدفع رياح أخرى السحب بعيدًا وتسمح للشمس بأن تدفئ الأرض مرة أخرى.

---

(١) «التحرير والتنوير» (٧/ ٤٧٢) لابن عاشور.

ويمكن للرياح أن تحمل العاصفة الهوجاء إلى مسافات بعيدة.. فمن صاحب الصنعة؟ ومن القادر على ذلك؟ ومن الذي يُسيّرها؟ ومن الذي يدبر أمرها؟

إنه الله رب العالمين.. خالق الخلق.. جلت صنعته، وعظمته قدرته.. لا إله إلا هو.

سئل علي رضي الله عنه: أي خلق الله أشد؟ **فقال:** أشد خلق ربك عشرة: الجبال الرواسي، والحديد ينحت الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يعني يحمل الماء والريح تُقل السحاب، والإنسان يغلب الريح يعصمها بيده، ويذهب لحاجته والسُّكْر يغلب الإنسان، والنوم يغلب السُّكْر، والهم يغلب النوم، فأشد خلق ربك الهم.

يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى**»[١].

أو كما قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْـخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[٢] . ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. الكون كونه، والسماء سماؤه، والأرض أرضه، يعز من يشاء، ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. أرسله ربه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

إنَّ ما نشاهده من الآيات الكونية لهو آية من آيات الله ﷻ تجعل المؤمن متصلاً بربه، ذاكرًا لأنعمه، مستجيرًا به، خائفًا من نقمته وسخطه. لكن هناك من غفل عن هذا فهم يتذمرون عندما يرون الريح والغبار، وربما يتطاولون، فيسبونها - أي الريح - ويشتمونها، وهذا أمر جد خطير، لأن رسولنا وحبيبنا ﷺ قد نهانا أن نسب الرياح، قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللَّـهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَالْـعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللَّـهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّـهِ مِنْ شَرِّهَا**»[١].

وفي حديث آخر: «**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّـهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»[٢].

وقد أخرج الإمام مسلم في باب معجزات النبي ﷺ من حديث أبي حميد قال: انطلقنا، حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «**سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلاَ يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ**»[٣]. فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه والبيهقي، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (١٥١٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣١٥).

(٣) رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله في شرحه هذا الحديث: في هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح، وفيه ما كان عليه النبي ﷺ من الشفقة على أمته، والرحمة لهم، والاعتناء بمصالحهم، وتحذيرهم مما يضرهم في دين أو دنيا، وإنما أمر بشد عقل الجمال لئلا ينفلت منها شيء، فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه، فيلحقه ضرر الريح[١].

ولقد شبه رسولنا ﷺ في عطائه وكرمه بالريح المرسلة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان، يعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل، كان أجود بالخير من الريح المرسلة[٢].

وقال الشافعي رحمه الله: لا ينبغي شتم الريح، فإنها خلق مطيع لله، وجند من جنوده يجعلها رحمة إذا شاء، ونقمة إذا شاء.

وقال مطرف: لو حبست الريح عن الناس، لأنتن ما بين السماء والأرض.

فاتقوا الله عباد الله، وتفكروا وتدبروا خلقه.

اللهمَّ بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، اللهم يا ذا الجلال والإكرام نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة برحمتة يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ اجعلنا هداة مهديين اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، واقض الدين عن المدينين.. وفرج كرب المكروبين، واجعل لكل مسلم ومسلمة همًا وفرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا ومن كل بلاء عافية.. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٧/ ٤٨٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وغيرهم.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم. وأقم الصلاة.



الخطبة الثانية والسبعون

آية الله في المطر

الحمد لله.. موجد البرايا، ومجزل العطايا.. له جزيل الحمد، وكريم التحايا، خلق خلقه، وجعل نفوسهم مستودعات عرايا، وأرسل إليهم رسله بجميل الخصال، وحسن السجايا.. يهدون للتي هي أقوم ويدعون للأسلم بالأحكم، وينذرون الموقف الأعظم.

أحمده حمدًا يليق بذاته، وأشكره شكرًا يليق بإفضاله وإنعامه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، ذو العرش المجيد والبطش الشديد.. شهادة تكفل لي عنده أعلى درجات أهل التوحيد في دار القرار والتأييد.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا محمدًا عبد الله ورسوله.. كان أجل الناس.. وأرحم الناس، وأكرم الناس، وأشجع الناس.. صلوات ربي وسلامه عليك.. يا صاحب المقام المحمود.. ويا صاحب الحوض المورود.. ويا صاحب الموقف المشهود.. يا صاحب اللواء المعقود.. يا رسول الله..

أنت الذي من نورك البدر اكتسى	والشمس مشرقة بنور بهاكَ
أنت الذي لما رفعت إلى السماء	بك قد سمت وتزينت لسراكَ
أنت الذي ناداك ربك مرحبًا	ولقد دعاك لقربه وحباك
وخفضت دين الشرك يا علم الهدى	ورفعت دينك فاستقام هناك
ماذا يقول المادحون وما عسى	أن تجمع الكتاب من معناك
صلى عليك الله يا علم الهدى	ما اشتاق مشتاق إلى سواك

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في الدنيا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء المبارك أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإنه من يتقي الله يجعل له مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

واعلموا أيها الأحبة الكرام أنَّ في القلب شعثًا لا يلمه إلا الإقبال على الله ﷻ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبة الله ﷻ، والإنابة إليه، ودوام ذكره.

ومن محبته ودوام ذكره أن يتفكر العبد في مخلوقات ربه ﷻ واليوم موعدنا مع «**المطر**».

عباد الله...

تعالوا بنا لنرى قدرة الله الأعظم في آية المطر.. إنَّ المطر نعمة عظمى، ومنة كبرى، لا يقدر على خلقه، وإغاثة الخلق به إلا من خلق الكون فأبدعه.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ

ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٨، ١٩].

انظروا إلى كل من حولنا من الأحياء، فالبهائم والزواحف والحشرات، وأنت يابن آدم محتاج إلى الماء، وكل شيء محتاج إلى الماء، وإلا لما استمرت في هذا الكون ولا استقامت فيه حياة.

انظروا إلى الشجر، إن انقطع عنه الماء يموت ويحترق البشر إذا فقدوا الماء ماتوا، وأصبحوا جثثًا هامدة.

البهائم والطيور، إن فقدوا الماء، ماذا يحدث لها؟

تسكن حركتها، وتفقد حياتها، فبالماء تكون الحياة، ولا حياة بدون الماء، أخبرنا بذلك من خلق الخلق وصوره، وهو أعلم بهم من أنفسهم، حيث قال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٣٠].

الماء عنصر الحياة للإنسان والحيوان والطير، والنبات.. والعلم ذلك العملاق الكبير لا يستطيع أن يصنع الماء، أو أن ينزل المطر، ولا يستطيع أن يسقينا كوبًا من الماء، مع أن الماء مركب من عنصرين فقط هما: الهيدروجين والأوكسجين، ومع ذلك يعجز عنه صنعه.. في سنة ١٩٨١ حدثت أزمة ماء في مدينة (نيويورك) لقد انخفض مستوى الآبار التي تشرب منها المدينة، وأصبحت المدينة مهددة، لعدم سقوط الأمطار بالكميات المطلوبة، وبدأ اضطراب شديد في تلك المدينة، حتى أنه طُلب من السكان تقييد استهلاكهم من الماء، والإقلال من الاستحمام، وبدأ العلم يتدخل محاولاً حل هذه الأزمة، جاءوا بأشياء تحدث سحبًا صناعية، حاولوا أن يجعلوا السماء تمطر بأي وسيلة.. أنفقوا الملايين من الدولارات، ثم ماذا حدث؟!

لا شيء، ولا قطرة ماء واحدة نزلت، لماذا؟

الأوكسجين موجود، والهيدروجين موجود، وباتحادهما يتكون الماء.. عملية بسيطة جدًا.. ولكن الماء لا يخلقه إلا الله.. هكذا وقف العلم عاجزًا ذليلاً أمام قدرة الله القادر جل في علاه.

عباد الله...

إنزال المطر نعمة من النعم التي ينعم بها الرب جل في علاه على عباده، كيف لا وقد أشاد الله بها في كتابه، وذكرها في سياق الامتنان على عباده.

اسمعوا ما قال مولاكم عن هذه النعمة، قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

لقد أمر عباده بالعبادة.. لأنه وحده المستحق لها، فقد جعل الأرض للإنسان فراشًا، والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء المطر، الذي يشرب منه الإنسان والحيوان والنبات.. فيا لها من نعمة كريمة، ومنة عظمى.

ومما يدل على عظم المطر، وأنه نعمة من أجل وأعظم النعم، ما ذكره الله ﷻ في قرآنه، ففي بعض الأحيان يصف الله المطر بالبركة، وأحيانًا يصفه بالطهر وأحيانًا بأنه سبب لهذه الحياة التي نعيش فيها، قال سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [ق: ٩ - ١١].

وذكر سبحانه أن إنزال الماء من السماء، وإحيائه للأرض بعد موتها، هو دليل وآية من الآيات التي تدل على وجود الخلاق العظيم جل جلاله.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وذكر الله ﷻ الماء على أنه من نعيم الجنة، وأن أهل النار يعذبون بحرمانهم منه، اسمعوا إلى هذا الحوار الذي دار بين أهل الجنان وأهل النيران: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٥٠].

وهم في النار يستغيثون، ويطلبون أن يشربوا ماء فماذا يحدث؟ ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

عباد الله...

وقد يصاب العباد ببلاء من الله ﷻ، فتقل المياه، وتندر الأمطار، فماذا يكون العمل حينئذ؟

أما الكفار فلا حيلة لهم، وأما نحن المسلمين، فمن نعم الله علينا أن شرع لنا ربنا ﷻ صلاة تسمى بـ«صلاة الاستسقاء» وهي طلب السقيا ممن بيده ملكوت السموات والأرض.. طلب السقيا ممن بيده الأمر كله.. وليست الصلاة ركوع وسجود وحركات فحسب، لكن لها شروط وآداب، قلّ من يأخذ بها المسلمون اليوم من الضراعة إلى الباري سبحانه، والابتهال بالدعاء، والاستغفار من الذنوب، ووصل ما أمر الله به أن يوصل.. وأن تكون الصلاة خالصة لله تبارك وتعالى.. قحط الناس في عهد الناصر لدين الله، فأمر القاضي منذر بن سعيد البلوطي بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فتأهب لذلك، وصام بين يديه ثلاثة أيام، تنفلاً وإنابة ورهبة، فاجتمع له الناس في مصلى الربض بقرطبة، بارزين إلى الله ﷻ في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مكان ليشارف الناس ويشاركهم في الخروج والضراعة إلى الله، فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس، فخرج نحوهم ماشيًا مخبتًا، وقام ليخطب، فلما رأى الناس في ارتقابه، رقت نفسه، وغلبته عيناه، فاستعبر وبكى حينًا، ثم افتتح خطبته فقال: السلام عليكم ورحمة

الله.. ثم سكت، لم يكن من عادته، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما به، ثم اندفع تاليًا قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤]. ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠، ١١].

استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، وتزلفوا بالأعمال الصالحات لديه.. فضج الناس بالبكاء، وجأروا بالدعاء، وتمت خطبته، فلم ينقضي النهار، حتى أمر الله السماء بماء منهمر فروى الثرى، والله لطيف بعباده.

وأجدبت الأرض، واكفهرت السماء على عهد نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام، فخرج بالقوم لصلاة الاستسقاء، فقابله في الطريق نملة ترفع قوائمها، وتناجي ربها قائلة: اللهمَّ إنا خلق من خلقك، وعبيد من عبيدك، لا غنى لنا عن فضلك وجودك، فاسقنا، ولا تؤاخذنا بذنوب بني آدم، فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.. وأنزل الله المطر.

عباد الله...

ونزول المطر على الأرض لا يكون إلا بحسب مشيئة الله القادر، وعلى حسب حاجة العباد والبلاد إليه.. قال مولانا سبحانه: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ ﴾ [الحجر: ٢١].

وعن ابن مسعود والحكم بن عتيبة وغيرهما: أنه ليس عام أكثر مطرًا من عام، ولكن الله يقسمه كيف يشاء، فيمطر قوم، ويحرم آخرون، وربما كان المطر في البحار والقفار، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧].

فمولانا جلت قدرته، هو الخازن للماء، ينزله إذا شاء، ويمسكه إذا شاء، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ١٨].

ينزِّل ربنا المطر بقدر حاجة الخلق على فترات لا يتضرر منها الناس، وجعل الأرض مخزنًا للمطر قريبًا، يصل إليه الناس بالحفر والاستنباط، ولو شاء الله لغوره في مسارب الأرض، فلا يقدرون منه على قطرة واحدة.. ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الملك: ٣٠].

ولو شاء ربنا لجعله ملحًا أجاجًا فلا يقدر على الانتفاع به.. ولذا يقول لنا: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن نزول المطر من السحاب على الأرض: فيرش السحاب على الأرض رشًا، ويرسله قطرات منفصلة، لا تختلط قطرة منه بأخرى، ولا يتقدم متأخرها، ولا يتأخر متقدمها، ولا تدرك قطرة صاحبتها، فتمتزج بها بل تنزل كل واحدة في الطريق، الذي رسم لها، لا تعدل عنه، حتى تصيب الأرض قطرة قطرة، قد عُينت كل قطرة منها لجزء من الأرض، لا تتعداه إلى غيره، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا قطرة واحدة، أو يحصوا عدد القطر في لحظة واحدة، لعجزوا عنه.

ثم قال رحمه الله: فتأمل كيف يسوقه سبحانه رزقًا للعباد والدواب والطير، والذر والنمل، يسوقه رزقًا للحيوان الفلاني، في الأرض الفلانية، بجانب الجبل الفلاني، فيصل إليه على شدة الحاجة والعطش، في وقت كذا وكذا.

فسبحان من تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن.. سبحت له الكائنات، وسجد له النبات، وتدكدكت من خشيته الجبال الراسيات.. وسبحه همس النسيم، ولحن المطر.. وسبحه أريج الزهر، والظل تحت الشجر.

أيها الأحبة في الله...

إنَّ المسلم الحق، صاحب العقيدة السليمة، والكافر كذلك يعلم يقينًا أن

الكون لله ﷻ، وهو وحده القادر على أن ينزل الغيث، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

ولكن بعضهم يقع في خطأ فادح حين ينسبون إنزال المطر إلى غير الله تعالى من الكواكب والأنواء، وارتفاع الضغط أو انخفاضه، أو غير ذلك من الأسباب فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟».

قَالُوا: اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِى مُؤْمِنٌ بِى وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّـهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِى وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِى مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[1].

ونحن نعلم أن هناك سننًا كونية ثابتة بثها مولانا سبحانه في هذا الكون، فكل ما في هذا الكون يسير وفق هذه السنن التي أوجدها الله ﷻ، ويحكمه نظام محكم دقيق أوجده أحكم الحاكمين.

ولكن الله الذي أوجد هذه السنن الكونية قادرٌ على أن يخرق هذه السنن متى أراد بحيث لا تعمل عملها المعتاد، وإنما تعمل وفق إرادة الله ومشيئته.. ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده، الذين اصطفى.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولي الصالحين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، النبي الأمين، شفيع المذنبين، وقائد الغرِّ المحجلين اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون.. عباد الله...

المطر جند من جنود الله تعالى، تارة ينزله الله ﷻ تطهيرًا وتثبيتًا للمؤمنين قال الله ﷻ: ﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ** ﴾ [الأنفال: ١١].

هذا المطر أنزله الله ﷻ على المؤمنين يوم بدر، ليطهر به المؤمنين لصلاتهم، لأنهم كانوا قد أصبحوا يومئذ مجنبين على غير ماء، فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا، وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما كان سببًا في حزنهم لأنهم أصبحوا مجنبين على غير ماء، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر، فذلك ربطه على قلوبهم، وثبت بذلك المطر أقدامهم، لأنهم التقوا مع عدوهم على رملة ميثاء، فلبدها المطر، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة، لا تسوخ فيها توطئة من الله ﷻ لنبيه ﷺ وأوليائه.

قال ابن القيم رحمه الله: أنزل الله ﷻ في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وابلاً شديدًا منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلاً طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلّب به الرمل، وثبت به الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم.

المطر جند من جنود الله يرسله الله ﷻ بالخير لمن يشاء.. وبالعذاب والدمار لمن يشاء.. ففي صحيح مسلم ومسند أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلاَنٌ. لِلاِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاِسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَا إِذ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»[1].

ففي الحديث دليل على أن الله ﷻ يسوق المطر ليسقي قوم دون قوم، يرسل رحمته إلى من يشاء، ويمسكها عن من يشاء.

هذا المطر الذي نراه سهلاً يسيرًا عذبًا ذلالاً، أغرق الله جل وعلا بهذا المطر أقوامًا تمردوا على شرع الله، وفسقوا وظلموا فكان عاقبتهم أن سلط عليهم هذا الجندي، فأغرق القوم.. قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝﴾ [القمر: ٩ - ١٢].

التقى ماء السماء.. ماء المطر بماء الأرض.. فأغرقهم الله ﷻ حتى ولد نوح عليه السلام ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۝﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

---

(١) رواه مسلم وأحمد في مسنده.

فمن ذا الذي جعله نعمة، ثم صيره على قوم نقمة وهلاكًا ووبالاً؟! إنها إرادة أحكم الحاكمين، ومن هو على كل شيء قدير إرادة من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.. فهل نذكر ونتعظ أم على قلوب أقفالها؟ هل تتذكر قدرة الله ﷻ وعظمته.

اللهمَّ تول أمرنا، وأحسن خلاصنا، واحفظ أمننا وبلادنا وأبناءنا يا أرحم الراحمين اللهم من أراد الإصلاح وسعى له، فاجعل له من كل همّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا ومن كل عسر يسرًا، وأصلح شأنه، واجعل له به طريقًا إلى الجنة.

اللهمَّ وفق ولاة الأمور إلى ما تحبه وترضاه.. اللهم وفقهم للعمل بكتابك والعمل بسنة نبيك.. واجعلهم رحمة لعبادك المؤمنين.. اللهمَّ اجعلنا لك شاكرين.. لك ذاكرين.. لك طائعين.. إليك مخبتين.. إليك أواهين منيبين.

اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين، واقض الدين عن المدينين بفضلك يا أرحم الراحمين ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم.

وأقم الصلاة.



الفهرس

خطب المناسبات الدينية

تعرف وتفكّر